الفصل الثالث والعشرون

القبائل الأخرى المهاجرة

والبطون القرشية

لقريش مكانة عظيمة بين القبائل العربية الأخرى منذ أن كانت قريش دائما سباقة فى الجهاد فى سبيل ا لله بعد اعتناقهم للدين الإسلامي . وكانت قريش ترعى الكعبة فى الجاهلية ، كما أنها فى الإسلام وجدت مكانة سامية لسابق إيمان الصحابة بالدين الإسلامي ، فكان رجالها قادة الأمة الإسلامية ، إضافة إلى أن جميع أفرادها انخرطوا فى الجيوش الإسلامية في كل الجبهات . وفى أثناء ذلك الجهاد ذهبت جماعات وقبائل وبطون منهم إلى مصر ومنها إلى الأراضي السودانية ، كما ذهبت بطون أخرى من جدة إلى عيذاب ، ومن هناك انتشرت فى الأراضي السودانية . وكانت من أهم هذه البطون التى رحلت بنو أمية الذين وصلوا فى أول الأمر إلى أرض النوبة عندما قادهم الأخوان عبد ا لله بن مروان ، وعبيد ا لله بن مروان إلي مملكة النوبة .[1] ثم خرجا منها إلى مملكة البجاة حيث لقيا عنتا وصراعا ، فرحل عبد ا لله بعد جهد جهيد ، وقتل عبيد ا لله ، وضاع أثر هؤلاء الأمويين فى فيافى شرق السودان بأرض قبائل بنى عامر وعلى سواحلها بالقرب من جزيرة عيرى (ابن مد) وباضع (مصوع) ودهلك.

وضاعت آثار هؤلاء الأمويين لفترة من الوقت امتدت بين سنة ١٣٢هـ حين أطيح بالدولة الأموية ، وظهروا ثانية فى القرن العاشر الهجرى (سنة ٩١٠هـ / ١٥٠٤م) حين أسسوا سلطنة شملت معظم أراضى

---

[1] وذلك بعد سنة ١٣٢هـ .

السودان الحالية ، وأسموا مملكتهم هذه التى أقاموها بالسلطنة الزرقاء ، أو سلطنة الفنج أو سلطنة سنار [٢]

وبالإضافة إلى هذا البيت العريق من قريش رحلت قبائل وعشائر وبيوت قرشية أخرى هي حسب ما جاء فى تاريخ أنساب القبائل العربية فى السودان تتضمن قبائل الأمارأرا ، والبشارين ، والكمالاب ، والكميلاب ، والجعافرة ، وبنى أبى بكر أوتيم ، والأشراف ، [٣] والحسناب والركابية ، والفادنية ، وبنى عمر ، وبنى شريف ، والبطاحين ، وشكر أو الشكرية ، والمسلمية ، وبيت عوض ، والعجيلاب ، والأفلندة ، والحباب ، والماريا ، والبيت الملكى فى مملكة الجعليين ، والألمدة فى شرق السودان وإرتريا التى كانت منذ أقدم العصور جزءا من مملكة البجة ، ثم أخذت تنزح إليها بعض القبائل العربية .

ومما يلاحظ أن هذه القبائل المتفرعة من قريش لم تهاجر إلى السودان كلها فى وقت واحد ، أو فى هجرة واحدة ، كما أن كلا منها استقرت فى مكان يختلف عن غيرها كما سيظهر لنا أثناء تفصيل تلك الهجرات .

---

[٢] أنظر الحديث عن الفونج (الفنج) .

[٣] أبناء الشريف حصن الدين ثعلب بن الأمير الكبير نجم الدين على بن الأمير الشريف فخر الدين اسماعيل بن حصن الدولة مجد العرب (السلوك للمقريزي)

قريش – بنو أمية :

ساطنة الفونج (أو الفنج) [٤]

٩١٠ هـ –١٢٣٧هـ /١٥٠٤ –١٨٢١م

ذكرت المصادر والروايات الفونجية أنهم من نسل الأمويين ، فهم لذلك عرب قرشيون نزحوا إلى السودان وأقاموا فيه مملكتهم التى عرفت فى تاريخ السودان باسم السلطنة الزرقاء ، كما كانت تسمى أحيانا سلطنة الفونج ، وأحيانا أخرى سلطنة سنار نسبة إلى عاصمتها التى انشأوها فى الأراضي السودانية .[٥]

وبالرغم من أن روايات الفونج ذكرت أنهم من بنى أمية الذين فروا من العباسيين حتى وصلوا إلى الأراضي السودانية حيث أقاموا دولتهم ، إلا أن بعض الباحثين البريطانيين لم يرق لهم أن يكون الفونج من العرب ، وأخذوا يبحثون عن أصل لهم من غير العرب . وكان أول من زعم ذلك منهم الرحالة البريطاني جيمس بروس ، إذ زعم أنهم من قبيلة الشلك السودانية . وتبع زعمه هذا بعض الإنجليز ، واختلف آخرون معهم وأخذت بضعف هذا الزعم . غير أن بعضهم ومنهم آركل زعم أنهم ربما كانوا من البرنو ، وأنهم نزحوا من أواسط إفريقيا وغربيها إلى أن وصلوا إلى جنوبي مدينة سنار . ومما يعرف فإن أصل الفونج تميز بكثير من الغموض . وتحدث

---

[٤] تكتب فى المصادر السودانية بالواو وبدونها .

[٥] يطلق السودانيون لفظ الأزرق على الأسود ، كما يفعل العرب عند التحدث عن " الأزرقان ، الماء والتمر " .

عن ذلك الكثيرون من الباحثين ، ومنهم الدكتور يوسف فضل حسن الذى أجمل وفصل فى أصلهم كما استقى ذلك من الروايات والأحاديث مما زاد المسألة تعقيدا نظرا لتضارب الروايات التى جمعها ، كما أن جهده ذلك زاد المسألة غنى وثروة فكرية ، ولذلك فإننا نرى أنه لابد للقارئ من الرجوع إلى ما ذكره يوسف لأهميته وفائدته .

ومع كل فإننا نرى أن بيت الزعامة الفونجية لا يعدو أن يكون من البيت الأموي ، وقد تزوج فى عناصر أخرى مما جعل سحنة جماعتها سمراء أو سوداء أو زرقاء أو خضراء تبعا لتفاوت السمرة فى بشرة هؤلاء الأنجال . ولعل من المناسب أن نذكر أن الأمير أحمد بن الخليفة الظاهر العباسي الملقب بأبي العباس الذى دخل مصر بعد غزو التتر لبغداد سنة ٦٥٣هـ / ١٢٥٥م كان شديد السمرة . وكان وصول هذا الأمير إلى مصر سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م وفى تلك السنة استقبله السلطان الظاهر بيبرس المملوكي ثم بايعه بالخلافة . وقد قام العرب فى مختلف الأصقاع التى رحلوا إليها بالتزاوج فى سكان تلك الأقاليم ، فنتج عن ذلك منهم الأسود والأخضر والأصفر والأشقر وغيرهم .

لهذا فإنه ليس هناك ما يمنع من أن يصطبغ الأمويون بهذا اللون الذى وجدهم عليه جيمس بروس الذى قال بسببه إنه يظن أنهم من الشلك .

ولربما كان وصول الأمويين إلى جنوبي سنار بعد رحلات طويلة ، وعبر أراضٍ كثيرة طوال عدة قرون . وهناك سمات ظهرت فى بعض القوميات فى إفريقيا قد تظهر التقارب فى الأصل بينها . وسنورد هنا بعض هذه السمات ، وبعض الأخبار التى قد تكون لها علاقة بالبيت الفونجى .

جاء فى كتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر حين كان يتحدث ابن خلدون عن ملوك السودان أن الأمم السودانية " أصناف وشعوب وقبائل أشهرهم بالمشرق الزنج والحبشة والنوبة . " ويضيف عن أقوال الآخرين بأن الزنج من ولد زنجى بن كوش ، وأما سائر السودان فمن ولد قوط بن حام . وعد ابن سعيد من قبائلهم أمما تبلغ تسع عشرة أمة منهم فى المشرق الزنج على بحر الهند . ولهم مدينة فنقية (كذا ، وفى ت منبسة) وهم مجوس ، وهم الذين غلب رقيقهم بالبصرة على ساداتهم مع دعي الزنج فى خلافة المعتمد . قال ويليهم مدينة بربرا ، وهم الذين ذكرهم امرؤ القيس فى شعره ؛ والإسلام لهذا العهد فاش فيهم . ولهم مدينة مقدشو على البحر الهندى يعمرها تجار المسلمين ... ومن غربهم وجنوبهم الدمادم وهم حفاة عراة .

قال " وخرجوا إلى بلاد الحبشة والنوبة عند خروج الططر (التتر) إلى العراق ، فعاثوا فيها ، ثم رجعوا " .

ولفظة " فنقية " هذه تسترعى الانتباه فيما جاء فى كتاب ابن خلدون لأنها قريبة جدا من لفظة " فنج " . وكذلك فان هناك من الأحداث الأخرى ما يسترعى الانتباه أيضا ، فهم من بقايا الزنج الذين ثاروا في العراق على الدولة العباسية وهددوا أمن البلاد مدى أربع عشرة سنة تقريبا . ثم إنهم كانوا يخرجون من العراق بمراكبهم وسنابيكهم (فلكهم) إلى شواطئ إفريقيا ليعودوا مرة أخرى إلى العراق .

ويسترعى الانتباه أيضا ما جاء فى قول ابن خلدون من أنهم خرجوا إلى بلاد الحبشة والنوبة عند خروج الططر إلى العراق ، وكما هو معروف فان استيلاء الططر (التتر) على العراق كان فى سنة ١٢٥٨م إذ سقطت

بغداد فى ١٠ فبراير ١٢٥٨م / ٦٥٤هـ . ومعنى هذا أن الفترة ما بين خروج الزنج من ديارهم فى فنقية وتأسيس مملكة الفونج حوالي قرن ونصف .

ان خروج الزنج الفنجيين من ديارهم وهجومهم على الحبشة (أو بعض أجزائها) والنوبة من التحركات الإنسانية التى تحتاج إلى متابعة وتقص . فالمسافات الشاسعة من شواطئ إفريقيا الشرقية والسودان ليست بالأمر الذى يسهل عبوره . ولكن هناك تحركات إنسانية تفرضها الظروف الطبيعية والإنسانية حدثت فى القرن السادس عشر تظهر للباحث إمكانية حدوث مثل تلك التحركات .

والمثال الذى بين أيدينا هنا هو ما حدث فى أثناء الحروب الطاحنة بين إمبراطور الحبشة والمسلمين والصوماليين الذين كانوا يعيشون على سواحل المحيط الهندى وباب المندب والبحر الأحمر فى نهاية القرن الخامس عشر ثم فى أثناء القرن السادس عشر .

ففي حوالي سنة ١٥٠٦م ولد الإمام أحمد قران (أى الأعسر بلغتهم) . وفى سنة ١٥٢٧م أصبح الزعيم والحاكم على كل أراضى الصومال ، بل إنه هاجم الأحباش ، وقلص نفوذهم حتى في مملكة الحبشة نفسها ، وتغلب على ثلثي المملكة واستولى على أراضيها .

يقول شهاب الدين أحمد بن عبد القادر الملقب بعرب فقيه فى كتابه فتوح الحبشة إن الإمام فى إحدى حملاته " سار قاصدا أكسوم ، فمر بثلاثة حصون صالحه على الجزية أهل حصنين منها ، فخلاهم ، وقاتله أهل الحصن الثالث ، فقهرهم وقتلهم عن آخرهم . وفر ملك الحبشة إلى مزجة وسلطانها مسلم اسمه مكتر . فأرسل هذا إلى الإمام يستصرخه قائلا : ادر كنى قبل أن

يقتلوني . فجد الإمام فى السير ، وأرسل إليه أنه قادم ، ففرح فرحا لا مزيد عليه ، وخرج يلاقى الإمام ومعه خمسة عشر ألف مقاتل من النوبة . فنزل الإمام عند السلطان مكتر ... الخ . "

هذا جيش نوبي مكون من خمسة عشر ألف مقاتل جاءوا من الأراضي السودانية لنصرة مسلمي إرتريا والصومال والحبشة حوالي سنة ٩٢٨هـ الموافق ١٥٣١ميلادية .

بقى أن نذكر أن الإمام كان حاكما على هرر ، وخرج منها إلى أرض الحبشة فى مطاردة إمبراطورها حتى وصل إلى حدود دولة الفونج السودانية ليجد أن عددا كبيرا منهم قد اتحد مع السلطان " مكتر " ليدافع عنه أمام جيوش الحبشة المسيحية . إن المسافات التى قطعها الإمام من هرر إلى الحدود السودانية تقرب من سبعمائة كيلومتر ، فهي ليست بالمسافة التى تمنع هجرة مثل هجرة الزنج من فنقية إلى السودان .

كانت الصلات بين الصومال والسودان فى تلك الآونة على ما يظهر وثيقة بعض الشيء . فإن الإمام بعد أن وصل إلى السلطان مكتر وهرب منه ملك الحبشة ، تعقبه إلى أن نزل الملك على نهر " أباوين "الذى يقول عنه عرب فقيه إنه النهر الذى يتصل بنيل مصر . ويقول بروس إن الملك الحبشي داود (لبنا دنقل) عبر نهر تكازى وهو نهر اتبرة (أو عطبرة وقد كتبها النويرى أتبرة) وهذا يعنى أن عرب فقيه والإمام وغيرهم كانوا يعرفون أن نهر أتبرة يتصل بالنيل مما يدل على أن الطريق من الحبشة إلى النيل كان الناس يطرقونه منذ أقدم العصور .

استطاع الإمام أحمد إبراهيم قران بعد ذلك الاستيلاء على أجزاء كبيرة من بلاد الحبشة المتاخمة للسودان . ويذكر المؤرخ عرب فقيه أن الإمام

أعطى بلاد " تاكة " وهى ثغر بلاد الهمج إلى الوزير عباس ، فالتاكا إذن كانت أيضا من المناطق التى يستطيع كل من الصوماليين والفنقيين أن يصلوا إليها عبر السهول التى على البحر الأحمر .

ومنطقة التاكا جزء من مملكة البجاة وكان يسكن فيها فى ذلك الوقت كل من أقسام البجة الثلاثة وهم بني عامر [٦] والهدندوة والحلنقة . وكانت مملكة بنى عامر تحت الأمير سمرة بن كامل العامرى قد أخذت على نفسها أن تحارب الأحباش منذ سنة ٧٦٧هـ / ١٣٦٥م وكان ذلك فى بعض الأحيان لشد أزر المسلمين من صومال وأحباش ومن يسكن الطراز الإفريقي . وكان الصراع بين الحبشة المسيحية والمسلمين على أشده فى ذلك الوقت حتى ظهور الإمام أحمد قران ، أي الأعسر ، في القرن السادس عشر الميلادي .

كذلك فقد كانت التاكة أيضا ثغرا لدولة الهمج أو العنج التى كانت تحكم الأراضي السودانية قبل انهيارها نهائيا على يد الفونج والقبائل العربية بقيادة عمارة دونقس وعبد الله جماع . ويظهر أن أقدام دولة الفونج واسمها لم ينتشر بعد فى السودان وخارجه ليصل إلى عرب فقيه ، إذ أننا نراه يتحدث عن النوبة المسلمين وعن الهمج ، ولم يذكر الفونج لأن عهدهم بالسيادة على السودان كان حديثا إذ حدث فى حوالي سنة ١٥٠٤م ، ولم يشمل سائر الأراضي السودانية خصوصا الحدود مع الحبشة .

ويذكر أبو الفداء فى تقويم البلدان " دمدمة " ويقول ابن سعيد (٦١٧-٦٥٧هـ / ١٢١٩-١٢٥٨م) عنها بأنها دمدمة التى خرج منها

---

[٦] التزمنا بكتابة بني عامر على هذا الرسم بصرف النظر عن موقعها من الاعراب لأنه ينطق هكذا فى كافة أحوال الاعراب باللغة العامية ، فمعذرة لما بدر من الكاتب .

الدمادم على بلاد النوبة والحبشة فى سنة سبع عشرة وستمائة (٦١٧هـ / ١٢٢٠م) فى تاريخ خروج التتر على بلاد العجم ، وهم تتر السودان .

ومعنى هذا أن الدمادم الذين كانوا يسكنون فى فنقية ودمدم خرجوا فى جماعات كبيرة كخروج التتر وهاجموا الحبشة ، ووصلوا إلى أرض النوبة حيث استقروا فيها ، ثم ما لبثوا أن قوضوا ملكها المسيحي ، وأقاموا مملكتهم .

أما أين كان يسكن هؤلاء الدمادم فواضح من سياق الحديث الذى ساقه ابن خلدون أنهم كانوا فى غربى وجنوبى مقدشو ، فهم يحيطون بها ، وهذا يعنى أنهم أضحوا قبيلا من الصومال بعد أن خرجوا من العراق واستقروا فى تلك الأماكن حتى إذا زاد خطرهم زحفوا غربا حتى وصلوا إلى السودان .

وهناك عادات وسمات يحسن بنا أن نضيفها إلى حصيلتنا من المعلومات حول هؤلاء الناس ، وعن العادات المشتركة بينهم وبين السودانيين . فقد ذكر ابن بطوطة شيئا عن الشلوخ (أو المشالى أو الفصدات) عندما زار ممباسا (ممبسا) وكلوى التى وصفها بأنها مدينة عظيمة ساحلية أكثر أهلها الزنوج المستحلمو السواد ، ولهم شرطات فى وجوههم كما هى فى وجوه اليمنيين من جنادة . ومن المرجح أن هؤلاء الزنج منذ أن كانوا فى العراق كانوا يعرفون الملاحة ، فتاريخهم فى ثورة الزنج فى العراق يشير إلى أنهم كانوا يستعملون الصنابيق [٧] (السنابيك أو الجلاب) فى غدواتهم وروحاتهم بين الشاطئ الإفريقي على ساحل المحيط الهندي وبين البصرة فى العراق وموانئ الخليج العربي . فهل يا ترى ساروا

---

[٧] هكذا كتبها ابن بطوطة ، ويكتبها أهل سواكن وجدة سنبوك

بحرا حتى وصلوا سواكن أو غيرها من الموانئ ، ثم ساروا من هناك إلى داخل الأراضي السودانية ، أم أنهم ساروا برا عن طريق أراضى إرتريا ، أم أنهم ساروا بالطريقين معا .

ربما كان من المفيد أن يبحث الباحثون عن علاقات أخرى بين هؤلاء الدمادم أو الفنقيين وبين السودانيين أو الفونج سواء أكان ذلك فى العادات أو التقاليد أو الأسماء أو غيرها . وأود أن أسوق هنا عادة عرفت بين الأحباش الذين كانوا فى صراع دائم مع الصوماليين المسلمين ، فقد ذكر القلقشندى أن من عادة الأحباش " أن من رمى سلاحه فى القتال حرم قتاله " . وهذه عادة معروفة عند السودانيين فى أنهم يتبعونها خاصة إذا انهزموا ، فلا يهربون طلبا للنجاة ، ولكنهم يفترشون فروة صلاتهم ، ويجلسون عليها ، ويضعون عليها سيفهم ، ويستقبلون الموت عليها أو الأسر . وقد فعل ذلك ملك البجة على بابا عندما هزمه القمى ، والملك عمر بن الملك نمر ملك الجعليين عندما هزم فى المتمة الواقعة على الحدود الحبشية السودانية على يد الفلاتة ، ولكن طلب منه رفاقه عدم قبول الموت ، والفرار معهم ليكروا على الفلاتة ، ففعلوا ذلك وهزموا أعداءهم [٨]، وهناك أيضا الخليفة عبد الله خليفة المهدي عند نهاية المهدية وسقوط رجال جيشه على يد الجيش البريطاني الذي كان يتعقبه فى أنحاء غرب السودان . كذلك هناك ما فعله الشيخ الطاهر ود العبيد فانه كر على الجيش الغازى فى موقعة فركة سنة ١٨٩٦م " فقتل فرسه فترجل ، وقعد على قناة ماء ، ووضع سيفه بجانبه إشارة إلى تركه الحرب فرآه أحد ضباط الأورطة الرابعة البريطانين ، فأفرغ فيه مسدسه فجرحه فى فخذه وجنبه

[٨] نعوم شقير ص ٢٢٥

وصدره ويده اليمنى ، ومع هذا كله لم يتحرك من مكانه " . [٩] وهذه عادة مألوفة منذ القدم لدى السودانيين .

ويمضى القلقشندى يتحدث عن مفازة بمكان يسمى وادى بركة ، وإقليم يسمى " تكراي " . وبركة كما يبدو لنا هو خور بركة المعروف بهذا الاسم الآن فى شرقى السودان ، أما " تكراي " فهى على أغلب الظن توكر التى كان يكتبها الإداريون المصريون فى أيام الحكم المصرى للسودان (١٨٢١-١٨٨١)م " طوكر " والتى ينسب إليها الآن بلغة البنى عامر بلفظة " توكراي " . ويقول مؤرخ إقليم البجة محمد صالح ضرار بأن توكر تنطق بالتاء وليس بالطاء كما فى كثير من الخرائط .

من الأسماء المعروفة لدى الفنقيين اسم " بادى " وهو اسم نشأ بين الفونج فى السودان أيضا . ولكن أهل زيلع كانوا يستعملون هذا الاسم ، ويقولون بأنهم أخذوه من اسم " بدوى " وهو اسم السيد البدوي المصرى الذى عرف بالصلاح والتقوى فى مصر . واسم بادي أصبح اسما مشتركا بين سواحل البحر الأحمر الصومالية أى القرن الإفريقي وبين سلاطين الفونج .

ويرجع الفونج نسبهم الأموي إلى سليمان بن عبد الملك بن مروان ، ويقولون بأن ذريته لجأت إلى الحبشة وهو الاسم الذى عرف به القرن الإفريقي ، ومن هناك بدأت هجرتهم إلى الأراضي السودانية .

وفى رأينا المتواضع فان بعضا من أبناء سليمان بن عبد الملك قد لجأ مع أبناء مروان بن محمد إلى أراضى البجة ثم إرتريا حتى وصلوا إلى الصومال حيث وجدوا فى بعض ثوار الزنج هناك من يتبعهم ، وربما تزوجوا

---

[٩] نعوم شقير . ص ٨٦٢ تحقيق أبو سليم .

فيهم أو فى أهالي الصومال ، ثم رأوا أن ينزحوا بعد أن اشتد ساعدهم حتى وصلوا الى الأراضي السودانية ، وتحالفوا مع بعض زعماء البلويين الذين كانوا على رأس الزعامة البجاوية ، واتحدوا معهم بحكم الدين الإسلامي الذى كان يعتنقه كلاهما ، وانتهى الأمر بهم إلى إسقاط مملكة علوة ، والاستيلاء على سوبة ، وفرار زعماء النوبة أمامهم فى غربي الأراضي السودانية .

ومما يسترعى الانتباه أن هناك أسطورة صومالية تذكر بأن هناك أسرة صومالية معروفة باسم " عيلة فون " رحلت من الصومال صوب الأراضي السودانية واستقرت فيها فى مكان دعي " عيلفون " وهناك اشتبكوا مع الحكم النوبى وانتصروا عليه بمؤازرة العرب المسلمين واستولوا علي الحكم فى الأراضي السودانية حيث ظهرت إلى الوجود سلطنة الفونج . ولا نشك فى أن قبول القبائل العربية فى السودان لزعامة الفنج لابد أنها لسبب قوي يعود إلى زعامة تاريخية سابقة ، وليس هناك من يستحق مثل هذا الملك سوى بيتين من بيوت قريش هما آل هاشم أو آل أمية . ومن هنا فإن أبناء سليمان أبن عبد الملك من الفنجيين تمكنوا من نشر نفوذهم على سائر القبائل العربية المتحالفة معهم فى الأراضي السودانية وعلى رأسها قبيلة القواسمة تحت زعيمها عبد الله جماع الذى أصبح وزيرا لأول سلطان أموي فنجي فى السودان وهو السلطان عمارة دونقس . وقد استطاع هذا السلطان أن يجمع عددا كبيرا من العرب الذين لجأوا إلى السودان فرارا من المماليك طوال عدة قرون ، ثم بسط نفوذه على ما عرف اليوم بالحلف السناري نسبة لعاصمتهم سنار ، واستمرت هذه المملكة تحكم البلاد حتى تقوضت على يد إسماعيل بن محمد علي باشا والي مصر وذلك فى سنة ١٨٢١م .

قريش

المسلمية

من القبائل القرشية التي نزحت إلى السودان قبيلة المسلمية وهي بطن من بطون فروع قريش . وتنتمي هذه القبيلة إلى سيدنا أبي بكر الصديق ، وهي لذلك تجتمع مع أبناء عمومتها من قبيلة العجيلاب ، وبيت عوض ورقبات ، وكل هذه القبائل الثلاث من قبائل بني عامر التي تعيش في شرق السودان وتمتد ديارها ورجالها حتى داخل إرتريا . وقد انتقلت رجالات بنى تيم من أبناء أبي بكر الصديق (ض) من مصر إلى السودان مع جنود المماليك وخاصة في حملة سنة ٦٨٦هـ / ١٢٨٧م . [١٠] وقد أقامت قبيلة المسلمية مركزها الرئيسي في المسلمية التي سميت باسمهم أما بقية القبائل الأخرى التي ذكرناها فإنها تقيم في جهات كسلا وعلى ساحل البحر الأحمر .

ولربما كان أبناء سيدنا أبي بكر الصديق الذين أقاموا في المسلمية هم من بين العرب الذين انتزعوا وطنهم الجديد من أيدي مملكة علوة النوبية المسيحية . ولما كانت للقرشيين مكانة سامية في نفوس القبائل العربية فإنهم

---

[١٠] راجع الفصل الخاص بالمماليك والقبائل العربية

كانوا يجدون تقديرا واهتماما حيثما نزلوا فى السودان . وبقي بعضهم فى كثير من الأماكن أثناء هجرتهم ، وقد استقر بعضهم فى جزيرة ضرار حيث استقرت معهم بعض القبائل العربية الأخرى .

وتقول قبيلة المسلمية ان جدهم مسلم قد هاجر من اسنا فى صعيد مصر . ولقد ذكر النويرى بأن أبناء أبي بكر الصديق (ض) كانوا من جنود المماليك غير النظاميين الذين توغلوا فى الأراضي النوبية ، ومن الواضح أنهم ، طلبا للابتعاد عن يد المماليك ، فقد رأوا الإقامة في السودان حيث اختاروا الإقامة فى وطنهم الحالي الذي نسب إلى اسم جدهم الذي بدأ الهجرة إلى الأراضيالسودانية . [١١]

---

[١١] عبد المجيد عابدين : تحقيق البيان والاعراب للمقريزي .

obeikandl.com

قريش

الدقناب أو الدِّقْنَيْ

الدقناب هى إحدى قبائل الهدندوة ، وتسكن فى أركويت والمنطقة التى حولها حيث جعلوا منها وطنا ومستقرا . ويرجع نسب هذه القبيلة إلى الخليفة العباسي هارون الرشيد الذى كان له اثنا عشر ولدا ، وقد تكاثر نسله وتفرقوا فى كثير من أنحاء البلاد الإسلامية . ومن أبناء هذه القبيلة المشهورين أمير الأمراء الأمير عثمان أبو بكر دقنة الذى اشتهر بالحنكة والشجاعة والتفوق العسكري حين كان يحارب البريطانيين وجيوشهم الجرارة فى شرق السودان طوال فترة الثورة المهدية أي حرب الاستقلال . وقد عمت شهرته الآفاق وكتبت عنه وعن بطولاته وتكيكاته العسكرية الصحافة البريطانية بين سنة ١٨٨٣ إلى نهاية حرب الاستقلال فى عام ١٨٩٨م . [١٢]

أما جد هذه القبيلة الأول الذى حضر إلى سواكن فقد كان يدعى عبد الله . وكان شديد البياض حتى أنه كان يلقب بالتركي . وتزوج

---

[١٢] اقرأ عن الأمير عثمان دقنة فى كتب محمد صالح ضرار : تاريخ سواكن والبحر الأحمر ، وكذلك فى تاريخ اقليم البجة بشرق السودان . ويمكن الرجوع أيضا الى ما كتبه مؤلف هذه السطور فى تاريخ السودان الحديث .وهناك أيضا سيرتة بعنوان " أمير الشرق " من تأليف محمد سليمان ضرار ، نشر الدار السودانية . وكتب عنه جاكسون باللغة الإنجليزية بعنوان " عثمان دقنة " ، وغيرها من الكتب الإنجليزية مثل معركة توفريك .

عبد الله عند وصوله إلى سواكن بالسيدة رقية ابنة الشيخ عبد العليم العباسي قاضي سواكن الذى عينه فى تلك الوظيفة الخليفة العثماني . وكان عبد الله هذا أول من دخل الأراضي السودانية من أسرة الدقناب . وقد مات عبد الله وزوجه حامل فى سنة ٩٥٧هـ . ثم لما وضعت ولدا سمي ابنها عبد الله باسم أبيه . وما زالت هذه الذرية تعيش فى سواكن حتى عين على بك دقنة رئيسا لبندر سواكن فى عهد الخلافة العثمانية ، واستمر يملأ هذا المنصب حتى بعد انتقال سواكن إلى خديوي مصر ، وتوفى فى سنة ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م وكان الشيخ على بك دقنة أحد أبناء عمومة الأمير عثمان أبو بكر دقنة .

كان العرف السائد فى سواكن أن كل من يهبط إليها من أجانب ، ويدَّعي نسبا عربيا شريفا يعمد إلى تأكيد ذلك إما بمن كان من أقربائه بسواكن أو من نقابة الأشراف فى القاهرة ، أو مكة المكرمة . وكثيرا ما كان يسافر بعض أولئك النازحين من الأشراف إلى مكة لإثبات نسبهم فى إحدى هذه البلدان .

وكان أول من أثبت نسب الدقناب منهم هو الشيخ محمد بن على دقنة فقيه سواكن الشافعى الذى حمل نسبة أسرته إلى الإسكندرية عام ١١٧٢هـ / ١٧٥٨م والتقى هناك بأبناء عمومته ، وعرض عليهم نسبه ، وقابله مع نسبتهم ، وتحقق من صحتها ، ثم عاد إلى سواكن حيث احتفظت بها الأسرة . وكان أحد جدود قبيلة الدقناب قد تزوج من قبيلة الويل ألياب (ويل علياب) [١٣] وهم بيت نظارة قبيلة الهدندوة ، وبفضل هذه المصاهرة تفرعت قبيلة الدقناب من الهدندوة وبالذات من قبيلة بشارياب الهدندوة .

---

[١٣] الولي علي ، والألفاظ الأولى باللغة التداوية .

وأصبحت قبيلة الدقناب فرعا من فروع قبيلة الهدندوة إذ أنها نشأت من إحدى بناتهم . وقد تفرعت عشائر كثيرة من قبائل البجة بمثل هذه المصاهرات إذ كثيرا ما يحدث أن تنتمى أسرة البنت وذراريها إلى القبيلة البجاوية وتصبح منها بعد ذلك .

ويسكن أبناء هذه القبيلة فى مصيف وجبال أركويت بالبحر الأحمر ، وتغلب على رجالهم النزعة الدينية والابتعاد عن عرض الدنيا . وكان ابنهم الكبير أمير الأمراء عثمان دقنة قد أسر بعد نهاية المهدية ووقع فى يد البريطانيين سنة ١٩٠٢م ، فأخذوه من الجبال حيث كان يريد أن يعبر البحر الأحمر ليلجأ إلى أرض الحرمين الشريفين إلا أنه وقع فى يد الأعداء ، فخاف البريطانيون من أن يسبب وجوده فى سواكن ثورة عليهم وعلى حكمهم فرأوا أن ينفوه إلى مصر . فبقى بعض الوقت فى سجن رشيد وسجن دمياط . ولما هدأت الأحوال فى السودان أرسل إلى حلفا حيث أقام فى سجنها أسيرا حتى وفاته سنة ١٩٢٦م . وكان هو الوحيد من أمراء المهدية الذى ظل فى السجن دون أن يطلق سراحه إذ أن بقية الأمراء والزعماء نعموا بالحرية بمجرد انتهاء أمر الخليفة عبد الله . وأبدى الأمير عثمان دقنة رغبته فى أن يحج إلى بيت الله الحرام قبل وفاته ، فسمحت له الإدارة الإنجليزية فى السودان بذلك ، فذهب إلى الحج وأدى الفريضة وهو فى حراسة مشددة . ولما عاد إلى السودان فى تلك السنة عاجلته المنية وفاضت روحه إلى بارئها رحمه الله رحمة واسعة . ودفن فى وادي حلفا ، ثم لما غرقت المدينة بسبب إقامة السد العالى نقل جثمانه إلى أركويت فى عهد الرئيس عبود .

وقد خلف الأمير بعض البنين والبنات منهم الشيخ على الذى عرف بالورع والتقوى . وخلف الأمير كذلك بنتا اسمها فاطمة تزوجها محمد حسن داود وولدت له عددا من الأبناء من بينهم فتح ا لله الذى أنجب ولدا أسماه يسري ، وقد تزوج هذا الحفيد من كريمتنا هند التى أنجبت كلا من يوسف وابنتهما وسام حفظ ا لله الجميع وبارك فى ذرية الأمير وذريتنا.

obeikandl.com

قريش

الحسناب :

يرجع نسب قبيلة الحسناب إلى الشيخ إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد أبن العجيل العمري . وقد حضر من مدينة غسانة باليمن ، وأقام فى سواكن ، وأسس هذه القبيلة . وكما هو واضح فإن نسب الحسناب يعود إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه .

وتسكن هذه القبيلة السودانية ذات الأصول القرشية فى سواكن وما حولها . وقد أفاض المؤرخ السوداني في الحديث عن تاريخها في كتابه تاريخ سواكن والبحر الأحمر . [1]

قريش

الشادلياب :

من القبائل القرشية التى استوطنت فى شرق السودان بين قبائل البجة ، قبيلة الشادلياب ، فقد تزعم جد هذه القبيلة بعض أفراد من البجة وأصبح ملك القبيلة . ويرجع أصل الشادلياب إلى أبي الحسن الشيخ على أبن عمر اليلق الأموي . وكان قدومه من مدينة موخع (موخا) باليمن ، وصاهر قبيلة الأرتيقة ، وقد نشر الطريقة الشادلية بين أهل سواكن وتوكر والعقيق ومصوع . [2]

---

[1] محمد صالح ضرار : تاريخ سواكن والبحر الأحمر . نشر الدار السودانية للنشر بالخرطوم .

[2] محمد صالح ضرار : نقلا عن مختصر تاريخ البجة (مخطوطة) .

قريش

السيقولاب :

تنتمى قبيلة السيقولاب إلى قبائل البجة ، أما زعماؤها فهم من أبناء سيدنا أبي بكر الصديق رضي ا لله عنه . وقد وصلت هذه العشيرة مع بني عمومتهم من زعماء الملهيتكناب بعد رحلة طويلة من صعيد مصر حتى وصلوا إلى جهات كسلا حيث ألقوا عصا التسيار وأقاموا هناك .

والمعروف أن أبناء أبى بكر الصديق رضي ا لله عنه كانوا من بين العشائر العربية التى سارت فى جيش المماليك غير النظامي بمعية الجيش المملوكي النظامي إلى داخل الأراضي السودانية لمحاربة النوبة في دنقلة ٦٨٦ هـ. وكان هناك أكثر من أربعين ألف جندى غير نظامي في معية الجيش المملوكي ، وكانوا من عدة قبائل عربية من بينهم أبناء أبى بكر الصديق . وكان أبناء كل من محمد وعبد الرحمن أبناء أبى بكر الصديق في تلك الحشود التى دخلت السودان ولم تعد منه إلى مصر أو الجزيرة العربية . وقد ذكرت هذه الرحلة كثير من المصادر العربية . [٣]

يقول مؤرخ البجة محمد صالح ضرار بأنه كان لهذه القبيلة مسجد كبير بجهة " تندلاي " يقال له مسجد " وايْرا " أى المسجد الأبيض بسبب الأنوار التى تضاء في ساحته . ويروى أيضا أن عدد الطلاب الذين كانوا فيه ويسمون بمحمد قد بلغوا مائة طالب . ولكن لم يبق من هذا الجامع إلا بعض الأحجار الكبيرة المتناثرة هنا وهناك والتى تدل على اتساعه وكبر ساحته .

---

[٣] د. مصطفى مسعد : المكتبة العربية السودانية نقلا عن النويرى .

قريش
الملْهِيتْكِنابْ

تولى زعامة هذه القبيلة ونعنى بها الملهيتكناب أبناء محمد بن أبى بكر الصديق ، وكانوا قد اشتركوا فى فتح دنقلة أيام الملك الناصر بن قلاوون سنة (٦٨٦هـ / ١٢٨٧م) ومكثوا هناك بعض الوقت ، ثم صعدوا على النيل حتى وصلوا أتبرة " عطبرة " ، ومن هناك اتجهوا شرقا متتبعين نهر أتبرة حتى وصلوا فى آخر الأمر إلى بلاد التاكا (كسلا) ، وهناك طاب لهم المقام فأقاموا فى المنطقة التى ما زالوا فيها حتى هذا اليوم . وكانوا قد أسسوا مدارس لحفظ القرآن ، وتعليم شرائع الدين الإسلامى لمن كان تحت زعامتهم من البجة . وتعنى ملهيتكناب " أصحاب الأرض الخصبة[٤] " . وقد تفرع منهم عجيل بن ضرار الذى اختلف مع أهله البكريين ونزح إلى سواحل البحر الأحمر جنوبي توكر وأنشأ قرية عقيتاي حيث كون قبيلة العجيلاب والأفلندة . ومن أهم شخصيات هذه القبيلة مؤرخ البجة والسودان المغفور له والدنا محمد صالح ضرار والذى لخصنا كثيرا من تاريخ قبائل السودان من كتاباته ، كما أن كل ما لخصنا من تاريخ قبائل البجة إنما هو من تراثه الخالد .

ولهذه القبيلة فضل كبير في نشر تعاليم الدين الإسلامي وشرائعه بين قبائل البجة التى تسكن فى إقليم التاكا " التاكة " والتى لم تكن تتحدث اللغة العربية أو تعرفها ، ولكن تفاني هؤلاء القوم وجهادهم فى ميدان نشر

---

[٤] بلغة البجة .

الدين الإسلامي جعلهم يؤدون المهمة ويقومون بها خير قيام ، وقد عرف فضلهم العلمي سائر أبناء القبائل البجاوية والعربية التى دخلت مدارسهم ، وتعلمت فيها ، وتفقهت على يد مؤسسيها ومعلميها .

قريش

العجيلاب والأفلندة

العجيلاب هم أبناء عجيل بن ضرار الذى ينتهى نسبه بسيدنا محمد أبن سيدنا أبى بكر الصديق ، وقد اختلف مع أهله فى جهات كسلا ورحل إلى سواحل البحر الأحمر فى قرية عقيتاي كما مر بنا . [٥] وعندما وصل إلى هناك انضمت إليه قبيلة الأفلندة على عادة العرب حين يبحثون عن ولي يؤازرهم فى الدفاع عن أنفسهم ، ويحميهم ضد الآخرين . والأفلندة كانوا من بطون البجة التى تتكلم باللغة البنى عامرية . فأصبح العجيلاب بعد هذا الائتلاف شيوخا للقبيلة ، والأفلندة الرعية . أما بعد سنة ١٩٤٧ فقد استقل الأفلندة عن شيوخهم ، وبقيت أسرة آل ضرار هم الشيوخ الذين يرعون سائر قبيلة العجيلاب ، وقد تعاقب على تلك المشيخة كل من الشيخ محمد ضرار علي ، ثم ولده نور الدين محمد ضرار ، ويرأس القبيلة الآن الشيخ همد " محمد " محمد ضرار .

ويعرف عن الشيخ محمد ضرار على ومن ورائه أخوه المؤرخ محمد صالح ضرار على أنهما رائدا حركة تحرير عربان بنى عامر الذين كانت

---

[٥] أرجع الى ما كتبناه عن قبيلة الملهيتكناب .

تتوارثهم بيوت الزعامة كأنهم جزء من أملاكها . وقد جاهد والدنا كثيرا مع الحكم الثنائى وزعماء البلاد السياسيين للعمل على تحرير هؤلاء العربان وإرجاع كل قبيلة إلي أصولها وقبائلها التى كانت تنتمى إليها قبل حركة التحرر .[٦] وقد نجح في ذلك عام ١٩٤٧م ، وتحررت العربان بفضل جهوده وأخيه ، وتفهم الإداريين البريطانيين لذلك الوضع القبلي الموروث .

قريش

ماريا

قبيلة الماريا هى إحدى قبائل بنى عامر التى يعود نسبها إلى الأمويين الذين نزحوا من أجزاء الجزيرة العربية بعد سقوط دولتهم .وقد نزلوا على سواحل البحر الأحمر بالقرب من ميناء العقيق ومصوع ، ثم تكاثر نسلهم ، وانتشروا فى سائر أنحاء مملكة بنى عامر . وتسكن بعض عشائر هذه القبيلة فى كسلا ، وقد أسس أجدادهم مدرسة للقرآن فى القرون الماضية كما انتشرت بطون منها فى إرتريا عندما كانت جزءا من مملكة بنى عامر . ويتحدث أبناء هذه القبيلة اللغة البنى عامرية بالإضافة إلى اللغة العربية .

---

[٦] لمعرفة المزيد عن تحرير قبائل بنى عامر ارجع الى كتاب محمد صالح ضرار بعنوان : تاريخ شرق السودان .

obeikandl.com

العباسيون :

الهدندوة:

تعد قبيلة الهدندوة من أكبر القبائل البجاوية التى تعيش فى شرق السودان ، وهى إحدى ممالك البجة الخمس التى هي مملكة الهدندوة ، وبنى عامر ، والأمارأر ، والبشاريين ، والحلنقة . ويرى بعض المؤرخين أن البجة هم من أصل سامي ، نزح من الجزيرة العربية إلى الضفة الغربية للبحر الأحمر . وقد تابع ذلك المؤرخ محمد صالح ضرار في كتاباته عن هذه الأمة البجاوية ، وأوضح صلتها القديمة بالجزيرة العربية منذ عهود عاد وثمود قبل ما حل بهم .

إلا أنه منذ أن دخل الإسلام أرض البجاة سنة ٢١هـ / ٦٤٣م وبعد أن اعتنق أبناء البجة الدين الإسلامي أخذت القبائل العربية تتقاطر إلي أرضهم ، وبدأ الاختلاط والانصهار .

وكما حدث لكثير من البطون السودانية فان كثيرا من الزعماء العرب المسلمين تزاوجوا في أمة البجة واستخلصوا لأنفسهم قبائل وعشائر منها وأدخلوا القبلية العربية بعد أن كانت مملكة البجة تتكون من خمس ممالك ، فأصبحت تتكون من عدد من القبائل الصغرى أيضا تحت مظلة قبيلة كبرى .

وبيت النظارة لهذه القبيلة من أصل عباسي إذ يعود نسب زعماء القبيلة إلي العباسيين الذين قدم أحدهم إلى شرق السودان في حوالي القرن السابع الهجري . وكان يدعى هذا العباسي محمد ولقبه الهدندوي " هَدابْ " وتزوج من ابنة ابن عمه الذى كان قد سبقه إلي إقليم البجة ، ثم ما لبث أن

ولدت له هذه الزوجة ولدا سماه البجة أحمد باركين (باركوين) ، وتزوج أحمد إحدى العلويات التى وجدت ضائعة في إحدى المراسي بعد أن ضاعت من السنبوك الذى كانت فيه . ورزق أحمد باركوين سبعة أبناء من هذه الزوجة العلوية . واختلف أحمد مع ملك البجة المدعو شكيتل ، ونشبت الحرب بينهما ، فانتهت بمقتل الملك البجاوى واستيلاء أحمد على أمواله ومملكته ، وأصبح منذ ذلك التاريخ بيت نظارة الهدندوة من ذرية العباسيين .[٧]

هكذا نجد أن العرب كانوا يدخلون فى البجة ، ويعلمونهم الكثير من شعائر الدين الإسلامي كما فعل عبد الله العباسي حين نزل أرض البجة ، ثم يكسبون ود البجة ، ويسقطون البيت البجاوى المتزعم ويرثون المنصب بعده .

العباسيون – الَجعَلِيّون
النأبتابْ

نشأت هذه القبيلة أو الأسرة التى تزعمت قبائل بنى عامر فيما بعد من تزاوج بين علي نابت الجعلى العباسي وبين زعماء البجة من قبيلة البلو (بلي العربية) . وتزوج علي من ابنة ملك البجة ، ثم قتله البلو لأنهم اتهموه فى نسبه ، ولم يقروا رئيسهم على ذلك الزواج . وتمضى الرواية فتذكر بأن

[٧] لمزيد من المهعلومات يرجى الرجوع الى كتاب محمد صالح ضرار عن تاريخ شرق السودان – قبائل مملكة البجة – الهدندوة .

على نابت سمى بهذا الاسم لأنه كان يقول لأصهاره بأنه نبت من الأرض . فلما قتل وكبر ابنه عامر في كنف أخواله ، وشب عن الطوق عيره أصحابه لأنهم قتلوا أباه ، وأنه ليس منهم . فسأل أمه عن أبيه وأصله ، فأعطته مخلفات والده وفيها نسبه الجعلي العباسي الذى أخذه ، وسيف أبيه ، ورحل إلى أرض الجعليين في شَنْدي . وهناك آزره أهل والده والتمسوا من مملكة الفونج المساعدة لقهر البجة ، فأعطاه سلطان الفونج كوكبة من الفرسان فخرج بها عامر إلى مقر ملك البلو فى أَسَرَمَ دَرْهِيبْ[٨] حيث انضمت إليه بعض القبائل الأخرى . وبعد معركة دامت ثلاثة أيام انتصر حلف عامر على ملك البلو وجنوده من أبناء البجة الذين تفرقوا عنه بعد ذلك . ومنذ ذلك الحين تولى عامر الملك وسميت هذه المملكة الجديدة ببنى عامر حسب هذه الرواية .

ومازال أبناء هذه الأسرة يتزعمون قبائل بنى عامر سواء في السودان أم في إرتريا فالناظر هنا وهناك أبناء عمومة .

وهناك رواية أخرى ترجع اسم بنى عامر إلى تاريخ أسبق من هذا التاريخ الذى حدث في أيام الفونج لأن هذه القبيلة كانت معروفة بهذا الاسم منذ أن انضمت إلى سلطنة الفونج طواعية .

كذلك يتشكك الباحثون في صدق رواية مقتل على نابت بهذه الكيفية التى تشبه مقتل والد ابن مد في جزيرة عيرى التى سبق أن تناولناها بالبحث في فصل سابق . ويبدو أن أسطورة زواج العربي الغريب بابنة أحد الملوك الوطنيين ، ثم التآمر على حياته وقتله ، ورجوع ابن الغريب بمساعدات خارجية كانت من بين الأساطير المتداولة في السودان بصفة

---

[٨] تعنى التلال السبعة باللغة التبداوية .

عامة . وشعوري العام في هذه المسألة أن يرجع إلى مصادر أخرى لتوضيح الصلة بين اسم بنى عامر ، وكل عامر كان في تاريخ هذه القبيلة ، كما أحبذ أن يرجع إلى ما كتبه مؤرخ البجة محمد صالح ضرار في هذا الشأن ، وتمحيص ما رواه لأنه في واقع الأمر يبدو مقتنعا بصدق هذه الرواية ، وهو يرى القبول بها طالما أنه لم يكن هناك رواية أخرى تعارض هذه ، ويمكن تمحيصها ، وهذا ما لم يتسن لي أن أجده أثناء كتابتى هذه الكلمات . [٩]

وقبيلة النابتاب تمثلها في السودان قبيلة عدهاسرى أى أبناء هاسرى ، وهاسرى هي العائلة الوحيدة من النابتاب الموجودة بالسودان الآن .

ويرجع الكتاب الغربيون من أمثال سيرولاس بدج وترمنجهام اسم بنى عامر إلى بنى عامر كنو أو قنُّو وكذلك فعل السنيور روزيني . وفى رأيي فإن هذا الاسم قديم قبل أيام سمرة العامرى الذى كان أميرا على أهله ويحارب الأحباش وأيده في ذلك السلطان المملوكي . ويرجع نسب سمرة هذا إلى العامريين فهو عامرى مما يشير إلى أنه كانت هناك قبيلة أو أسرة أو زعامة بهذا الاسم منذ القرن الثامن الهجرى . [١٠]

---

[٩] يرجع لكتاب الوالد محمد صالح ضرار عن تاريخ اقليم البجة بشرق السودان ، ومختصر تاريخ البجة . أنظر ما كتبته عن بني عامر في هذا الكتاب .

[١٠] أرجع للفصل الخاص ببنى عامر فى هذا الكتاب .

قريش –العباسيون

مملكة تقلي

كان الجعليون من بين القبائل والأفراد الأكثر تحديا للصعاب فنزحت بعض فصائلها من مقرها على النيل ، واتجهت نحو الجنوب الغربي حتى وصلت إلى منطقة جبال النوبة ، وهناك استطاع بعض أبناء الجعليين إقامة مملكة تقلي وسط الحشود الوثنية ، وأدخلوا الدين الإسلامي في تلك المملكة التى أصبحت تستقبل الكثيرين من الرواد المسلمين للإقامة فيها . وكان مؤسس هذه المملكة الإسلامية هو محمد الجعلي . وكان أحد الفقهاء كما كان وصوله إلي تقلى في حوالي سنة ٩٣٦هـ / ١٥٣٠م . وبإنشاء هذه المملكة الإسلامية فقد توقف الهجوم عليها لاختطاف الرقيق . وتمكن الملك الجعلي المسلم من وضع حد لتلك الممارسات فى ذلك العهد الذى أخذت بعده كل من بريطانيا وأسبانيا في اصطياد الرقيق من إفريقيا بالآلاف وبيعهم في أسواق أمريكا حيث كان يموت منهم المئات في السفن والمستودعات التى كانوا قد أعدوها في ليفر بول بغرض تحقيق أرباح طائلة من تجارتهم الهمجية . أما محمد الجعلى فإنه بوصفه فقيها استطاع أن يحد من هذا التجني ، ووثق العلاقات بين العرب والنوبة ، وأخذ بعض الأفراد من العرب التزوج بالنوبيات كما حدث في بقية أنحاء السودان مع نوبة النيل الأمر الذى يسر انتشار الدين الإسلامي والمثل الإسلامية العليا بين أبناء البلاد .

الهاشميون

الحباب

الحباب من قبائل البجة الكبيرة العدد التى تسكن السودان الشرقي وتمتد بطونها إلى داخل أراضى إرتريا حيث توجد أغلبية القبيلة . ويتكلم الحباب باللغة البنى عامرية والتى تنتشر بينهم ولا يتكلمون غيرها . ومع أن القبيلة بجاوية وذات أصول سبئية إلا أن زعماءها وهم آل كنتيباي (الزعيم أو الملك) يذكرون أن أصولهم قرشية ، وأن جدهم هو الفضل بن العباس ابن عتبة بن أبى لهب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . فهم لذلك من الهاشميين القرشيين . وقبل أواخر القرن التاسع عشر كان شرق السودان من سواكن إلى مصوع تحت إدارة تركية ثم مصرية خديوية ، ولذلك فلم تكن هذه القبيلة مقسومة بين السودان وإرتريا بل كانت تجوب كل أنحاء شرق السودان كما تشاء مثلها في ذلك مثل غيرها من قبائل البجة البنى عامرية . غير أنه منذ أن احتل الطليان إرتريا ، والتى أطلقوا عليها ذلك الاسم تخليدا للاسم الذى كان يطلقه الكلاسيكيون من يونان وروما على جنوبي البحر الأحمر وباب المندب والخليج الممتد من المحيط الهندي فقد أصبحت الكلمة مستعملة علميا وجغرافيا و لكي تعنى تلك المنطقة من البحر الأحمر . وكانت هناك منازعات بين زعيم الحباب والحكومة الإيطالية مما ضيق الخناق على تنقلات الحباب داخل الأراضي السودانية والإرترية .

والحباب من أكثر سكان شرق السودان معرفة بالزراعة وخاصة زراعة القطن وحصاده ولهم في هذا الميدان باع طويلة . وكانوا دائما يعملون في هذه الزراعة بدلتا طوكر " توكر " ، ويطلق على شيوخهم لفظ كتيباي ومعناها الزعيم أو الملك . [11]

قريش – بنو أمية

أَلْمدَة

قبيلة أَلْمَدة من أكبر قبائل البجة عامة عددا وخاصة إذا ما قورنت بقبائل بنى عامر التى هي في الأصل جزء منها . وكان بسبب كثرتها في عام ١٩٤٦م أن أسماها مفتش قبائل بنى عامر بالغابة ، وكان يأوى إليها كثير من القبائل المضمحلة التى نالت الحرية ولم تجد لها قبيلة كبيرة تستظل بظلها .

ويقول شيوخ هذه القبيلة عن تاريخهم المنقول شفويا والذى يؤيده رواتهم ورواة غيرهم من قبائل بنى عامر بأنهم من أصل أموى نزحوا إلى جزيرة عيرى أو الريح " ابن مُدّ أيضا " بشرق السودان جنوبي ميناء العقيق السودانية وفى هذه الجزيرة التي شهدت حضارة ومدنية خلال القرون الهجرية من الرابع إلى الخامس ، زاد نفوذ هذا البيت الأموى وانضم إليه

[11] اقرأ تاريخ هذه القبيلة فى كتاب محمد صالح ضرار : تاريخ الحباب والحماسين : الدار السودانية للنشر .

الكثير من أبناء قبائل البجة الذين ضاقت بهم الحال ، أو ضعفت قوتهم ، فتكاثر حلفاء القبيلة حتى أصبحت الآن من أكبر قبائل الإقليم ، كما أنها نزحت من تلك الجزيرة وعبرت الخليج الضيق إلى أراضى السودان ، وامتد سلطانها بين السودان حتى داخل مملكة بنى عامر إرتريا . [١٢]

بنو مخزوم

عرف بنو مخزوم بأنهم إحدى بطون قريش ، وهم أبناء لؤى بن غالب القرشي العدناني ، فهم لذلك من أهل مكة . ومن خيرة رجال بنى مخزوم في الإسلام سيف ا لله خالد بن الوليد رضى ا لله عنه . وقد قالت المصادر العربية بأنه لم يكن له عقب وأن كل من تسمى ببنى خالد فهم من آخرين لا يمتون إلى سيف ا لله بصلة . ومن بين رجال هذه القبيلة الذين لم يهدهم ا لله إلى الدين الإسلامي أبو جهل عدو رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم الذي كفر بالرسالة وأظهر العداء للنبى الكريم (ص) ، وكذلك كان أخوه العاص ، فكان كلاهما من أشد أعداء سيدنا محمد (ص) أما أخوهما مسلمة بن هشام فقد كان من رجال مخزوم الذين أسلموا على يد الرسول (ص) ، وكان من خيار المسلمين . ومن بين رجال مخزوم أيضا الذين عرفوا بين الناس سعيد بن المسيب الذي كان من التابعين المشهورين.

---

[١٢] لمزيد من المعلومات حول تاريخ هذه القبيلة راجع محمد صالح ضرار فى كتابه : تاريخ الحباب والحماسين بالسودان وارتريا – ص ١٤٤ . طبع الدار السودانية .

ويذكر المقريزي في كتابه البيان والأعراب قبيلة باسم مخزوم ، وقال بأنها بطن كان بصعيد مصر فيه بأس ونجدة .

ومع أننا لم نلتق بهجرة لبنى مخزوم أثناء لقائنا بالقبائل العربية إلا أننا التقينا بأحدهم وهو زكريا بن صالح المخزومى الذى كان يعيش بين قبائل البجة في صحراء عيذاب ، وخالطهم في حياتهم اليومية ، وتعلم لغتهم ، فلما نشبت الحرب بين البجة والمسلمين من العرب ، ووضعت الحرب أوزارها قام هو وعبد الله بن إسماعيل القرشي بترجمة المعاهدة آلتي أبرمت بين البجة والمسلمين سنة ٢١٦هجرية . ولا يعرف ماذا كان يعمل هؤلاء القرشيون وسط أراضى البجة ، ولكن من المتوقع أن تكون هناك جماعات من قريش قد استقرت وسط البجاة ومن بينهم بعض القرشيين من بنى مخزوم وغيرها . وقد ذكر المقريزي بأن زكريا كان من سكان جدة . وليس هناك من بطون سودانية فيما نعرف ترجع نسبها إلى بنى مخزوم ، لكن من المؤكد أن بعض هؤلاء قد اختلطوا بالبجة وتزاوجوا فيهم ، واندمجوا اندماجا كاملا أصبحوا معه أفرادا من البجة ، وضاع اسم مخزوم في ذلك الخضم البجاوى .

ولهذا فإن انتسب أى من الجماعات إلى بنى مخزوم فإن ذلك النسب لا مطعن فيه إذ ثبت وجود جماعة من هذه القبيلة في الأراضي السودانية منذ القرن الثالث الهجري .

وفى دارفور بغرب السودان كما في وَدَّايْ قبيلة كبيرة تدعى المخازم ، وترجع هذه القبيلة اسمها إلى بنى مخزوم ، وتقول بأنها هاجرت حتى وصلت إلى تلك المناطق . وهذا ربما يشير إلى أن هذه القبيلة التى كان يسكن بعض أفرادها في شرقي السودان في بداية القرن الثالث للهجرة حيث كان إبراهيم المخزومى المترجم الذى سبق ذكره هنا . قد بدأت هجرتها من

شبه الجزيرة العربية إلى داخل الأراضي السودانية حتى وصلت إلى دارفور ووداي ، واستقرت هناك حيث هي الآن . وقد جمع اسمها جمع تكسير فأصبح المخزوميون مخازم . ومما يلاحظ أن كل عناصر الاسم من أحرف موجودة في هذا الجمع . ويبدو أن هذا الاسم قد أطلقته القبائل الأخرى على رجال بنى مخزوم ، فساد على الاسم القديم وتغلب عليه .

وربما كان وصول بنى مخزوم إلى منازلهم ومواطنهم في دارفور ووداي حوالى القرن الرابع عشر والخامس عشر الميلادى (الثامن أو التاسع الهجري) ، وأغلب الظن أنهم ربما تزامنوا في رحيلهم مع سائر القبائل العربية التى رحلت إلى هناك بعد انتصار المماليك على الخلف العربي الأول بقيادة الشريف حصن الدين .

وكانت قبيلة بنى مخزوم قد انتشرت في الأشمونين في القرن الرابع عشر مع بقية القبائل القرشية مثل بني طلحة وبني الزبير ، وبني شيبة ، وبني جعفر ، وبني أمية ، وبني زهرة ، وبنى سهم آل عمرو بن العاص إذ كانوا جميعا قد نزلوا حول الأشمونين بعد أن طردت القبائل القرشية جهينة من هناك بموافقة ومؤازرة الحكم الفاطمى في مصر .

قريش

الجعافرة – الجعفرية

يقول الدكتور يوسف فضل بأنه بمجرد أن استولى المماليك على الحكم في مصر بعد الأيوبيين ثارت القبائل العربية على حكمهم فى سنة (٦٥١هـ / ١٢٥٣م) . بقيادة الشريف حصن الدين ثعلب بن نجم الدين الجعفرى . وبدأت الثورة بأن امتنع هذا الشريف وأنصاره عن دفع الخراج الذى كانوا يدفعونه من قبل واجتمع عدد كبير من الثوار قدره المؤرخون باثني عشرة ألف محارب عربي اجتمعوا من سائر القبائل العربية للوقوف ضد المماليك . وكان أنصاره من بين العرب الذين اشتغلوا بالتجارة والزراعة والنقل ولذلك فقد كانت أحوالهم حسنة ، واستطاعوا أن يمتلكوا الخيل والسلاح . بيد أن السلطان المملوكي أيبك لم يمهلهم كثيرا وهم في قوتهم المتزايدة ، وأرسل إليهم خمسة آلاف فارس مملوكي من خيالته ، واشتبكوا مع العرب من أنصار الشريف الجعفري ، وهزموا الثوار ، وأسر الشريف بعد المعركة وأعدم .

كانت هذه الثورة من أهم الثورات التى قام بها زعماء الجعافرة في مصر . وبانتهاء هذه المعركة وسقوط شهداء عديدين فرت جماعات كثيرة من هذه القبيلة جنوبا إلى مملكة النوبة ومن هناك إلى الأراضي السودانية .

والجعافرة كما ذكر القلقشندى هم بطن من بنى الحسين السبط من بنى هاشم ، وهم بنو جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين ابن الحسين السبط .

وجعفر هذا من الأئمة الإثنى عشر ، وهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ثم ابنه الحسن السبط ، ثم أخوه الحسين السبط ، ثم ابنه علي زين العابدين ، ثم ابنه محمد الباقر ، ثم ابنه جعفر الصادق هذا ، ثم ابنه موسى الكاظم ، ثم ابنه علي الرضا ، ثم ابنه علي الهادى ، ثم ابنه محمد الجواد ، ثم ابنه حسن العسكري ، ثم ابنه محمد المهدي وهو الثاني عشر .

ويذكر الحمدانى أنه جاءت طائفة من بني جعفر إلي مصر فنزلوا بصعيدها من بحري منفلوط إلى سمالوط غربا وشرقا ، كما ذكر بأن لهم جدودا ببلاد أخرى يسيرة ، وهناك جماعات منهم تعيش في القدس الشريف وفى وادي بني زيد ببلاد الشام كما أورد المقر الشهابي .

ويبدو أنه منذ أن أعدم المماليك الشريف حصن الدين ثعلب أخذ هذا البيت ومن والاه من القبائل العربية في النزوح إلى السودان ابتعادا عن الاضطهاد المملوكي .

ويقول الدكتور محمد عوض [١٣] بأن هناك " أمثلة قليلة للتوغل من شمال أسوان مع التزام النهر (نهر النيل) إلى بلاد النوبة . ومثل هذه الهجرة تظهر لنا فى قبيلة الجعافرة الذين نزلوا جنوب القطر المصري بين قوص وأسوان ، ثم انتشروا جنوبا إلى بلاد المحس ، ومع ذلك فإن لهم شعبة الآن تعيش في كردفان ، وتتصل بالجوامعة ، وهذه على الأرجح سلكت الطريق

[١٣] محمد عوض : السودان الشمالى . ص ١٦٦ .

الآخر ، أى طريق العتمور إلى النيل ، أو هاجرت من بلاد النوبة إلى كردفان في زمن متأخر " .

وهناك بطنان في كردفان معروفان باسم الجعافرة أو الجعفرية إحداهما في قبيلة الجوامعة . وهم يسكنون فى ديارهم بأمّ دَمْ في كردفان ، والبطن الآخر في بني هلال . وتدل الروايات المعروفة أن كلا هذين البطنين هم من الجعافرة الذين يسكنون بين أسوان وإسنا منذ أن نزلوا فيها مع بقية القبائل العربية . وقد أخذت أعداد هذه البطون تتزايد في السودان كما التحقت بها عناصر عربية مختلفة بحكم زعامتها التاريخية لقبائل الصعيد في مصر .

وقد تناول الأستاذ التجانى عامر تاريخ هذه القبيلة في كتابه السلالات العربية السودانية في النيل الأبيض ، وكان ما ذكره عن الفائدة التى يريدها الباحث من حيث قيمتها العلمية ، ومتعتها الذهنية ، فقد ذكر بأن هناك أعدادا كبيرة من قبيلة الجعافرة تسكن في بعض قرى النيل الأبيض وفى مدينة الدويم وأم جَرّ ، كما أنهم ينتشرون فى مدن سودانية أخرى مثل الخرطوم وبربر والأبيض والرصيرص ومدني وغيرها .

ثم يتطرق هذا الباحث إلى دور الجعافرة في تطوير مدينة الدويم وكيف أنهم كانوا رواد زراعة القمح والخضروات فيها الأمر الذى لم يكن معروفا لدى الأهالي من قبل ، كما أنهم وفدوا على المنطقة وهم سكان حضر فأقاموا المنازل الثابتة المبنية من الآجر والطين . وهناك كثير من الجعافرة الذين مازالوا حتى الآن في بمبان والرمادى بمديرية أسوان ، وقد احترفوا الزراعة والتجارة وهى الحرف التى انتقلوا بها ومارسوها في النيل الأبيض .

وكانت هجرة الجعافرة متنوعة وإلى أقطار أخرى غير السودان أيضا إذ هاجرت منهم جماعات أيضا إلى ليبيا ، وهناك اختلطوا بالسنوسيين .

والجعافرة الذين سكنوا الدويم وقرى النيل الأبيض هاجروا إلى هذه الجهات في أيام العهد الفونجى ، كما انتقلت بطون منهم إلى كردفان في نفس الوقت ربما ليلحقوا بمن سبقهم مع الجوامعة وبني هلال .

وكسائر قبائل السودان فان الجعافرة اشتركوا في الثورة المهدية ، وجاهدوا فيها كغيرهم ، كما أن زعماءهم اختلفوا مع الخليفة عبد الله فسجن منهم من سجن ، وأطلق من أطلق .. ومازالوا يعيشون في أوطانهم المختلفة ويسعون لبناء وطنهم السوداني .

العليقات أو العقيلات

تنتمي قبيلة العليقات أو العقيلات في سائر أنحاء العالم إلى عقيل بن أبي طالب ، وقد حدث قلب في حروف اسم هذه القبيلة ربما لوجود حرفي حلق متتالين هما العين والقاف ، فخففهما الناس بقلب اللفظ إلى العليقات . وتنحدر هذه القبيلة من نسل محمد بن عقيل وانتشروا في عدة أقطار من العالم ، منهم في الحجاز والعراق والشام وفارس والهند وأفغانستان وليبيا ومصر والسودان .

وربما كان أول من ذهب من هذه الأسرة إل ى مصر هـو محمـد بـن عبد ا لله بن محمد عقيل واستقر فيها . وكانت الهجرات الأولي من العقيـلات قد استقرت في سيناء ، وكان قدوم أكثرهـا أيـام هجـوم التتـار علـى الدولـة العباسية وسقوط بغداد في أيديهم . ومكثت هذه القبيلة في سيناء ردحـا مـن الوقت ، ثم هاجرت بطـون منهـا إلى القليوبيـة في الديـار المصريـة وذلـك في القرن الثاني عشر الهجري أواخر القرن السابع عشر الميلادي .

وفي مصـر وجـدت عشـائر العقيـلات المهـاجرة أن أبنـاء عمومتهـم الجعـافرة قـد اسـتقروا بـالصعيد في أسـوان وقنـا ، فـاتجهوا نحوهـم ، وهنـاك وجدوا أنهم قد انتشروا أيضا في الأراضي السودانية خاصـة بعـد أن وجـدوا من المماليك كل أنواع التعسف والاضطهاد ، (انظر الجعافرة) .

اشتغل العقيلات في مصر بتسيير القوافل وما بها من تجارة بين مصـر وغرب السودان عـن طريـق درب الأربعـين الـذي كـان يربـط بـين أسـيوط ودارفور .

وفي عهد محمد على باشا ، خاصة قبل فتح السودان عام ١٨٢٠ – ١٨٢١م ازدادت حدة التنافس بين العقيلات والعبابدة في تسيير القوافل إلى الأراضي السودانية وشجع إبراهيم باشا بن محمـد علـى كلتـا القبيلتـين علـى تسيير القوافل وحراستها إلى السودان .

ولما بدأ الفتح المصري للسودان آنذاك اشـترك هـؤلاء القـوم في إعـداد جمـال الحملـة للجيـش المصـري كمـا كـانوا أدلاء الطـرق . وفي عـام ٨٦٢ هــ / ١٨٥١ – ١٨٥٢ م بدأت مصر في عمـل أول إحصـاء للسـكان ، فخـاف كثير من القبائل العربية من ذلـك الإحصـاء الـذي رأوا فيـه نذيـر شـؤم لأنـه سيقدم أبناءهم للجندية ، وسيفرض عليهـم أنواعـا جديـدة مـن الضرائـب ،

ولذلك نزحت أعداد أخرى من هذه القبيلة متجهة إلى السودان والى الأراضي الليبية . وكان شيخ القبيلة في عهد سعيد باشا الشيخ محمد عمار ، وورثت ذريته المشيخة .

اشترك نحو ١٧٦ جنديا من العقيلات في غزو كتشنر للسودان عام ١٨٩٦ ، وكان زعيمهم حسن بك عمار ، ثم انه هاجر نهائيا إلى السودان بعد سنة ١٩٠٦م واصبح أحد أعيان السودان . ونزح فرع منهم إلى بورتسودان واستوطنوها وهم معروفون حتى يومنا هذا آل عمار ، ومشهورون بحسن الأحدوثة .

قريش

أبناء كاهل – (البشارين) [١٤]

ينتمي نسب قبيلة البشارين (البشاريين) الى قبيلة بني أسد القرشية ، وجدهم هو محمد بن وراق من سلالة مصعب بن الزبير بن العوام . وكان قدومهم الى السودان مع ذويهم من قبيلة الكواهلة الذين سكنوا حول سواكن ، والتقى بهم الرحالة ابن بطوطة ، ورآهم وسمعهم يتحدثون باللغة البجاوية . فلما رحل جزء من القبيلة الى غرب السودان بحثا عن المراعي والخصب بقى هؤلاء النفر من الكواهلة فى صحراء البجة ، ولم يصحبوا بقية أهلهم . وكانوا يسكنون مع أبناء عمومتهم العبابدة (أبناء

[١٤] هكذا ينطق اسم هذه القبيلة فى الأراضى السودانية .

عباد) فى الشمال الشرقي للسودان وجعلوا جبل علبة عاصمة لهم . وكـان نزولهم فى هذا المكان قد قربهم أكثر من البجة ، فصاهروهم وتزاوجوا فيهم وأخذ نسلهم فى التكاثر . وفى أيام شيخهم محمـد بـن ابـن كـاهل توطـدت القربى أكثر بين البجة وبني كـاهل اذ أن هـذا الشيخ تـزوج بـاحدى بنـات الحدارب الذين كانوا ملوك البجة ورزق منها سبعة أولاد هـم بشـار وعمـار وعامر وكمال وكميل ومسلم ومرغوب .

ومن بشار بـن محمـد كـاهل انحـدرت قبيلـة " البشـارين " ، وهـي لم تاتصق بها اللازمة البجاويـة (آبْ) ، بـل أضحـى اسمهـا يكـاد يكـون جمـع مذكر سالم لولا أن حذفت الياء الثانية تخفيفا للمتكلم .

ولم يكتف (البشـارين) بالبقـاء فـى صحـراء عيـذاب ، بـل كـانوا يبحثون عن المرعى ، ولذلك فقد سـاروا بقطعـانهم الى شـواطئ نهـر عطـبرة حيث وجدوا بطونا من أبناء عمهم مسلم قد استوطنوا هنـاك ، فلمـا قدمـوا على تلك المراعى منعهم المسلميون من الرعى . وكانت تؤازر المسلمية قبيلـة البطاحين ، فما كان من زعيـم الكمـالاب (أبنـاء كمـال البشـارى) الا أن استنجدوا بجماعات من القبيلـة فأسـرع هـؤلاء لنجدتهـا علـى ظهـور الابـل ومعهم شبان من العبابدة ، فقاتلوا البطاحين والمسلميين واستولوا على جزيرة بعلوك التى جعلت عاصمة لهم هناك ومازالت عاصمة لناظر البشارين .

وللبشـارين عـدة عـائلات أو بطـون هـى عاليـاب وحمـد أوراب ، وشْنتيراب ، وارايـاب ، وهذه هى البطون الرئيسية .

ولعل شـهرة الابـل البجاويـة وسـرعتها انمـا ترجـع الى سـرعة جمـال البشارين ، وهدوء سيرها وعدوها مما يريح ظهر الراكب فـلا يصيبـه التعـب والألم مهما طالت الرحلة . وعرف البشاريون بأنهم أهم من يضمـن الطريـق

التجارى فى صحراء عيذاب حتى قوص وأسوان وبقية الديار المصرية التى فى الصعيد .

ومع أن العنصر البجاوى كبير فى قبيلة البشارين الا أنها بحكم موقعها الجغرافى اختلطت بكثير من الدماء العربية على مر الحقب ، فقد كانت ذات صلات قوية بالعرب بحكم وجودها فى عيذاب وما حولها حتى أسوان ثم جنوبا الى نهر عطبرة . ولذلك فإن كثيرا من أبناء ربيعة قد صاهروها بعد بليّ ، بل وأصبحوا من زعمائها بعد ذلك التزاوج ، كما أضحوا أصحاب المعدن فى وادى العلاقى . ومع المخالطة مع ربيعة اختلطت بهم أيضا قبيلة مضر وجهينة وسعد العشيرة وغيرها من الأقليات القبلية ، وربما كان أبناء سيدنا الزبير بن العوام هم آخر من اتصل بهم من عرب قبل بزوغ السلطنة الزرقاء .

قريش
الأَمَّارْأَر
أو أبناء عمار

البجة لا ينطقون العين بل يقلبونها همزة ، ولذلك فان لفظة أمارأرا هذه أصلها ابن عمار ، وأَرْ البجاوية تعنى أبناء . وقبيلة الأمارأر هي من قبائل البجة الكبيرة التى تسكن بين قبيلة الهدندوة والبشارين . وقد لا يكون هذا تحديدا مفيدا ولكنه يمكن النظر اليه فى الخريطة التى توضح مواضع هذه القبائل بأسرها . وقبيلة الأمارأر تنحدر من جدها عمار بن محمد كاهل

الأسدى وجده الزبير بن العوام (ض) وعمار هو شقيق بشار جد البشارين ، ومن هنا كانت القرابة بين هاتين القبيلتين . وقد هاجر أبناء مصعب بن الزبير أبن العوام من مصر ، واستقروا مع البجة وصاهروهم ، واقتسموا عشائرهم ، فأصبح أحدهم زعيم الأمارأر والآخر زعيم البشارين .

وتتكون قبيلة الأمارأر من عائلتين كبيرتين هما أبناء عمار ، والعائلة الثانية أبناء الشيخ عجيب العبداللابى [١٥] الذى تزوج أخت عمار وأنجب منها ، ثم اندمج أبناؤه فى الأمارأر .

وبالرغم من القرابة التى كانت تربط بين الأمارأر والبشارين الا أنه كثيرا ما كانت تقوم الخلافات بينهما ، وتندلع الحروب التى قست عليهما ، وأفنت الكثير من الرجال . وكانت زعامة الأمارأر فى أول الأمر مع أبناء عمار ثم لما ضعف أبناء هذه العشيرة بسبب القتال فإن الزعامة انتقلت منهم الى أبناء الشيخ عثمان بن عجيب المانجلوك [١٦] الذين فازوا بها بمساعدة أخوالهم مشايخ العبداللاب . [١٧] ويفسر هذه الكلمة كثير من السودانيين على أنها كلمة عربية مركبة من عدة كلمات هى " ما نجل الا اياك " ثم حدث فيها ادغام واختصار فأصبحت بهذا الرسم " مانجلوك " وتطلق على زعماء قبيلة العبداللاب وزراء السلطنة الزرقاء . غير أنني وجدت المسعودى فى مروج الذهب يتحدث عن أخبار ملوك الزنج ويقول بأنهم يسمون الخالق عز وجل " ملكنجلو" أو كما فى التعليق " مكنجلو " وتفسير ذلك الرب الكبير . وقد خطر ببالى أنه ربما كانت هناك صلة بين لفظة المانجلوك

---

[١٥] وزير سلطنة الفونج

[١٦] محمد صالح ضرار – تاريخ شرق السودان – قبائل البجة . الأمارأر .

[١٧] محمد صالح ضرار : ملخص تاريخ قبائل اقليم البجة (شرق السودان) .

التى كانت تطلق على وزراء العبداللاب ، وبين هذه الكلمة المعروفة لدى القبائل الافريقية وكان المسعودى يتحدث عن أراضى الصومال التى هى لدى الجغرافيين العرب القدامى أرض الصومال كما ارتأى ذلك الدكتور عابدين وهو مصيب فيما رأى [١٨] . ولربما انتقل هذا اللفظ مع الفونج عند نزوحهم من شرق افريقيا الى السودان ، اذ أنهم من أبناء مسلمة بن عبد الملك ويتحدثون العربية ، ثم قرروا أن يطلقوا هذا اللقب على وزرائهم العبداللاب تقديرا لهم واجلالا لهم أمام الرعية . ولهذا فإن الاحتمال كبير فى أن يكون أصل هذه الكلمة هو " ما نجل الا اياك " ، ثم حورت حتى أصبحت كما كان ينطقها الناس فى عصر السلطنة الزرقاء .

وتقع ميناء بورتسودان فى أراضى الأمارأر كما فيها أيضا ينبوع أربعات وهو المنبع الذى تشرب منه مدينة بورتسودان .

وينقسم الأمارأر الى عدة بطون منهم الأتمن وهؤلاء هم العثمانيون وينطق البجة اسم عثمان بهذا اللفظ " أتمن " وقبيلة الأتمن هم أبناء عثمان ابن الشيخ عجيب بن عبد الله جماع ، وأمه بنت زعيم الأمارأر وتزوجها الوزير العبداللابى عندما ذهب الى أرض الحرمين الشريفين للحج ، وهناك أقام رواق السنارية ، وقام بحفر فولة كبيرة فى سواكن مازالت تعرف بهذا الاسم وهى عبارة عن حفير واسع تتجمع فيه المياه ليستعملها الناس فى سواكن فى احتياجاتهم اليومية . وينقسم الأمارأر العثمانيون الى بطون متعددة منها القويلى ، والعالياب ، والكُرْ باب ، والنوراب ، وأبناء موسى، والجمهوت ، وعسوس ، وعايلَتْ .

---

[١٨] عابدين : التعليق على البيان يقول " وبلاد الزنج هى بلاد الصومال فى اصطلاح العرب القديم – ص (١٤٩) .

وسيجد القارئ تاريخ هذه القبيلة مفصلا فى كتاب المؤرخ محمد صالح ضرار . الذى استقينا منه هذه المعلومات المختصرة من تاريخه الوافى عن قبائل اقليم البجة .

كنانة

ترجع قبيلة كنانة العربية السودانية فى أصولها الى القبيلة العربية الأصل التى تحمل نفس الاسم ، والتى كانت تقيم فى الجزيرة العربية . وجد هذه القبيلة هو كنانة بن خزيمة . وهى قبيلة عدنانية ، وخزيمة هذا هو ابن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . فهى اذن من القبائل العربية الشمالية .

وتعتبر قبيلة كنانة من أكبر القبائل العربية ، وقد تفرعت منها قبيلة قريش ، وهذا ما يدل على حجم القبيلة وقوتها منذ عصر الجاهلية . وكانت فى جاهليتها تعبد العزى . وظهرت فى الجزيرة العربية كقبيلة ذات سطوة ومنعة بعد حوالى مائة سنة من ميلاد المسيح ، وجعلت مساكنها فى الحجاز الا أن بعض بطونها ارتحلت الى اليمن ، واستقرت فى حِلّي اليمنية . ولم يكن استقرارها فى اليمن سهلا اذ أن تلك البطون اشتبكت مع الحميريين فى قتال بين عام ٢٧٠ و٢٧٢للميلاد . كذلك فقد كانت كنانة من القبائل التى اشتركت فى حرب الفجار المشهورة فى حوالى سنة ٥٨٠م ، وهى الحرب التى قامت بين كنانة وأحلافها ، وبين هوزان ومن والاها من القبائل .

وكانت كنانة قد عادت النبى صلى ا لله عليه وسلم مثلها فـى ذلـك مثل قريش ، ولم تدخل فى الدين الاسلامى فى بادئ الأمر ، واسـتمرت فى عبادتها للعزى حتى قام خالد بن الوليد (ض) بتحطيمه حين شارك فى فتح مكة المكرمة ، وكان على رأس أحد جيوش المسلمين ، وعنـد ذاك اضطـرت كنانة كغيرها من القبائل الى أن تذعن للمسلمين ، وتعتنـق الديـن الاسـلامى الحنيف .

فلما لحق النبي (ص) بربه كانت كنانة من بين القبائل العربيـة التـى ارتدت عن الاسلام ، ولكن سرعان ما قام أبو بكر رضـى ا لله عنـه باعادتهـا الى الديـن ، فرجعـت الى الاسـلام ثـم اشـتركت بعـد ذلـك فـى الفتـوح ، فخرجت جماعات منها الى مصر وبقيت فيها .

أما القسم الرئيسي من كنانة فقد كان موطنـه الحجـاز قـرب مكـة ، واشتغل بعض أفرادها بالتجارة ، وقد سـاعدها علـى ذلـك امتـداد أراضيهـا ونفوذها الى سواحل البحر الأحمر الشرقية . وقد تمكنوا من ايجاد ميناء هامـة لهم جنوبى جـدة هـى ميناء " السـرين " التـى كـانت الفرضـة الثانيـة لمكـة المكرمة [١٩] وهى بعد جدة . وتقع السرين جنوبى جدة بحوالى خمس مراحل ، وقد حدد الزياعى موقعها واستطاع بذلك أن يضيف حلقة جديدة هامـة فـى تاريخ كنانة وموانئ البحر الأحمر القديمة .

وذكر الهمدانى بأن " السرين ساحل كنانة " ويضيـف الزيـاعى بـأن المنـاطق الواقعة شمال السرين كـانت تحـت سـلطة شـريف مكـة ، وأن كنانـة لم تكـن

---

[١٩] الزيلعى (أحمد عمر الزيلعى) : مكة وعلاقاتها الخارجية (٣٠١- ٤٨٧)هـ نشر جامعة الرياض (الملك سعود)

تتعدى وادى دوقة شمالا اذ أن ما كان شمالا بعد ذلك فهو للأشراف ثم للثعالبة .

ووجود كنانة على هذا الساحل يجعلها ذات نشاط تجارى لا يستهان به فى فترة القرن الخامس للهجرة وما بعده حيث كانت تجارة الكارم بين السودان والحجاز ومصر نشطة ، كما كان الفاطميون يحتفظون بأسطول له فاعليته فى تنشيط الحركة التجارية خاصة بين عيذاب وسواكن وجدة وينبع والسرين وحلى جنوبا الى اليمن وما وراء ذلك . ولذلك فان من الأرجح أن تكون هناك هجرات لقبيلة كنانة مباشرة من الجزيرة العربية الى شرقى السودان ، كما فعل قبل ذلك أفراد قرشيون ، وجماعات قرشية والأشراف بصفة خاصة . ولعل بعض بطون كنانة قد استوطنت بلاد البجة كما فعل بنو كاهل وقبيلة دغيم التى لقى بعض أبنائها ابن بطوطة فى رحلته بالقرب من سواكن حين سافر معهم . وذهب الدكتور عبد المجيد عابدين الى أن بعض رجال كنانة قد استوطن اقليم البجة مع أبناء عمومتهم دغيم ، وفى ما ذكرنا ما يؤيد ما ذهب اليه عابدين . [٢٠] وكنانة لا توجد الآن فى قبائل البجة ولعل بعض بطونها انصهرت فيهم كغيرها من القبائل ، لكن الأكثرية منهم رحلوا من شرقى السودان ومن الحجاز حتى وصلوا الى ضفاف النيل الأبيض حيث هم الآن ، وبذلك كانت رحلتهم من الرحلات الطويلة التى قامت بها القبائل العربية .

وكانت أول هجرة كبيرة قامت بها كنانة الى الديار المصرية فى عام ٥٤٥هـ . [٢١] ولكن لم يعرف عن كنانة أنها عملت فى مناجم الذهب بوادي

---

[٢٠] عبد المجيد عابدين – المقريزي – البيان والاعراب . ص (١٦٢)

[٢١] كحالة .

العلاقي مع البجة اذ لم يذكرها اليعقوبي ولم يتحدث أحد بعده عن نشاط لها في أرض المعدن ، ولعل هذا يعزى الى هجرتها المتأخرة الى مصر اذ كانت هذه الهجرة في منتصف القرن السادس الهجرى . أى بعد نضوب الذهب من العلاقي ، كما يبدو أن التجارة الكارمية كانت أكثر فائدة وربحا من ذهب وادى العلاقى الذي أخذت تكاليفه تعادل ما يستخرج منه في القرن السادس الهجري . ولكن ذكر القلقشندي بأن القضاعي أشار إلي أن هذه القبيلة كانت في خطط مصر ، وقال إن منهم أخلاطا في بلاد قريش منهم أبو الليث بن كنانة بن طلحة . وتعرض يوسف فضل إلي هذه القبيلة أيضا كما ذكرها ماكمايكل فذكر بأن جماعة منهم سكنت بالقرب من دمياط ، وأنهم كانوا يحرسون حاميات المدن المصرية في الدلتا أيام الحروب الصليبية التى شنها لويس التاسع ملك فرنسا على مصر سنة ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م ، ولكنهم تركوا أماكنهم في الحاميات عند وصول القوات الصليبية الفرنسية ، فقام السلطان الأيوبي بمعاقبتهم بشنق بعضهم . ويمضى الكاتب فيرجح أنه ربما هرب بعضهم من سيف الأيوبيين جنوبا الى الصعيد حتى وصلوا إلي السودان في أفواج وعشائر متعددة . وكان المقريزى قد ذكر بعد ذاك أنهم على أيامه (سنة ٨٤٥هـ / ١٤٤٥م) كانوا يسكنون في إخميم بالديار المصرية ، مما يدل على أن بعضهم بقى بمصر وكان فيها ، وبعضهم رحل إلي السودان .

وربما لم يكن من الصواب أن يحدد المرء طريقا واحدا فقط لهذه القبيلة أو لغيرها للهجرة إلي مصر والسودان . فأكثر هذه القبائل كانت تعبر البحر الأحمر بكل سهولة من المرافئ العربية إلي المرافئ السودانية في كل من عيذاب وسواكن وعيرى وباضع (مصوع) ، وراس دواير وغيرها ، كما

أن بعضها كان يأخذ طريق سيناء ويدخل مصر ليصل إلي النيل ، أو يستمر على إبله ليصل برا إلي عيذاب ، ومنها إلي قوص وأسوان فهذه الطرق بأكملها كانت مسرحا للأسفار والرحلات والهجرات .

ومن بين الهجرات الكنانية التى خرجت من الحجاز إلي مصر ما فعله أحد أقطاب عشائر كنانة ، وكان يدعى منصور ، فقد هاجر من مكة المكرمة إلي مصر [٢٢] ، ثم ذهب منها إلي دنقلة حيث مكث قليلا ، ثم رحل من هناك إلي كردفان ببعض من تبعه . وهذه أيضا من الرحلات التى كانت سائدة آنذاك ، وكانت تقوم بها كثير من القبائل والعشائر .

ومع هذه الرحلات الى غرب السودان ، فقد كانت هناك استيطانات في البحر الأحمر للكنانيين وهذا ما حدا بالدكتور عابدين ليؤكد بأن هجرة كنانة إلي شرق السودان ربما كانت حوالي سنة ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م كما يرجح أن كمال بن سوار الذى أشار إليه القلقشندى وذكر أنه أحد زعماء القبائل الذين كانوا يكاتبون السلطان في مصر في سنة ٧٦٣هـ / ١٣٦١م هو شيخ كنانة في ذلك الحين .. [٢٣]

كل هذه الأحداث تدل على الروابط الوثيقة بين قبيلة كنانة التى تسكن في السودان وتلك القبيلة العربية التى كانت أما لقبيلة قريش التى سادت على القبائل العربية الأخرى في جزيرة العرب . أما تاريخ هذه القبيلة بعد استقرارها في السودان فموضعه أبحاث أخرى لا يمسها هذا السفر ، وإنما نتركها لأبناء القبيلة وللباحثين الآخرين ، ولكن القبيلة الآن منتشرة في أنحاء مختلفة فذهبت بطون منها إلي كرن جنوبي تقلى في كردفان ، وانضمت

---

[٢٢] يوسف فضل . ص ١٦٠ – نقلا عن الروايات .

[٢٣] عبد المجيد عابدين : التعليق على البيان للمقريزي . ص ١٦٢ .

جماعات أخرى الى الكبابيش ، أما القسم الأكبر منها فهو مستقر فى النيل الأبيض فى هذه الأيام ، وما زال محتفظا باسم القبيلة الأصلي .

العرب الخالية

البجة

قد يتساءل القارئ الكريم عن أصل البجة الذين ورد ذكرهم كثيرا في هذا الكتاب على أنهم أصحاب مملكة ذات شوكة وكيان في شرق السودان منذ أقدم العصور ، وقد دخلوا في حروب عديدة على مدى القرون مع كل الذين حكموا مصر بداية من عهد الفراعنة ، كما أنهم من الناحية الجنوبية الشرقية كانوا في صراع بين حين وآخر مع الحبشة . وعلاوة على ذلك فقد كانوا في نزاعات متقطعة مع النوبة الذين تقع مملكتهم غرب مملكة البجة .

واهتم كثير من الباحثين بهذه الأمة البجاوية ، وكتب عنها الكتاب الكلاسيكيون من اليونان ، كما تابع أخبارهم المؤرخون والجغرافيون العرب ، ثم حذا حذوهم الأوربيون ، وتلمسوا جوانب الحقائق المختلفة عنهم من جميع النواحي ، بل وكتب عنهم المؤرخ السوداني والدنا محمد صالح ضرار كتابه الذى طبع حديثا بعنوان : تاريخ شرق السودان . [٢٤]

---

[٢٤] محمد صالح ضرار : تاريخ شرق السودان – ممالك اقليم البجة : قبائله وحوادثه .

وكان أن أقدم البروفسور سلجمان على إقامة دراسات تعتمد على أسس علم الأجناس على البجة ، ومازالت أبحاثه ونتائجه تعد عاملا أساسيا فى تصنيف البجة وتحديد أصلهم ومدى اختلاط قبائلهم المختلفة ، وعلاقتهم الأصلية بالأمم السابقة .

ولعل أهم ما توصل إليه سلجمان فى دراسته أن هؤلاء البجة إنما انتقلوا إلي شرق السودان من الجزيرة العربية في عهود سحيقة ، وأنهم لذلك يرجعون إلي الأصل السامي . وقد توصل إلي أنهم يرجعون في أصلهم إلي العرب الخالية الذين هم عاد وثمود ، ولم تكن هجرة عاد وثمود إلي شرق السودان فحسب : لأنه كما يفهم من دراسات سلجمان ، فإن هؤلاء البجة يشبهون قدماء المصريين تماما ، ومعنى هذا أنهم إما فرع من مصرين ما قبل الأسر أو أنهم إخوانهم ، وأن طائفة منهم قد بقيت واستقرت فى نيل مصر ، بينما استقرت الطائفة الثانية في صحراء البجة . ويؤكد سلجمان بأن التشابه بين الأمتين متماثل إلي حد كبير .

وللبجة الحاليين خمس قبائل كبرى هى قبيلة بنى عامر والهدندوة والأمارأر والبشارين والحلنقا . وتتحدث القبائل (البنى عامرية) باللغة التيجرية كما يتحدث بعضهم باللغة التبداوية ، وآخرون يتحدثون باللغتين معا . أما بقية القبائل الأربع الأخرى فإنها تتحدث باللغة التبداوية أو الهدندوية كما يطلق عليها الآن أحيانا . (وفى القرن الماضى كان يطلق عليها البشارية نظرا لنفوذ البشارين التجاري والنقلى الهام في سائر أنحاء السودان إذ كانوا هم أدلة القوافل من صعيد مصر إلي داخل الأراضي السودانية) . ولغة البنى عامر التيجرية هى لغة سامية ويمكن الرجوع إلي ما

كتب عنها في أسطر بين هذا الكتاب حين التحدث عن لغات السودان القديمة .

وأوضحت دراسات سلجمان عن جماجم هذه القبائل البجاوية ومقارنتها بعضها مع بعض ، بالاضافة إلى مقارنتها مع جماجم وهياكل قدماء المصريين بأنه توجد هناك اختلافات فى هذه الأبعاد . ويذكر سلجمان شيئا عن تلك الاختلافات التى اكتشفها فيقول بأن هناك ارتفاعا تدريجيا فى جماجم البنى عامر ، وهذه المقاييس تختلف كلما سرنا شمالا إلى أرض (البشارين) . ويذكر سلجمان أن البنى عامري أقصر قامة من زملائه البجة الآخرين كالهدندوى والبشاري والأمارأري لأن إطار هياكل هذه القبائل قد تعدل بعض الشئ إما بسبب اختلاط بأجناس افريقية أو عربية . كما أنه يعتقد بأنه ربما اختلط البجة الآخرون دون البنى عامر الجماعات والسكان الغرباء ذوى اللحى الطويلة المستديرة الرأس من الشعب الأرمنودى الذى كان في المنطقة منذ القرن الثالث قبل الميلاد . ويمضى هذا العالم فى حديثه فيقول بأنه يرى أنه تعزى حقيقة أن رؤوس الهدندوة وجماجمهم مستديرة أكثر من العادة ، أو أكثر من بنى عامر إلي خضوعهم للنفوذ الأرمنويدى وليس لهجرة العرب القادمين من الحجاز واليمن .

وعندما كان يختلط الساميون الجدد (العرب) الحاميين فإنه كانت الأمور تجرى بحيث يتلقف الساميون اللغة البجاوية من هؤلاء بدلا من أن تنتشر اللغة العربية . ويؤكد سلجمان بنقاء البني عامر وصفاء أصلهم ، وأنهم أقل الناس تأثرا بالامتزاج ، ولذلك فإنه يمكن اعتبار خصائصهم الجسمانية هى الخصائص البجاوية الأصلية ، وأنهم هم سكان الصحراء الشرقية الأصليون الذين لم يتغير قوامهم أو هيكلهم بأى عنصر أجنبى .

وهذا بالطبع لا ينفى بجاوية سائر القبائل الأخرى ، ولكنه يؤكد امتزاج بعضهم بالدماء العربية التى انتقلت إليهم قبيل الإسلام عن طريق البلويين ، وبعد الإسلام عن طريق الاختلاط بالقبائل العربية الأخرى التى استقرت بينهم ، واختلطت بهم .

ونظرا لأهمية التوصل إلي معرفة أصل الأمة البجاوية فإننا نورد هنا بعض ما قاله الباحث البريطانى أندرو بول [٢٥] الذى كان مفتشا لإقليم البجة قبيل استقلال السودان الذى تم فى أول يناير ١٩٥٦م . فان أندرو بول paul يقول بأنه تتفق كل المصادر الموثوق بها على أن البجة شعب حامى عبر البحر الأحمر من شبه الجزيرة العربية فى تاريخ متقدم جدا واستقر فى أطراف إفريقيا الشرقية بين النيل والبحر الأحمر . ويورد ما قاله جونستون johnston من أنهم كانوا يسكنون في نفس المنطقة التى يسكنون فيها الآن عندما تدفقت الأسر المصرية كشعب (نيولوتيك) فاتح في وادى النيل في النوبة السفلى ، ثم اتخذوا طريقهم فى خلال المضيق المصري المسكون على كلتا ضفتى نيل الصحراء .

" وتظهر الرسومات والنقوش التى وجدت في الصحراء الشرقية إلي هذا التاريخ ، وبحسب التفسيرات التى تم التوصل إليها فانه يبدو أن السكان الأوائل المعروفين فى هذه الجهات كانوا عنصرا بدائيا من الصيادين الذين كانوا يستخدمون أقواسا بشكل (c) ، وكانوا عارفين إلي حد كبير بتلك الحيوانات المتوحشة كالأفيال والزراف وغيرها . ولكن موهبة هؤلاء الصيادين فى الرسم ضئيلة . "

---

[٢٥] Andrew Paul

وتبع هؤلاء عنصر حاميّ من السكان كان يرعى البقر (وهؤلاء هم أجداد البجة الحاليين) . وكان هذا العنصر يسكن فى كل من ضفاف النيل والصحراء الشرقية . وعرف عن هؤلاء السكان أنهم كانوا صيادين أيضا ويستعملون أقواسا ذات شكل مختلف يشبه رقم ثلاثة الانجليزى (العربى)

(٣) . وهناك اعتقاد بأنهم ربما عرفوا المعادن وأنهم لذلك كانوا يستعملون نصالا معدنية لسهامهم . وكانت تكثر في بلادهم أنواع الصيد المختلفة إذ ظهر أنهم كانوا يطاردون الأفيال والوعول البرية والحمر الوحشية والغزال والزراف والنعام . وقد ذكر ابن حوقل في القرن العاشر الميلادي وجود مثل هذه الحيوانات البرية في أرض البجة . وقام هذا الشعب بإبراز حياته اليومية برسم كثير من هذه الحيوانات وأبدى مهارة أفراده الفنية وإبداعهم فى تتصويرها .

وكانت ميناء البجة التى تصدر منها الحيوانات غير الأليفة هى ميناء العقيق ومصوع (باضع) ، وكانت هذه المرافئ تستعمل لذلك الغرض فى أيام الفراعنة والبطالسة والرومان . ولما ظهر البرتغاليون فى البحر الأحمر فى القرن السادس عشر زارت بعض قطع أسطولهم مصوع ، ورسموا بعض هذه الحيوانات كظاهرة من ظواهر مصوع وهى مودعة الآن فى كل من المتحف البريطانى والمتحف البرتغالى ، مما يشير إلي أن الحياة الطبيعية لم تتغير كثيرا طوال تلك القرون حتى ظهر تبديد الثروة البيئية فى القرن العشرين خاصة بعد الحرب العالمية الثانية .

ولعل من أهم الروابط التى جمعت بين البجة وقدماء المصريين وعرب شبه الجزيرة العربية الذهب الذى كان يستخرج من وادى العلاقي فى أرض

البجة ، وبيعه في مصر وسائر أنحاء العالم القديم ، كما كان هناك الزمرد ثم اللؤلؤ في شواطئ ميناء محمد قول ودنقوناب .

لقد ثبت لدى الكثير من هؤلاء الباحثين أن هناك صلات دم وعرق بين العرب والبجة وقدماء المصريين ، وأنه كانت هناك ثلاثة طرق أو معابر تعبر منها الجماعات العربية إلي مصر وشرق السودان وهى سيناء ومنتصف البحر الأحمر وجنوب غربى الجزيرة العربية .

وأكد الباحثون العرب من أمثال نعوم شقير وجرجى زيدان ومحمد صالح ضرار [٢٦] من أن البجة هم من الساميين ، وأن موطنهم الأصلى فى شبه الجزيرة وأنهم نزحوا من هناك إلي موطنهم الحالي وتمشيا مع هذه البحوث التى قام بها الغربيون والشرقيون فإنه لا مجال للشك في عروبة البجة مع الأخذ في الاعتبار بأن بعضهم قد اتحدت فيه دماء غريبة بفعل الأحداث التاريخية التى مرت بالمنطقة ، والعناصر الأجنبية التى اختلطت بهم ، والأعراق الإفريقية التى جاوروها ثم امتزجوا ببعضها .

---

[٢٦] محمد صالح ضرار : تاريخ شرق السودان – ممالك البجة . ص ٣٤ .

الحدارب أو الحدارية

الحدارية هم زعماء البجة الذين كانوا يحكمونهم عندما دخل الإسلام أراضيهم في حوالي سنة ٢١هـ ، وكان قد رآهم عبد الله بن سعد ابن أبى سرح أول مرة . وقد ذكرهم الشهابي في كتابه التعريف على أنهم بطن من العرب بسواكن ، ولم ينسبهم في قبيلة . ولكن الذى عليه رواة البجة هو أنهم من أبناء قبيلة بلي اليمنية الذين هاجروا إلي شرقي السودان ، وحكموا البلاد تحت زعامتهم من عيذاب إلي دهلك . وقد اختلط الحدارية بالعرب من ربيعة ومضر وجهينة وغيرها ، وأصبح نفوذهم يتقلص بسبب نظام الوراثة المعمول به آنذاك إذ يتوارث أبناء البنت والأخت الملك على حسب ما ذكرت المصادر العربية ، وكما كان متعارفا عليه . وقد بدأ اختلاط الحدارب بالعرب بشكل موسع فى حوالي سنة ٢٤٠هجرية عندما نزلت ربيعة بينهم .

وكانت من أهم المدن التى تحت زعامة الحدارب ميناء سواكن ، ولكن عندما " امتدت سلطة السلطنة الزرقاء إلي سواكن أيام الملك عمارة دونقس في أوائل القرن السادس عشر اشتبكت جيوش هذه السلطنة مع أمير سواكن ، وهو من الحدارب ، وانضمت قبيلة الأرتيقة إلي جيوش الفونج ، وقاتلت الحدارب الذين انهزموا ورحلوا من سواكن ، وتفرقوا فى البوادي المحاذية لجبال سنكات وأركويت ."

وفى عهد المماليك كان الحدارب ذوي شوكة ، كما كانوا يغزون الحبشة ، وقد اعترف لهم المماليك بضم كل ما يحررونه من أرض من الحبش ، كما كان زعيمهم وأميرهم سمرة بن مالك قد قلد إمرة عربان القبيلة مما يلي قوص .

وقد اندثر اسم هذا النفر من زعماء البجة ؛ وقد كانوا فى الماضى يتزعمون البجة الذين كانوا يدعون بالزنافج والذين كانوا يعملون بمثابة حراس وجنود وأتباع لهم ، ولكن فى نهاية الأمر استولى العنصر العربي الحديث على كل سلطاتهم .

ولعل فيما لخصه مؤرخ البجة والدى محمد صالح ضرار عن البجة والحدارب أكثر فائدة مما ذكرت آنفا فهو يقول :

" بجة أو بجا أو بجاة ، يطلق هذا الاسم على كل القبائل التى تسكن شرق السودان ، وتسمى منطقتهم هذه " إقليم البجة " وتبتدئ حدود هذا الإقليم من عند بئر شلاتين شمالا على ساحل البحر الأحمر عند الحدود المصرية ، وتنتهى جنوبا بجبل قدم عند مدينة مصوع [٢٧] ، وغربا بالمديرية الشمالية ، وشرقا بالبحر الأحمر ، وجنوبا ببلاد الدناكل . وقبائل البجة الأصلية لا تزال موجودة ، ولكن تخلت عن أكثر ديارها الشمالية والغربية بسبب الغارات التى كانت تشنها عليها الجيوش الإسلامية من مصر ، والعرب الذين زاحموهم على معادن الذهب والزمرد والتجارة . وكان بعض العرب يأتون للبحث عن أقارب لهم هاجروا إلي هذه المنطقة ، وعندما يجدونهم يفضلون البقاء على العودة ، إذ تتوفر لهم أسباب المعيشة ويطيب

[٢٧] وتسمى " باطع " أو " باضع " أو سمهر .

لهم المقام ، ثم يصاهرون البجة ، فيسود العنصر العربي على البجاوى والحماسين والتيجراى . وهذه القبائل الثلاث هى الباقية من سكان الإقليم الأصليين ، فالأولى ونصف الثانية يتكلمون بالبجاوية ، والبقية تتكلم البنى عامرية[٢٨] أو التيجرية أو الحبابية كما تسمي أحيانا. والأولى خليط من العربى والتيجرى ، والثانية خليط من التيجرى والأمحرى " أمهرى " . وأول عنصر عربى صاهرهم هو (بلو أو بلي أو بلويب أو حدارب) [٢٩] ولذلك نسبوا اللغة العربية والسيادة إلي " بلي " .[٣٠] وبعد أن طاردتهم القبائل العربية أقاموا في مكانهم الحالى [٣١] مع رؤسائهم وهم من بلي . وفى أيام ملكهم محمد بن إدريس وفد عليهم رجل من العرب ، وتزوج بابنة الملك ، فاتفق بعض من رجال البلو على قتل هذا الرجل ، وفعلا قتلوه وبرروا عملهم بأنهم لا يصاهرون من لا يعرفون أصله ونسبه . فلما انقضى ثلث العام على وفاته ظهر أن زوج المتوفى حامل ، ثم وضعت غلاما سمي " عامر " ، ونشأ فى كنف جده حتى بلغ أشده ، واختلف مع أحد شبان الحي فتشاتما ، ثم عيره الشاب بقوله " يا عامر إن الذى يكفلك هو جدك ، والذى تدعوه بالوالد ما هو إلا خالك . فنحن الذين قتلنا والدك . فسأل عامر والدته عن حقيقة أبيه فذكرت له كل شئ ، وكيف أن أخواله

---

[٢٨] أربعة أخماس هذه اللغة عربى ، وتسمى أحيانا بنى عامرية ولو أن الحباب كانوا يتكلمونها قبل ظهور عامر النابتابى .

[٢٩] الأولى والأخيرة بلغة الحباب ، والثانية والأخيرة أيضا استعملها المؤرخون ، والثالثة بجاوية . وبعض المؤرخين يكتبونها " بلاو " .

[٣٠] أول قبيلة عربية هاجرت اليهم (نعوم بك شقير) .

[٣١] جنوب وغرب توكر " طوكر " .

صاهروه ، ثم قتلوه بغيا وعدوانا ، وسلمته مخلفاته ، وهى مصحف شريف ضم بين دفتيه نسبه ورهطه فى قبيلة الجعليين ، وسيفا جيدا ، وسبحة ، وفروة . فأخذ المخلفات وسار مع إحدى القوافل إلي كسلا ثم قوز رجب ثم شندى ، وهنالك عرض نفسه على الجعليين فعرفوا والده وجده ، وأرشدوه إلي أقاربه أبناء عرمان بن صواب الذين تقدموا به إلي ملك الجعليين طالبين مساعدته فى أخذ ثأر حفيدهم ممن سفكوا دمه هدرا . فأرسل معه رسولا إلي ملك الفونج ليرسل معهم سرية من الخيالة ، وتبعه مائة فارس جعلي ، وقد تعهد ملك الجعليين أن يتولى عامر الرئاسة إذا انتصر ، ويرسل الذكاة الى سنار . فرضى ملك الفونج ، وأرسل معه مائة فارس قادهم عامر إلي ديار أخواله حتى بلغوا العاصمة (أَسَرَمَ دَيْرهيبْ) [٣٢] عند جبل جمروتا . وانضمت قبائل ملهيتكناب [٣٣] إلي جيش عامر إذ كانت والدته منهم ، وأتم دراسته بمسجدهم فى تندلاى ، وكذلك جده وأخواله ومن أطاعهم . واستمر القتال ثلاثة أيام انهزم البلو بعدها ، واستولى عامر على ديارهم وسيوفهم ونحاسهم [٣٤] ، وتفرقت البجة عندما رأت الخيل فى الجبال والأودية . فأعلن الأمان لكل من كان غير بلوي ، ففرحوا ، وعادوا إلي مواشيهم ، وقدم كبراؤهم لعامر الطاعة ، فخضعوا لسلطته ، وتزوج بإحدى

---

[٣٢] على بعد ثلاثين ميلا من توكر

[٣٣] انظر الحديث القصير عن قبيلة ملهيتكناب . وتجد المزيد فى كتاب مؤرخ البجة محمد صالح ضرار عن قبائل البجة .

[٣٤] شاهدت بعض هذه المخلفات فى أغردت عند دقلل جيلانى بك الحسين سنة ١٩٣٣م . (محمد صالح ضرار) .

بنات أخواله ، وسميت القبائل باسمه " بنى عامر " . وأول من قالها الجعليون والفونج لحفظ اسم ابنهم هذا . وقد تناسلت من عامر عدة عائلات .)

إلى هنا انتهى قول هذا المؤرخ الكبير . وكانت هذه آخر عهود الحدارب أو البلو بالسلطة على البجة في السودان ، ولكن فى إرتريا فإنهم مازالوا يحتفظون بمكانتهم فى مصوع وما حولها . وعائلة عامر هى قبيلة النابتاب التى تحدثنا عنها تحت عنوان اسمها ونشير بذلك هنا للفائدة العامة . [٣٥]

[٣٥] أرجع الى الحديث عن قبيلة بلي أيضا .

obeikandl.com

بنو عامر بن صعصعـــة

قبيلة بني عامر

وأبناء الحسا . " الحاساويون "

تشكل قبيلة بني عامر إحدى ممالك البجة القديمة في شرق السودان ، وكانت هذه المملكة تدعى في أيام اليعقوبى المتوفى سنة (٢٨٤هـ / ٨٩٧م) مملكة جارين كما ذكر ذلك ، وهى من ضمن الممالك الخمس التى تتكون منها مملكة البجة الكبرى . ويجد الباحث في هذا الاسم أن هناك قبائل عربية عديدة تعرف بهذا الاسم ربما كانت أشهرها قبيلة بني عامر بن صعصعة . ومن الصعب أن يحدد الباحث القبيلة العربية التى تنتمى إليها هذه القبيلة باسمها هذا العربي في وقت يعرف فيه بأن هذه القبيلة السودانية لا تتحدث باللغة العربية ، ولكنها تتحدث بلغة سامية معروفة بانتسابها لهذه القبيلة بالإضافة إلى أسماء أخرى تطلق عليها هى الحاساوية والتيجرية والحبابية أيضا .

وتسكن قبيلة بنى عامر على سواحل البحر الأحمر بين سواكن وحتى مصوع ، وهى تسيطر على هذه البقعة من الأرض التى تبلغ مساحتها حوالي خمسة عشر ألف كيلومتر مربع . وتمتد أراضيها من ساحل البحر الأحمر إلى الجنوب حتى تصل مدينة كسلا على الحدود السودانية الإرترية . ولولا الاستعمار الأوربي في القرن التاسع عشر لكانت كل أراضي هذه القبيلة موحدة في قطر واحد تابع للأراضي السودانية . ولكن اتفاق الحكومة البريطانية مع الحكومة الإيطالية في القرن التاسع عشر (١٨٩٦) ترك للإيطاليين حرية التوغل في إرتريا واقتطاعها من الأراضى السودانية التى

كانت تحت الحكم المصري أثناء انشغال كل من السودان ومصر بحروب الثورة المهدية . فانتهزت بريطانيا تلك الفرصة واستخلصت لنفسها الأراضي السودانية ، وتركت لإيطاليا الحرية في استعمار أراضى السودان الشرقي الذى أسمته إيطاليا بإرتريا تأكيدا لحقها التاريخي في أراضى البحر الأحمر وسواحله منذ أيام الإمبراطورية الرومانية . وكان من جراء هذا التقسيم أن قسمت مملكة بنى عامر إلى قسمين ذهب الثلثان منها إلى أيدي إيطاليا ، وأصبح جزءا من إرتريا . أما الجزء الباقي وهو ما يعادل الثلث فقد ضم إلى السودان الإنجليزي المصري ، وهكذا حدث الانقسام في هذه القبيلة وأراضيها .

يذكر اليعقوبى بأن كور اليمن يتكون من أربعة وثمانين مخلافا وذكر مخلاف بنى عامر من بين تلك المخاليف ، كما ذكر بأن ملوك اليمن كانوا يدينون بعبادة الأصنام في صدر من ملكهم . [1] وقد كانت هناك هجرات عديدة من أراضى اليمن عبر البحر الأحمر إلى السواحل الغربية الإفريقية حيث تعيش قبيلة بنى عامر الحالية في تلك البقاع . وكان وجود هذه القبيلة في تلك المنطقة ذا أهمية قصوى في كثير من الأحداث التاريخية العربية والإسلامية . ويحدثنا التاريخ اليمني عن هجرات متعاقبة لشعوبه فهناك هجرة قبائل الحبش التى نزحت من أرض اليمن إلى سواحل إرتريا وتوغلها في الأراضي الحبشية كما أن هناك قبائل أخرى نزحت معها لغة الجعيز السامية ، والأمهرية والتيجرينية بالإضافة إلى البنى عامرية أو التيجرية .

---

[1] اليعقوبى – المجلد الأول – دار صادر – ص (٢٠٠ – ٢٠١) .

ومما لا شك فيه أن اللغة التيجرية أو البنى عامرية هى من أقرب تلك اللغات الموجـودة الآن فـى تلـك الديـار إلى اللغـة العربيـة ؛ وقـد أفردنـا لهـا صفحات لاظهار القرابة القريبة باللغة العربية لفظا وأجرومية ونطقا .. ولعـل السبب في هذا القرب هو أن الذين خرجوا من اليمن إلى أراضـى بنـى عـامر خرجوا في تاريخ بعد هجرات كـل مـن الحبـش والجعيز إلى سـواحل البحـر الأحمر الغربية . ولكن يبدو أن كل ذلك تم قبل ظهور الإسلام . ومن المؤكد أن هناك هجرات أخرى حدثت بعد الإسلام ولكن امتصتها قبيلة بنـى عـامر البجاوية واختلطت بها .

ويرى بعض الباحثين مثل أندروبول ، وماكمايكل وبدج مـن الذيـن اهتموا بتاريخ بنى عامر أنه كان لهذه القبيلة وللبجة عامة صلة قويـة بشـاطئ البحر الأحمر الشرقي وهى الأراضي التى تضم الآن عسير ونجران وجـيزان . كما أنهم يعتقدون بأن هؤلاء البجة هم شعب من القبائل العربية الخالية وهم عاد وثمود والعماليق وغيرهم . ويرون أيضا أن نزوحهم إلى أرض البجة إنما تم من أراضي الجزيرة العربية التى كان يسكنها أبناء حام كما سكنها فيما بعد ، واقتصرت على ، أبناء سام .

ووجدت هذه النظرية قبولا حسنا لدى آخرين من علمـاء الأجنـاس أيضا ومن بينهم العالم سلجمان الذى أخذ في بداية القرن العشرين في دراسـة جماجم البجة ، ومقارنتهـا بـالأمم السـابقة . فكـان أن وجـد تمـاثلا قويـا بـين جماجم أبناء قبائل بنى عامر وقدماء المصريين من أولئك الذين عاشوا في مصر قبـل قيـام عهـود الأسـر المصرية ، ووجـد أن كـلا مـن بنـى عـامر وأولئـك المصريين إنما هم من أصل واحد ، وأن بني عامر هـم الشـعب الوحيـد الـذى يماثل ذلك الشعب المصري القديم .

وعلى هذا فقد أصبح هناك رباط وثيق بين أصل البجة وأصل القبائل العربية البائدة ، بالإضافة إلى الصلة بين هؤلاء جميعا وبين قدماء المصريين .

ويزداد الحديث جاذبية عن العلاقة بين العرب البائدة وقدماء المصريين وبالتالي عموم البجة وبني عامر خاصة حين نقرأ لليعقوبى عن تاريخ ملوك مصر من القبط وغيرهم وهو يقول " وكان أولاد بيصر قد كثروا وامتلأت البلاد منهم . فلما ملكوا النساء طمعت فيهم العمالقة ملوك الشام ، فغزاهم ملك العمالقة ، وهو يومئذ الوليد بن دومع ، ووطئ البلاد ، فرضوا أن يملكوه عليهم . فأقام دهرا طويلا . ثم ملك بعده آخر من العمالقة يقال له الريان بن الوليد ، وهو فرعون يوسف " . [٢] ثم توالى بعد ذلك ملوك العمالقة على مصر . والعمالقة كما هو معروف من قبائل العرب البائدة التى امتدت أوطانها إلى الشام الكبير .

وهناك صلة ثقافية قوية بين فراعنة مصر والعرب . وقد ظهرت هذه الصلة أقوى ما تكون فيما جاء في القرآن الكريم عن فراعنة مصر وما قاموا به من أحداث مع الأنبياء . كذلك نجد أن فرعون موسى على وجه الخصوص كان مضربا لكثير من أمثال الكفر ، كما كانت امرأته مضرب المثل فى الإيمان با لله . هذه القصص التى يرويها لنا القرآن الكريم تظهر لنا مدى العلاقة الثقافية والفكرية التى كانت بين العرب الأقدمين ومعاصريهم من المصريين القدماء ، كما تجعلنا نستنتج بأنه لو لم تكن هناك علاقة قربى بين الجانبين لما ذكرت كثيرا فى القرآن الكريم لتبصرة المؤمنين عن طريق أحسن القصص الذى أورده ا لله تعالى فى كتابه المبين .

---

[٢] المجلد الأول لليعقوبى – دار صادر . ص ١٨٥ .

وهكذا فإننا نجد فى المصادر المختلفة أن هناك روابط بين العرب والمصريين القدماء والبجة وخاصة بني عامر . [٣] وفى حديثنا عن خصائص اللغات السامية سنجد أن لغة بنى عامر تلتزم بكل القواعد النحوية للغات السامية ، وكذلك الحال مع اللغة المصرية القديمة كما يقول علماؤها .

من الراجح أنه حدثت هجرات قبل و بعد الأحداث التى حلت بالعرب البائدة من عاد وثمود وغيرهما ، وقد أهلكت ثمود بالطاغية ، وأهلكت عادٌ بريحٍ صرصرٍ عاتية ، سُخرت عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً . وأما المؤمنون منهم فقد نجوا فى كلتا الحالتين كما نجا معهم آخرون من العماليق وغيرهم ، وعاشوا بعد ذلك فى سواحل البحر الأحمر الغربية ، ومنهم من ذهب إلى مصر ، ومنهم من ذهب إلى الأراضي السودانية . ولكن صلتهم ببعضهم بعضا لم تنته بعد ذلك إذ أن المصريين طوروا مدنيتهم وحضارتهم ، وأنشأوا الجواري فى البحر كالأعلام ، وأبحروا فى مياه البحر الأحمر ، وواصلوا إبحارهم حتى وصلوا مناطق ميناء العقيق فى أرض بني عامر ، ثم واصلوا ذلك الإبحار حتى بلغوا ميناء مصوع التى كان يسميها بنو عامر باسم (باضع) ، وازدهرت التجارة بين مصر القديمة وبين القرن الإفريقي بفضل وجود هذه القبيلة في مملكتها بتلك المنطقة .

ويظهر لنا اسم قبيلة بنى عامر كعامل من عوامل التاريخ ذات التأثير على المنطقة حين تحرك أبرهة الحبشي بأفياله وأقياله ، وجنده و سلاحه من اليمن إلى مكة المكرمة ، وقد أعد العدة لهدم الكعبة ، وإخضاع العرب لدينه

---

[٣] عرفت هذه القبيلة برسمها المألوف (بنى عامر) ، ولأن الناس لا يتكلمون باللغة العربية الفصحى فإنها أصبحت ملتزمة بهذا الرسم فى حالة الرفع أو غيره ، وكأنها اسم مركب . ولكننا فى حديثنا هذا سنوقع عليها ما يتطلبه الإعراب فى اللغة العربية فى حالات الرفع والنصب والجر .

وذلك في سنة ٥٧٠ميلادية وهو العام الذى ولد فيه المصطفى عليه الصلاة و السلام . وعمد أبرهة إلى تسطير حملته الشرسة تلك للجزيرة العربية حتى يخلد ذكراه على أنه فاتح الجزيرة العربية بأكملها ، والمنتصر على الوثنية العربية . فكتب بأنه " بقوة المسيح قام أبرهة ملك سبأ وذي ريدان واليمن ورعاياهم من العرب الذين يسكنون في تهامة بغزو مَعَدٍّ فى الربيع فى شهر ذى تبتان ، وأنه تمكن من إخضاع كافة قبيلة بنى عامر ، وأن الملك عيَّن " أبي جبار " للقتال ضد كدة " كندة " ووائل وبسير بن حسن مع سعد وأنهُم حاربوا وكافحوا فى مقدمة الجيش ، كما حاربت كندة ضد بني عامر ومراد وسعد ضد مران في واد فى طريق ترابان . و لما أخذت معّد فى التقهقر أمام الجيش الغازى ، كان الجيش يتقدم أكثر وأكثر منهم واستولى على الكثير من الأسرى والرهائن من ذلك الملك عمرو بن مضر الذى قبل الخضوع إلى حكم الملك أبرهة . " [٤]

وكما هو معروف فإن هذه الإنتصارات الأولية لم تغن شيئا ، إذ أن حملة أبرهة هذه انتهت باندحار تام حين سلط الله عليهم طيرا أبابيل قضى عليهم ، وتفشى بين الجيش العرمرم الوباء والأمراض الفتاكة ، ولاذ الجيش بالفرار والموت يتخطف رجاله طول الطريق ، وعادت فلوله إلى اليمن ، وقد كانت تنتظرهم قبيلة بني عامر بكل تأكيد لتأخذ بثاراتها منهم . ولابد أن هذا الجيش خلف وراءه الكثير من رجال ونساء وأطفال ممن وقعوا أسرى فى أيدى القبائل العربية وأصبحوا رقيقا بعد ذلك .

---

[٤] Sergew ttable Sellasie : Ancient and Mediaval Ethiopian History to ١٢٧٠ - p . ١٥٢-٣

ربما كانت هذه هى المرة الأولى التى تذكر فيها المصادر التاريخية اسم بنى عامر على أنها قبيلة عربية شاركت في حرب دفاعية ضد الحبشة . ولعله بعد انهيار الحكم الحبشي في اليمن هاجرت بعض مجموعات هـذه القبيلـة إلى جنوبي مملكة البجة بين مصوع وسواكن إذ لم تعد هناك قوة حبشية يمكـن أن تدعى ملكيتها لتلك الأراضي .

ومنذ سنة ٥٧٠ ميلادية لم يعد هناك وجود لأى مملكة حبشـية قويـة ذات كيان في تلك الأراضي ، كما أن سـاحل البحـر الأحمـر الإفريقـي كـان مسرحا لمساكن قبائل مختلفة كلها تنضوى تحت مملكة البجة . ويؤكد سيطرة البجة على هذه المنطقة ما كتبه السير ولاس بدج في كتابه تاريخ أثيوبيا حـين أخذ يتحدث عن سواحل البحـر الأحمـر فـنراه يقـول " أمـا سـواحل البحـر الأحمر ، فإنه منذ قيام أول مملكة حبشية في شمال شرق إفريقيـا ، وهـى مملكـة أكسوم وذلك في القرن الميلادي الأول ، فإنـه لم يعـرف كيـان واضـح ثابت لسلطان مملكة حبشية في هذه الجهات . " أما مملكة البجة فقـد كـانت كيانـا قائما على وحدة أراضيه ، وبجيشه الموحد الذى كانت له صولات وجـولات ضد المعتدين من الفراعنة والبطالسة والرومان قبل الميلاد وبعده . وقد خاض البجة عدة حروب مع هذه الأمم واستطاعوا أن يمنعوا أعداءهم من الاستيلاء على بلادهم الغنية بالذهب ، والتى تسيطر على الطرق التجارية سواء البريـة أو البحريـة بـين أمـم الشـرق وأمـم الغـرب خاصـة تجـارة التوابـل والبخـور والحيوانات وريش النعام وغير ذلك من تجارة العالم القديم .

لم تطل الفترة التى انقطعت فيها العلاقات بين العرب وأراضى البجـة الواقعة بين مصوع وسواكن ، بل كانت هذه الصلة مستمرة طوال العهـود. وكان من بين تلك الصلات خروج بعض عشائر قبيلة بني عامر بن صعصعـة

إلي الأراضي الساحلية الإفريقية ونزاعاتهم مع ملوك المنطقة من أحباش وغيرهم في سبيل أغراض خاصة بهم .

فقد أورد الدكتور جواد على أن الشاعر لبيد بن ربيعة العامري " دخل على ملك من ملوك الحبش إسمه (خمير) أتاه فكلمه في فداء قوم ، فأجازه ، وأحسن إليه ، وحمله على خيل وبذرقة (فارسي معرب) أى أرسل معه من يحرسه ، وأجازه ، وأعطاه طِرْسا (أى كتاباً) كتبه له لأن يعطى ، وغلاما أطلس أى حبشيا ." ولم يذكر كيف وصل إلى خمير ، ولا في أي مكان كان يحكم ، وما علاقة ذلك الملك الحبشي بجزيرة العرب إن صح أنه ملك الحبش حقا . وإذا أخذنا بقول هذا الشاعر وصدقناه ، فقد يكون ذهب ليتوسل إلى الحبش لفك أسر جماعة من قومه أو من أصحابه قد يكونون ذهبوا للاتجار أو لشراء الرقيق ، فقبض عليهم لسبب من الأسباب واحتجزوا ، فذهب يلتمس إطلاق سراحهم فنجح فى وساطته ، وقد يكون خمير هذا أحد الحكام أو الإقطاعيين ، لا النجاشي ملك الأحباش . "[٥]

وفى هذا الحديث الذى ذكره الدكتور جواد على ما يشير إلى وجود لقبيلة بنى عامر أو لعشائر منها أو لأفراد منها فى كل من الأراضي اليمنية والساحل الإفريقي المقابل أي فى سواحل إرتريا والسودان . ولعل هذا ما يؤكد وجود هذه القبيلة قبل ظهور الإسلام إذ أن لبيد بن ربيعة عاش فى الجاهلية والإسلام وعمر طويلا .

---

[٥] الدكتور جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الثالث ص ٥٠٥ -٥٠٦ . وأشار الدكتور جواد الى أن القصيدة فى ديوان لبيد ص ١٥٥ ، ولم يشر الى الطبعة أو تاريخها .

ويبدو لي أن الدكتور جواد إنما استقى هذا الحديث من ديوان لبيد ابن ربيعة العامرى ، شرح الطوسي وتحقيق الدكتور إحسان عباس . وجاء فى الديوان ما يلي :

"[٦] ذكر أنه دخل مرة على " خمّير " ، ويقول الطوسي إنه ملك من ملوك الحبش ، أتاه لبيد فكلمه فى فداء قوم فأجازه وأحسن إليه ، وأرسل معه من يخفره ، ولعل هذا أن يكون حدث يوم كان قومه بنجران .

ومن أبيات لبيد في خمّير الملك الحبشي ما يلي :

ولقد دخلت على خمّير بيته متنكرا في ملكه كالأغلب
فأجازنى منه بطرس ناطق وبكل أطلس جوبه فى المنكب
إن الرزية لا رزية مثلها فقدان كل أخ كضوء الكوكب [٧]

ويقول شارح الديوان بأنه يروى " على خمّير أرضه ، وهذا أقرب إلى الواقع لأن الملوك لا يؤتون في بيوتهم وإنما في أرضهم وملكهم .

وربما يجدر بنا أن نضيف هنا بأن الشاعر لبيد ربما كان هو أعظم شعراء بنى عامر قدرا سواء في آسيا أو إفريقيا إذ أنه من أصحاب المعلقات ومن جهابذة الشعر العربي .

---

[٧] الطرس كتاب كتبه له أى لأن يعطى . والأطلس الغلام الحبشي والجوب الترس والبذرقة فارس معرب أى أرسل معه من يخفره مما يدل على أنه ربما كان فى مكان بعيد بأرض خمير ولعلها أراضى بنى عامر الحالية فى السودان وإرتريا .

هذا الحديث عن شعر لبيد بن ربيعة العامري يلقى بعض الضوء من خلال الأخبار العربية ورواة الشعر العربي صورة لاحتمالات أصل قبائل بنى عامر بالسودان وإرتريا تلك القبيلة التى كانت من أولى القبائل بالسودان التى بايعت البيت الأموي الذى حكم سنار وأسس مملكة الفونج، كما كان أحد أبنائهم وهو الشيخ فايد يخرج من أراضى بنى عامر بإرتريا إلى سنار فى وفد ضخم ، وخير كثير ، فكان يقدم الهدايا لأعيان مملكة الفونج بسنار ، ويذبح ويولم فى الطريق لكل من كان فيه من القبائل السودانية الأخرى حتى يلقى الرحال في سنار ، ويستقبله سلاطينها بما يستقبل به من أعطوه النقارة والككر " الكرسي الملكى " والطاقية أم قرين.

وبالرغم من اقتضاب ما ورد من أخبار عن بني عامر واتصالهم بالسواحل الإفريقية إلا أن هناك ما يدل على وجود قوي لهم فى تلك الأرض . وكانت هذه الفترة من تاريخ اليمن كثيرة الاضطراب سياسيا وثقافيا . ونجد أن اللغة العربية الفصحى لم تكن منتشرة فيها كما كانت فى الأجزاء الشمالية من الجزيرة العربية ، ولذلك فقد صعب التعرف على تفاصيل حوادث قبيلة بنى عامر بين الساحلين اليمني والإفريقي فى ذلك التاريخ .

وعندما أُرسل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليهدي الناس كافة إلى الدين الإسلامي ، ظهرت أهمية الأراضي البنى عامرية مرة أخرى خاصة وأن الحبشة أصبحت أرضا مغلقة لا ساحل لها . وكانت الحبشة بعد طردها من اليمن قد تضاءلت قوتها ، وأصبحت عاكفة على نفسها في مرتفعاتها التى يصعب الوصول إليها ، والتغلغل في أراضيها . ولابد أن العرب ساروا إلى سواحل البحر الأحمر ، كما أخذ البجة في استعادة أراضيهم التى كان

الملك عزانا الحبشي قد استولى عليها عندما حاربهم وحارب مملكة النوبة في سنة ٣٤٥ميلادية [٨] وما أن ظهر الإسلام حتى كانت الحبشة محصورة في هضابها ، كما كانت مملكة بني عامر مسيطرة على سواحل البحر الأحمر . وبفضل وجود بني عامر في الموانئ الإفريقية استطاع المهاجرون المسلمون الأوائل أن يبحروا إلى جهات مصوع . ففى سنة ٦١٥م أى قبل الهجرة إلى المدينة بسبع سنوات ركب البحر من ميناء شعيبة الحجازى بالقرب من جدة أحد عشر رجلا مسلما وأربع نساء ، ودفع كل منهم نصف دينار ، وتوجهوا في سفينتين إلى باضع (مصوع) على أغلب الظن بحثا عن ملجأ لهم في مملكة الحبشة التى كان يحكمها ملك عادل . [٩]

وفى هذه اللحظة ظهرت أهمية مملكة جارين البجاوية إذ أنها كانت هى الجهة التى استقبلت هؤلاء المهاجرين ، ورحبت بهم ، وأعطتهم الأمان عند نزولهم فى أراضيها . ويفتخر أبناء بنى عامر البجاويين بأنهم كانوا أول شعب أعطى الأمان للمسلمين ولأول مهاجريهم خارج الجزيرة العربية بل وداخلها أيضا . وهم يقولون بأنه " من المفهوم لدى المؤرخين والدارسين أن الله سبحانه وتعالى قد أكرم سكان إرتريا (أو علي الأصح أمة البجة) بالأسبقية في الإسلام ، وذلك بدخول الإسلام إلى ربوعها قبل فتح مكة المكرمة بسبع عشرة سنة ، حيث كانت هجرة الفوج الأول من الصحابة رضوان الله عليهم في السنة الخامسة من البعثة النبوية . وعليه فإن إرتريا هى أول دار للهجرة الإسلامية حيث حباها الله بهذا الشرف وهذه المنة قبل أن

---

[٨] بعض المؤرخين يجعلون هجوم عزانا على الأراضى السودانية فى منتصف القرن الرابع الميلادى حوالى سنة ٣٥٤م .

[٩] السير ولاس بدج – تاريخ اثيوبيا جزء أول ص ٢٧٠

يأذن الله لرسوله بالهجرة النبوية إلى المدينة المنورة بتسع سنين . وعلى هذه المعايير الحسابية التاريخية الثابتة بالوثائق وتواتر الحقائق فإن بني عامر هم أول من صام شهر رمضان المبارك خارج منازل الوحي في الجزيرة العربية ، كما أنهم أول من آمن بالرسالة من غير جدال وقتال حيث آمنوا وآووا ونصروا غيبيا بالتبليغ فقط ... " [١٠]

ولم تكن تلك هي أول هجرة أو آخر هجرة عبر فيها المسلمون البحر الأحمر ، لأنه ما لبث أن قامت جماعة أخرى من المهاجرين المسلمين تتكون من مائة وواحد نسمة في هجرة مماثلة إلى أرض بنى عامر ومنها إلى أرض النجاشي وذلك بعيد سنة ٦١٥م مما هدد قريشا وأخافهم . وقد عاد بعض هؤلاء المهاجرين إلى مكة المكرمة ، والمدينة المنورة فيما بعد ، ولكن بقيت أعداد منهم هناك في الحبشة وربما في أراضي جنوبي مملكة البجة أى الأراضي البنى عامرية .

لم تستمر العلاقات بين الحبشة والمسلمين فيما بعد بمثل ذلك الود الذى عرف عند الرسالة النبوية والذى حرص عليه النجاشي الذى اعتنق الإسلام ، بل يبدو أنه حدثت توترات ومناوشات بين المناطق التى انتشر فيها الإسلام في مملكة البجة ومملكة علوة النوبية وبين حكام مقاطعات الحبشة التى على أطرافها مع الأراضي السودانية . وتتعدد الروايات عن مثل هذه المنازعات منها ما هو على البر ومنها ما كان على البحر .

وقد ظهرت أولى مظاهر السخط الإثيوبية على انتشار الإسلام في حوالي سنة (٦٧- ٦٩) هـ الموافق ٦٨٦-٦٨٨م وذلك بعد أن فتح

---

[١٠] الأديب الإرتري البنى عامرى الشيخ أبو الحسن صالح محمد فكاك من مقال فى جريدة " المدينة " الغراء ، العدد ٥٩٣٨ بتاريخ الأحد ١٦ رمضان ١٤٠٣ هـ الموافق ٢٦ يونيو ١٩٨٣ م .

عمرو بن العاص مصر ، ودان له أهلها ، وقبلت الكنيسة القبطية أن تستظل بظل الإسلام . وكانت الكنيسة الحبشية تابعة للكنيسة القبطية ، وتشير الوثيقة التى تعرضت لهذه الفترة بأنه قامت حرب بين مملكة النوبة ومملكة الحبشة ، فسمع بذلك بطريق الأقباط في الإسكندرية ، فأرسل رسله إلى كل من ملك النوبة وملك الحبشة للتوقف عن أى نزاعات يمكن أن تزعزع الأمن والسلام في المنطقة ، كما طلب منهما أن يتذرعا بالصبر ويجعلا السلام يسود البلاد بأسرها . [١١] ولا يبدو أنه كان بمقدور إثيوبيا في تلك الحقبة أن تدخل في حرب مع جارتها القوية مملكة النوبة لأن الحبشة في ذلك التاريخ كانت تسير من انهيار إلى انهيار ، وكانت قد انقسمت على نفسها وتضعضعت قوتها .

وفى سنة ٢٠هـ / ٦٤٠م قامت بعض السفن الحبشية بالإغارة على ميناء جدة مما أثار الاهتمام في قلوب المسلمين . ولكن من مجريات الأحداث أيضا فإنه من المستبعد أن يكون للأحباش القدرة البحرية الكافية للقيام بمثل هذا الغزو البحري ، ولكن ربما كان الأمر عبارة عن بعض سفن القراصنة من سكان الساحل الإفريقي فرأى سيدنا عمر بن الخطاب أن يرد على هذه الإغارة ، فأرسل أربع سفن لمهاجمة ميناء عدولية على الشاطئ الغربي . إلا أن المسلمين خسروا ثلاث سفن من الأربع [١٢] . وتسترعى هذه الحادثة الانتباه من جانب الباحث إذ أنه يبدو واضحا أن سيدنا عمر قد خرج عن مألوف سياسته الرامية إلى عدم حمل المسلمين في البحر خوفا عليهم وهو الذى كان يؤكد سياسته التى لا تجعل بينه وبين المسلمين بحرا . ومن

---

[١١] السير ولاس بدج : تاريخ إثيوبيا المجلد (١) ص ٢٧٤ .

[١٢] يوسف فضل . ص ٣٠

الجلي أيضا أن الدولة الإسلامية لم تكن بعد قد أصبحت دولة بحرية في ذلك التاريخ وهو سنة ٢٠للهجرة . بيد أن سياسة التوسع في السواحل والاستيلاء على الموانئ في البحر الأحمر أضحت سياسة رئيسية للدولة الإسلامية بعد ذلك لتأمين الملاحة ، ولذلك نجح العرب في الاستيلاء على عيذاب بالاتفاق مع البجة منذ سنة ٣١هجرية ، ثم جزيرة الريح التى أسماها بعض المؤرخين باضع منذ سنة ١٦هـ حين تملكها سيدنا أبو بكر الصديق ، ثم دهلك التى حازها سليمان بن عبد الملك سنة ٨٣هـ الموافق ٧٠٢م وربما باضع أو مصوع في نفس الوقت . وكل هذه الموانئ في أرض البجة ، كما أن باضع وعيرى أو الريح والعقيق وسواكن كانت من ممتلكات مملكة بنى عامر أو جارين كما كان يطلق عليها أيام اليعقوبي.ويصف اليعقوبي جار ين بأنها مابين بلد يقال له باضع وهو ساحل البحر الأعظم الى حد بركات(بركة)من مملكة بقلين .ولهذه المملكة ملك خطير.

فى القرن التاسع الميلادي / الثالث الهجري أخذت قوة الحبشة في التضعضع ، ولم تعد تلك القوة التى تهدد اليمن وأراضى الجزيرة العربية ، أو تبطش بجيرانها في الأراضي السودانية فتهدم ما بناه ملوك علوة النوبيون ، وملوك البجة . وكانت تواجه قلاقل شديدة من جهة الشرق والجنوب . وفى سنة ٢١٦هـ / ٨٣١م كان الملك البجاوى كنون بن عبد العزيز قد وقع معاهدة صلح مع الخليفة المأمون بن هرون الرشيد أوقف البجة بمقتضاها إغاراتهم على المسلمين في مصر . وكان البجة في هذا الوقت قد تمكن منهم الإسلام ، كما كان كثير من العرب قد سكنوا في أراضيهم ، فاتجه البجة إلى ناحية الأراضي الحبشية ليستردوا ما أخذ منهم من أرض قبل قرون ، هذا بالإضافة إلى بداوتهم ، وشظف عيشهم الذى كان يجبرهم على الإغارة على

جيرانهم . ومنذ ذلك التاريخ كان البجة قد وجهوا نشاطهم إلى حدود الحبشة . وكانت هناك تجارة رائجة بين أراضى شرق إفريقيا وبين مصر والعالم الخارجي . وكان أبناء ممالك البجة هم الذين يمثلون الواسطة بين المنطقتين لجلب السلع المطلوبة . ونجد أن أمير سواكن علم الدين في القرن السابع الهجري قد قبل أن يدفع للسلطان المملوكي ثلاثمائة رأس من الإبل ، وثماني ن من الرقيق وثلاثين قنطارا من العاج . أما الإبل فهى كثيرة لدى البجة ، ويستطيع أمير سواكن أن يحصل عليها ممن حوله من القبائل البجاوية . أما العاج والرقيق فهما سلعتان تجلبان من الأراضي الحبشية ثم ترسل إلى سلطان مصر في القاهرة . وهنا يتحتم على قبائل بني عامر أن توسع من تجارتها وهى الجارة الأقرب للأراضي الحبشية التى تعج بغير المسلمين من وثنيين وغيرهم فتستطيع أن تحصل على ما تتطلبه شروط الاتفاق بين الشريف علم الدين وبين سلطان مصر .

لهذا فقد نشطت التجارة بين كل من الأراضي الحبشية ومملكة البجة ودولة المماليك في مصر ، وبسبب ذلك النشاط التجاري كان بعض التجار المصريين يفدون إلى أراضي الحبشة بحثا عما يريدون من بضائع ، وكانوا يعبرون أراضى البجة بأسرها مرورا بأرض بني عامر وموانئها للحصول على ما يروق لزبائنهم في الخارج . وقد وجدت أدلة كثيرة على هذا النشاط التجارى في الأراضي الحبشية أهمها العملات الذهبية من فئة الدينار ، والفضية من فئة الدرهم المصرية التى كانت تصك فى مصر ، ويستعملها المصريون في معاملاتهم التجارية في الأراضي الحبشية .

منذ القرن الثالث الهجري أى حوالي سنة ٢٣٨هـ / ٨٥٢م كان البجة في شغل شاغل عن الإغارات لأنه في ذلك الوقت كانت نشاطات تعدين الذهب فى قمتها فى وادي العلاقى ، وكانت قوافلهم وإبلهم وأصحابها يدأبون على العمل ، والنقل ، والتعدين ، والبيع ، والشراء ، لعدة قرون . ولكن عندما توقف التعدين والتنقيب عن الذهب فى وادي العلاقى أصاب البلاد نوع من التدهور الاقتصادي . وفى هذا الوقت كثرت القبائل العربية التى استقرت بين البجة ، وأخذت فى مصاهرتها والاختلاط بها . وكانت من بين تلك القبائل التى انخرطت فى صفوف البجة جهينة ، وبهراء ، وبنو كاهل ، والأشراف وغيرهم . بيد أنه كان هناك زعيم عربي بجاوي أثبت وجوده فى الإقليم ، كما أثبت وجوده لدى السلطان المملوكي في مصر . وكان هذا الأمير العربي ينتمى إلى قبيلة بنى عامر كما جاء فى تعريف نفسه وانتسابه إلى القبيلة التى يعود إليها -ذلك الأمير البجاوي المسلم هو سمرة بن مالك العامري وقد وصفه ابن فضل ا لله العمرى المتوفى (سنة ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) بأنه كان يغزو الحبشة وأمم السودان .

وقبل أن نمضى قدما فى الحديث عن هذا الزعيم العامري ربما كان من الأوفق أن نمضى بعض الوقت فى عرض الموقف فى ذلك الوقت الذى ظهر فيه هذا الزعيم الذى كانت إمارته تتاخم الأراضي الحبشية ، ولها اتصال وثيق بالأراضي المصرية والوجه القبلي وعربان الصعيد .

في عام (٦٦٩هـ) الموافق (١٢٧٠م) قامت فى الحبشة الأسرة السليمانية ، وأخذت بزمام الحكم في البلاد مرة أخرى بعد غياب طويل عن السلطة المطلقة . وكان أول ملك فيها هو يكونو أملاك الذى حكم من سنة (١٢٧٠-١٢٨٥م) . وثبتت هذه الأسرة أقدامها فى الحكم منذ أول يوم

اعتلت فيه العرش الحبشي . وكان من أول ما فعله هذا الملك أنه نقل عاصمته من لاسْتا إلى أمهرا (أمحرة) . وكان هدف هذه الأسرة هو التوسع في الأراضي الحبشية التى لا تخضع لها على حساب سلطنة عفات (إفات) المسلمة ، وإمارة شوا الخصبة الأراضي وذلك بدلا من الاتجاه إلى المرتفعات الحبشية .

وقبل أن تخرج الحبشة من تاريخها المجهول عبر عدة قرون كان الإسلام قد حقق نجاحا متواضعا بين الأحباش المسيحيين إلا أن العلاقات التجارية بين المسلمين الذين يعيشون على موانئ البحر الأحمر وشرقي شوا المسلمة كان له نفوذ كبير بين المجموعات الوثنية وبعض الجماعات الصغيرة المسيحية حتى إن بعض الأسر النبيلة دخلت الدين الإسلامي مثل عائلة ولاشما [١٣] . بيد أن ملوك الحبشة السليمانيين عندما استجمعوا قواهم بدأوا في الهجوم على الإمارات المسلمة لتحطيم قدراتها وإضعافها ، وإرغامها على قبول سيادتهم عليها لتظل تحت نفوذهم . ونتج عن هذه السياسة الحبشية أن تزايد الصراع ضراوة بين المسلمين والمسيحيين ، ولم يكن هذا الصراع يهدف إلا إلى التسلط على المسلمين الذين يحيطون بالحبشة أو يعيشون داخل أراضيها .

وجدت الأسرة السليمانية أن أراضى مملكة الحبشة محاطة بسلسلة من الإمارات الإسلامية المستقلة بعضها عن بعض . وكان أغلبها يقع على ساحل البحر الأحمر وباب المندب بحيث قفلت جميع المسالك على الحبشة للوصول إلى مياه البحر وموانئه . بيد أن هذه الدويلات الصغيرة المسلمة لم تفتح أعينها لرؤية الخطر الحبشي المسيحي الذى كان يحدق بها ، ولذلك

---

[١٣] ترمنجهام : الإسلام فى إثيوبيا . ص ٦٥

فإنها لم تفكر أو تتخذ الخطوات اللازمة لتوحيد الصف ، ومجابهة الحبشة كقوة موحدة . ولو كانت فعلت ذلك لكانت مصدر خطورة على المملكة الحبشية ، ولما أعطتها الفرصة لتنمو وتزداد قوتها ثم تنهال عليها ضربا أدى إلى حروب طويلة بعد ذلك . وكان من بين أسباب ضعف الملك الحبشي أنه كان يحكم بلادا عليها تسعة وتسعون ملكا صغيرا ، فكان على الملك الأول " يكونو أملاك " أن يخضع هؤلاء قبل أن يلتفت إلى الدويلات الإسلامية . ولذلك فقد ترك أمر التوسع للوصول إلى موانئ البحر الأحمر لمن يجئ بعده من ملوك الأسرة .

كانت من أهم عوامل توحيد الحبشة في نظر ملوك الأسرة السليمانية هو نشر الدين المسيحي وتعاليمه بين الشعب الحبشي. وكان هذا لا يتأتى إلا إذا وجدت الحبشة القائد الدينى المسيحي القدوة . ولم يكن في البلاد من يملأ هذا المنصب . وكانت الحبشة قد اعتادت أن تحصل على (أبونا) القدوة المسيحي من كنيسة الأقباط بمصر . ولكن منذ سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م لم يكن لديها هذا الزعيم الروحي الذى يقودها إلى المسيحية . لهذا فقد كتب الملك يكونو أملاك إلى السلطان المملوكي بالقاهرة السلطان ركن الدين بيبرس سنة ٦٧٣هـ/١٢٧٤م لكي يزودهم بأحد كبار القساوسة عن طريق الكنيسة القبطية لهداية أهل الحبشة إلى تعاليم دينهم . وطلب أملاك من بيبرس أن يحسن لهم إختيار هذه القدوة بحيث يكون (أبونا) الوافد عليهم من الرجال الذين يتحلون بالأمانة والزهد ، وألا يكون من أولئك الذين يسعون إلى جمع المال وكنزه ، والانصراف عن المسائل الدينية إلى المسائل المالية والدنيوية . وكان طلبه هذا قد أرسله عن طريق السلطان الحمداني باليمن .

وفى تلك الأيام كان العالم الإسلامى فى محنة من أشد المحن التى مرت به . ففى سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م كان هولاكو قد فتح بغداد ، وأزال الخلافة الإسلامية منها ، وضعف حال العالم الإسلامي ، وبقي بدون خليفة يجمع شمله . كما كانت هجمات الصليبيين لم تتوقف عن مهاجمة الأراضي الشامية والديار المصرية . ومنذ ذلك التاريخ أصبح المماليك هم المسئولون عن الدفاع عن المسلمين ضد أعدائهم من التتر والصليبيين .

ووسط هذا المعترك ، نهضت الحبشة من عثرتها ، وأخذت تهدد هى الأخرى الجنوب الشرقي من العالم الإسلامي ، كما كانت تهدد اقتصاديات الأسرة الإسلامية من الهند إلى مصر ، بل ولربما ستعمل على إنشاء قرصنة تهاجم السفن الهندية والعربية عند باب المندب .

وبينما كان الملك " يكونو أملاك " يمد يده اليسرى بطلب للسلطان المملوكي ليعطيه (أبونا) ليعيد المسيحية للحبشة ، كان هذا الملك الحبشي يمسك السيف بيمناه ليضرب به إمارة عفات المسلمة .

شعر سلطان عفات بما كان ينوى أن يفعله ملوك الحبشة المسيحيون ، ولذلك فقد رأى أن يلجأ إلى الدولة المسلمة الوحيدة القادرة في ذلك الوقت على مساعدته أو مؤازرته حتى ولو عن طريق استخدام مساعيها الحميدة لدى ملوك الحبشة لعدم الاعتداء عليها . فلما تأزم الموقف بين الجارتين أرسل سلطان عفات رسله إلى القاهرة بين سنة (٧٣٣هـ و٧٣٥ الموافق ١٣٣٢و ١٣٣٥م) وذلك بقيادة الشيخ عبد الله الزيلعى ، وهناك طلب من السلطان الناصر محمد بن قلاوون التوسط لدى الحبشة للتخلى عن اعتداءاتها على سلطنة عفات . ورأى السلطان أن خير من يقوم

بتلك المهمة هو مطران الأقباط بمصر فطلب منه الكتابة بذلك إلى ملك ملوك الحبشة .

وكان الملك عمدة صهيون قد اعتلى عرش الحبشة منذ سنة ٧١٤هـ إلى ٧٤٥هـ (١٣١٤-١٣٤٤م) . وكان عمدة صهيون [١٤] قد ورث مملكة مترابطة الأجزاء بفضل ما قام به الملك يكونو أملاك ، وأصبح يرى نفسه وكأنه الإسكندر الأكبر الذى ورث عن أبيه فيليب مملكة قوية البأس. فلما تولى عمدة صهيون الملك دب الخوف فى نفوس جيرانه المسلمين خاصة إمارة موراو ، وعدال ، ولذلك فقد أخذت هذه الإمارات فى التكتل ، وانضمت إليها كل من طيقو ، وباقيوما ، ولاباكالا ، ووارقار وقيالا . وحاقت الهزيمة بهذا الائتلاف ، وذهب ملك عدال وموورا إلى الإمام صالح ابن أشراف مكة المكرمة الذى كان له نفوذ ديني كبير فى منطقة هرر لأنه رجل دين ، وانضم إلى هذا الحلف الجديد جماعات أخرى من المسلمين إلا أن عمدة صهيون انتصر عليهم للمرة الثانية ، ودخل إمارة عفات وهو مزهو بانتصاراته ، وقبض على ملكها ، وعلى الشريف الإمام صالح وقتلهما كما هدم المساجد التى كانت فى المدينة وخرب دورها .

شعر السلطان المملوكي بأن يده غير قادرة على الوصول إلى تلك الأرضي النائية عنه ، كما أنه كان يواجه صراعات عديدة في مصر والشام . وكان هو الأمل الوحيد لمسلمي الطراز الإسلامي لكي ينقذهم مما هم فيه من محن . ولكن هيهات .

---

[١٤] كلمة يبدو أنها مأخوذة من العربية وقد شرحها ولاس بدج على أنها تعنى (عمودا أو عمدة) ، وعمدة تعنى الذى يعتمد عليه .

في هذا الوقت ظهر أمير بنى عامر الحدربي الأمير سمرة بن مالك العامرى . وكان سمرة يعيش في عهد سلطنة السلطان الناصر محمد ابن قلاوون نفسه الذى كتب إليه أمير عفات ليؤازره على ملك الحبشة . وكان الناصر محمد بن قلاوون قد تولى الملك للمرة الثالثة بين سنة ٧٠٩ و ٧٤٢هـ / ١٣٠٩ و١٣٤١م . وكانت فترة حكمه الثالثة قد بلغت اثنين وثلاثين عاما .

ولا نعرف بالتحديد العام الذى اتصل فيه الأمير سمرة بالسلطان محمد بن قلاوون ، ولكننا نعرف أن ابن فضل ا لله العمرى المؤرخ الذى أورد ذكر هذا الأمير فى كتابه توفى سنة ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م ، وهذا يدلنا على أنه كان قبل ذلك التاريخ فى إمارته .

ذكر ابن فضل ا لله العمرى أن ممن كوتب " من العربان جماعة بالطرقات الموصلة من الديار المصرية إلى بلاد الحبشة وغيرها . " ثم أضاف " ولعل هؤلاء أيضا من عربان الممالك المحروسة غير أنه لا إقطاعات لهم[١٥]. وعد منهم ثمانية أشخاص ، وذكر أنه كتب إلى كل منهم الاسم ومجلس الأمير .

الأول : سمرة بن كامل العامري . ويعلق الدكتور مسعد على هؤلاء قائلا " ليس من الميسور تحقيق مواطن هذه الإمارات العربية والتعرف على أصولها ، والواضح أن بعضها يقع في بلاد النوبة ، والبعض الآخر فى أوطان البجة حتى حدود الحبشة . ولعل الأمير سمرة بن كامل العامري هو سمرة بن ملك مشيخة الحدارية أو من سلالته ... " .

---

[١٥] أى أن السلطة المصرية لا تدفع لهم إعانات .

ويقول العمرى إن " شيخ الحدارية سمرة بن كامل ذو عدد جم ، وشوكة مكينة ، يغزو الحبشة وأمم السودان ، ويأتى بالنهاب والسبايا ، وله أثر محمود ، وفعل مأثور ، ووفد على انسلطان ، وأكرم مثواه ، وعقد له لواء ، وشرّف بالتشريف وقلد . وكتب السلطان إلى ولاة الوجه القبلى عن آخرهم ، وسائر العربان بمساعدته ومعاضدته ، والركوب للغزو معه متى أراد . وكُتب له منشور بما يفتح من البلاد ، وتقليد بإمرة العربان القبلية مما يلي قوص إلى حيث تصل غايته ، وتركز رايته . "

ومنذ صدور هذا المنشور السلطاني أصبح زعيم بنى عامر مسئولا عن فتح جبهة ثانية ضد ملوك الحبشة الذين كانوا يعملون على التوسع على حساب الإمارات الإسلامية في الطراز الإسلامي . ولم يستطع السلطان المملوكي أن يقدم الدعم العسكري ، ولكنه اعترف لهذا الأمير ومن يجئ بعده بما يفتحون من بلاد في نزاعهم مع الحبشة . ونجد أنه بالإضافة إلى بنى عامر أبناء البجة كانت هناك قبائل عربية أخرى تقف معهم في تلك الجهات ، فقد كانت هناك قبيلة جهينة[١٦] التى لم تترك الفرصة تفوت دون أن تجاهد . وكانت هناك بهراء التى توغلت في ذلك الجهاد حتى امّحى اسمها من الوجود بسبب اختلاطها على ما يبدو بقبيلة بنى عامر . أما الحدارية فهم زعماء البجة قاطبة ، وهم من قبيلة بليّ العربية أصلا ، ويبدو أن زعماء بنى عامر الذين نزلوا تلك البلاد تزوجوا فيهم وأصهروا وورثوا بعض الزعامة . وكان من بين هؤلاء سمرة بن كامل العامري أو أحد آبائه .

ولم تكن قبيلة بنى عامر التى هاجرت إلى إقليم البجة واختلطت بأولئك السكان ، إلا حلقة واحدة من سلسلة الهجرات العامرية التى نزلت

---

[١٦] ارجع إلي ما قاله ابن خلدون عن جهينة .

في تلك الديار عبر العديد من القرون . وربما كان من المفيد أن نتقصى تحركات هذه القبيلة لنعرف شيئا عن آثارها في شرق السودان وإرتريا .

تذكر المصادر العربية التى جمع كحالة منها بعض رواياتهم بأن عامر ابن صعصعة هم بطن من هوازن[١٧] وهم من أكبر القبائل العربية . ويرجع نسب هوازن إلى قيس بن عيلان من العدنانية . وقد أورد أبرهة عند الحديث عن حربه مع بنى عامر بأنهم من معدّ . ويقول كحالة بأن منازل بنى عامر كلها كانت في نجد ، ثم نزلوا ناحية من الطائف مجاورين لعدوان أصهارهم ، فنزلوا حولهم ، وكانوا بتلك الناحية زماناً .

وقد نشبت حروب كثيرة بين بنى عامر وغيرها من القبائل بحيث أثرت على استقرارها وطوافها وهجراتها . وقد شوهدت قبيلة بنى عامر حوالي سنة ٥٧٠ م في المناطق التى اخترقها أبرهة الحبشي فى طريقه إلى مكة المكرمة ، مما يظهر أنها كانت قد رحلت في ذلك الوقت من منازلها بنجد إلى الطائف وما وراءها . وكان لبنى عامر وفد قدم على النبى صلى ا لله عليه وسلم في عام الوفود بزعامة عامر بن الطفيل الذى لم يؤمن بالرسالة ورجع بوفده إلى ديارهم ، وعاجلته المنية في الطريق بعد أن أصيب بداء عضال .

وفى العهد الإسلامي حدثت تغيرات كبيرة لمنازل القبائل العربية في شبه الجزيرة العربية ، ومن بين تلك القبائل قبيلة بنى عامر بن صعصعة .

وكان من بين المناطق التى رحلوا إليها المناطق المجاورة لجنوبي العراق، وقد اشتد ساعدهم في سنة ٥٨٨هـ ، فخرجوا بجموعهم إلى البصرة تحت قيادة رئيسهم المدعو عميرة ، وغزوا البصرة ونهبوا من أموالها ، وعبثوا

---

[١٧] انظر الحديث عن هوازن وكيف أنهم نزلوا فى إرتريا ثم توغلوا فى الأراضى الحبشية حتى بلغوا منطقة كسلا بشرق السودان ليكونوا قبيلة الخلنقا .

بأمنها . فخرج إليهم إسماعيل طغرل مملوك الناصر ، فقاتلهم سائر يومه ، ولم يستطع القضاء عليهم ، ولكنهم انسحبوا من البصرة ، وعسكروا خارجها ، فلما دخل الليل دخلوها مرة ثانية ، وعاودوا نهبها ، ثم رحلوا عنها غانمين .

وجاء في العبر [١٨] عَن ابن سعيد أنه قال : سألت أهل البحرين في سنة إحدى وخمسين وستمائة (ويقول صبح الأعشي سبعمائة) حين لقيتهم بالمدينة النبوية عن البحرين ، فقالوا : " إن الملك فيها لبنى عامر بن عقيل ، وبنو عصفور منهم هم أصحاب الإحساء ، وبنو تغلب الذين كانوا ينادونهم في الزمن الأول من جملة رعاتهم (العبر ٦ : ١٢) .

" وقد ذكر الحمدانى أن آل عامر هؤلاء وفدوا على السلطانية بالديار المصرية في دولة الظاهر بيبرس صحبة مقدمهم محمد بن أحمد ابن القعدى بن سنان بن عضلة بن شبانة بن قديمة بن نباتة بن عامر ، وعوملوا بأتم الإكرام ، وأفيض عليهم سابغ الإنعام ، ولحظوا بعين الاعتناء .

ثم توالت وفادتهم على الأبواب العالية الناصرية ، وأغرقتهم تلك الصدقات بديمها ، فاستجلبت النائي منهم ، وبرز الأمر السلطاني إلى آل فضل بتسهيل الطريق لوفودهم وقصادهم ، وتأمينهم في الورود والصدر ، وأتوه بأجلاب الخيل والمهاري ... فكان لا تزال منهم وفود بعد وفود .. " قال : ودارهم فى الإحساء والقطيف وملح وأقطاع والقرعا وإللهابة والجودة ومتالع ".

وكان وصول هذه الوفود من البحرين أى سواحل الجزيرة العربية الشرقية من أهم أحداث هجرات القبائل العربية إلى وادي النيل . وأغلب الظن أن هذه الوفود إنما جاءت عن طريق البحر بأن كان خروجهم من

---

[١٨] تاريخ ابن خلدون

الخليج العربي ثم داروا حول شبه جزيرة العرب حيث نزلوا أغلب الظن فى باضع البنى عامرية وهى مصوع ، ثم ساروا من هناك حتى وصلوا مملكة البجة إلى أن بلغوا مصر . وكان سمرة بن مالك العامري في ذلك الحين من شيوخ بنى عامر البجاوية السودانية ، ولعله سهل لهم الوصول إلى سلطان المماليك أو سلاطينهم وهم الذين أظهروا التقدير والإعجاب بما تقوم به قبيلة بنى عامر ومن والاها من دفاع عن حرمة الدين في السودان الشرقي ضد الهجوم الحبشي المتكرر في وقت كانت فيه دولة الحبشة تسعى إلى توسيع رقعة أراضيها على حساب غيرها سواء أكان ذلك في أراضى الطراز الإسلامي أو مملكة البجة الجنوبية الغربية وهى مملكة بنى عامر .

ويتضمن هذا الحديث الذى ساقه ابن سعيد ونقله ابن خلدون فى العبر أن هناك علاقة بين بني عامر وبين الإحساء فى شرقي الجزيرة العربية وهذا يهمنا في أن بني عامر شرق السودان ينسبون إلى الإحساء أيضا فيقال لهم بنى عامري كما يقال للواحد منهم حاساوي (وقد يقلب بعض الناس الحاء خاء إمعانا في الفصاحة)[١٩]. ويخيل للمرء أن اسم قبيلة بنى عامر البجاوية إنما أخذ من بنى عامر بن صعصعة أصحاب الإحساء في وقت غير معروف ، وأن جماعات من هذه القبيلة كانت تتوافد على مرافئ الساحل الشرقي للسودان مثل مصوع أو باضع والعقيق أو عدولية وسواكن وغيرها ، وأنهم اختلطوا مع سكان منطقة بنى عامر ، وسادوا عليهم وأطلق عليهم اسم بنى عامر أو حاسا . وكما نعرف فقد زار المسعودي سواكن (سنة ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) وذكر بأن أهلها طائفة من البجة تسمى الحاسة

[١٩] عموم قبائل البجة لا تنطق حرف الحاء بل تقلبه حاء أو كافا.

(الحاسة) ، وهم مسلمون ، ولهم بها ملك . ويقول مؤرخ البجة [٢٠] بأن هؤلاء الحاسة ارتحلوا إلى توكر وضواحيها تحت ضغط القبائل التى زاحمتهم على سكنى سواكن. ومن بقاياهم أبناء عمير بن محمود .. الخ . وقد ذكر هذا الاسم أيضا ابن حوقل ولو أنه كتب اللفظ بالجيم بدلا من الحاء ولعل ذلك خطأ في النقل . غير أن ابن حوقل ذكر أيضا أن من بين سكان منطقة بنى عامر قبيلة تدعى قعصة التى هى أجل بطون البجة الداخلة ، وأكثرها مالا وأعزها . وتسكن هذه البطون في بَرَكَة بالقرب من مصوع على ساحل البحر الأحمر ، وأراضيها كلها تسكنها قبائل مسلمة ، وتمتد هذه الأراضي حتى تصل جبل ملاحيب . وفى هذا يقول ابن حوقل : " والذى بين وادي بركة وجبلها المدعو ملاحيب راجع إلى الإسلام " . وهذا يعنى أن الإسلام في مناطق بنى عامر كان منتشرا في سائر البوادي والقرى .

ويبدو أن اسم مملكة جارين لم يعد يناسب الوجود الجديد الذى كانت عليه مملكة البجة الجنوبية خاصة في صراعها الشاق مع الأحباش ورويدا رويدا تحت وطأة تلك الحروب ، ومكاتبات سلاطين المماليك والاعتراف بالأسرة العامرية الحاكمة من أبناء سمرة بن كامل العامرى أخذ اسم القبيلة الجديد يطفو على السطح وينتشر ليزداد قوة مع الأيام ؛ ونجد أنه حتى القرن السادس عشر الميلادي حين كان القتال دائرا بين المسلمين في القرن الإفريقي وبين الأحباش وحلفائهم البرتغاليين فإن اسم البلو ظل مهيمنا على الساحة . ومن الصعب أن يحدد الباحث التاريخ الذى أصبح فيه هذا الاسم معروفا على كل لسان . لأنه حتى بعد استيلاء عامر ابن علي نابت على الحكم من أخواله البلو في سنة ١٧٧٩م نجد أن اسم بنى عامر لم يكن

---

[٢٠] محمد صالح ضرار : تاريخ سواكن والبحر الأحمر – ص ٣٥ – الحاشية .

هو الاسم المنتشر في البلاد بأسرها ، بل نجد أن كاتب الشونة يقول بعد حادثة عن ملك البلو العامري ما يلي : ـ

يتحدث كاتب الشونة عن الوزير بادي بن أخ الشيخ محمد أبي اللكيلكْ ويقول عن شجاعته " وأما شجاعته فقد حكوا أنه قاتل ثماني عشرة مقتلة ما رؤي منهزما ، ووقائعه مشهورة في الغرب . وقيل إنه في بعض قتالاته أرسل له عامر مَكْ البلي [٢١] ، وقال له : (أنت فارس وأنا فارس ، ولكن ليس عندي مثل سيفك .) فلما قامت الصفوف اتخذ له سيفا غير سيفه ، وأرسل سيفه إليه ، وقال له " وحياة رجب ما تركت أفضل منه . فلما التقيا أعانه ا لله عليه ، فقتله ، وجاء بسيفه " . [٢٢]

فالقصة هذه لا تشير إلى أن الملك عامر هذا من الجعليين الذى تزوج أبوه من إبنة ملك البلو التى يتزعمها العامريون الذين كانوا يسكنون فى دَقَا دِقْلَلْ بإرتريا . والمعروف لدى عموم قبائل بنى عامر خاصة ، والبجة عامة أن عامر بن علي نابت هو مكون الأسرة العربية الأخيرة التى ورثت حكم قبائل بنى عامر والتى أطلق عليها أسرة النابتاب ، وأن الملك عامر هذا الذى أسماه جده على جد القبيلة الأول إنما يرجع في نسبه إلى أخواله البلو والبني عامر الذين نشأ بينهم واستولى على ملكهم بعد وفاة جده لأمه ، وبعد المعركة الأخيرة التى تحالف فيها الجعليون مع الفونج وهزموا البنى عامر ، واستولوا على مُلك بنى عامر ، وبذلك أصبحت مملكة بني عامر امتدادا لمملكة الجعليين من حيث الأسرة الحاكمة ، ولكنها كانت تتمتع باستقلالها داخل حدودها .

---

[٢١] أى ملك البلي ، ولفظة مَكْ تدل على ملك صغير تحت من هو أكبر منه مقاما .

[٢٢] تولى الشيخ بادي ولد رجب المشيخة سنة ١١٩٠هـ / ١٧٧٦م .

في التاريخ الذى أورده كـاتب الشـونة معلـم مـن معـالم تـاريخ هـذه القبيلة إذ يوضح أن عامرا هذا الذى تولى ملك البلو بعد خاله كان بعد تلك السنة أى بعد سنة ١١٩٠هـ / ١٧٧٧م . بيد أن الأحداث لا تظهـر بمظهـر الحقيقة التاريخية خاصة قصة السيف الصقيل الذى انتهى أمره بأن يتسبب في قيام حرب بين وزراء الفونج ومملكة بنى عامر البلوية . ولعل الأمر يحتاج إلى مزيد من البحث والاستقصاء للوصول إلى حقائق مؤكدة عن تفاصيل تـاريخ هذه القبيلة وعلاقتها بمشيخة الفونج .

والواقع فإن تاريخ بنى عـامر الـذى تناولـه البـاحثون فيـه شـيء مـن التضارب في الأقوال ، ويبدو أنه كـانت هنـاك إضافـات تضـاف مـع الزمـن كلما حدثت حادثة في شئونها . إلا أننا نميل إلى أن اسم القبيلة نشأ في وقـت أسبق من تاريخ عامر البلوى ، ويعود ذلك في رأينا إلى أيام أميرهم سمـرة بـن كامل العامري ابن ملكهم ، كما نرى أن الصراع الـذى كـان مستمرا بـين سمرة وبين الأحباش كان حلقة قوية ربطـت بـين شـعب وبطـون هـذه القبيلـة المتاخمة للحبشة ، كما نرى أن هناك بعض القبائل العربية التى انخرطـت فيهـا وذلك بإيعاز من السـلطان المملوكـي قـلاوون وبتشـجيع منـه ، كمـا أننـا لا ننسى بأن السلطان قد استقبله أحسن استقبال في القاهرة .

ولما كنا نعرف أن بني عامر قد اختلطوا كثـيرا بهـذه القبـائل العربيـة إضافة إلى وجود منازلهم على سواحل البحر الأحمر فإننا نجد أن من الصعوبـة بمكان الأخذ برأى سـلجمان علـى أنهـم " خـير أمثلـة للبجـة النقيـين الذيـن يشبهون المصريين القدماء أقرب تشابه " .

ومع كل فليس سلجمان وحده هو الذى ربط العلاقة بين بنى عـامر وبين قدماء المصريـين لأن كثـيرا مـن المؤرخـين فعلـوا ذلـك كمـا رأينـا حـين

أرجعوا أصول الجميع بما فيهم سائر البجة إلى العرب الخالية من قوم عاد وثمود والعماليق .

ولعل من طرائف الأساطير ما يقوله أهل منطقة بنى عامر حين يداعبون أبناء بنى عامر فيذكرون أنهم من أبناء فرعون . ولعل في هذه الدعابة شيئا من الرواية المتناقلة بين أبناء البجة منذ أن عاصروا الفراعنة رغم أن بنى عامر هم أبعد قبائل البجة شقة عن الحدود المصرية ، ولكن ربما التقوا بقدماء المصريين في موانئ العقيق وباضع (مصوع) وجزيرة عيرى حين كان يذهب المصريون إلى هناك لجلب البخور والعطور والعاج والأبنوس والحيوانات المتوحشة من أراضي الحبشة وما وراءها . [٢٣] وقد كانت سفن الملكة حبشتسوت قد وصلت إلى موانئ الطراز الإفريقي أثناء حكمها لمصر .

ونجد أن المؤرخين يؤكدون أن البجة الشماليين مثل البشارين والأمارأر هم خليط من البجة والعرب ، وهذا أمر لا ريب فيه ولا جدال ، ولكننا في نفس الوقت لا نريد أن ننسى أن ما حدث من اختلاط في شمال مملكة البجة قد حدث مثله في أراضى بنى عامر منذ هجرات العرب الأولى إلى تلك الشواطئ ومن بينها كما نرى بعض بطون بنى عامر وزعمائها . كذلك فقد تكون بعض الهجرات متواصلة ، وتجرى بين حين وآخر دون انقطاع .

وتختلف أوطان بنى عامر عن غيرها من أوطان البجة في الوقت الحاضر لأنها خضعت لتقسيمات نفذها الاستعمار الأوربي ، وأصبح معمولا بها طوال التسعين سنة الماضية أو ما يزيد . ومع أن البشارين ينتشرون أيضا

---

[٢٣] يتحدث ابن حوقل بإسهاب عن الحيوانات المتوحشة فى منطقة بَرَكَة بأراضى بنى عامر .

بين السودان ومصر إلا أنهم لا يعانون من مثل هذا الانقسام . ودرجت الحكومة البريطانية أثناء فترة الحكم الثنائي على السودان على معاملة قبائل بنى عامر على أنها مستقلة عن بطونها وزعمائها الموجودين في إرتريا . وكذلك فعلت إيطاليا نفس الشئ . فأصبح لكل قبيلة في كل قطر زعماء على من معهم من بطون ، كما أن كل هؤلاء الزعماء فى الجانبين أبناء عمومة . [٢٤]

بيد أن تاريخ هذه القبيلة كان مرتبطا ببعضه بعضا في الماضي بسبب وحدة الزعامة تحت ملوكها الذين يسكنون في عاصمتهم " دَقا دِقْلَلْ " في إرتريا . وبالإضافة إلى كفاح سمرة بن كامل ضد الأحباش إلا أنهم ما فتئوا يدافعون عن بلادهم طوال القرنين السادس عشر والسابع عشر بالرغم من استخدام الأحباش للسلاح الناري الذى أدخله في مملكتهم البرتغاليون . ويستخدم بنو عامر في حروبهم السيوف والرماح على خلاف ما ذكره بعض المؤرخين من أنهم لا يعرفون استخدام السيف . بل إنهم كانوا يستخدمون السيوف الصليبية التى عرفها البجة في موانئهم وخاصة عيذاب منذ أن نزل في أراضيهم الصليبيون فى عهد صلاح الدين الأيوبي . ويهتم أبْناء بنى عامر كثيرا باقتناء السيف ، ولا يوجد بينهم رجل لا يملك سيفا ليوم الروع ؛ بل إنه بمجرد أن ينجب الرجل ولدا يعطيه سيفا كهدية له فى أول يوم ميلاده ، ولعل قصة سيف عامر البلوي الذى حسده عليه بادى رجب شيخ الفونج ما يؤيد أهمية السيف الجيد للبني عامري .

---

[٢٤] راجع كتاب محمد صالح ضرار : تاريخ شرق السودان : ممالك البجة ، بنى عامر وكان والدنا محمد صالح ضرار ممن يهتمون بالسيوف الجيدة وامتلاكها ، وقد أهدى لكل ولد من أبنائه سيفا له قيمته التاريخية .

وربما كانت قبيلة بنى عامر في تاريخها هى أحرص الممالك السودانية القديمة على وحدة أراضيها وانضمامها إلى بقية أنحاء السودان بل والدولة الإسلامية في عهد المماليك. وكانت من أولى الممالك السودانية التى بايعت الفونج حين أقاموا سلطنتهم الزرقاء ، فقد أرسلوا وفودهم لذلك السلطان وبايعوه وأصبحوا من بين الائتلاف القبلي الذي كان يضم معظم القبائل السودانية في دولة الفونج .

وقد اعترفت السلطنة الزرقاء بمملكة بني عامر ، ومنحت مليكها (الطاقية أم قرون) والكَكَرْ (الكرسي الملوكي) وكذلك النقارة رمزا للتاج والعرش والسلطة على الجيش على التوالى وذلك في القرن السادس عشر الميلادي .

وطوال فترة حكم الفونج للأراضي السودانية كانت قبائل البجة عامة تدين لملكها بالولاء ، كما صاهر بعضهم وزراء الفونج وهذا أدى إلى تقوية الأواصر بين شعوب السلطنة الزرقاء .

كذلك نجد أن أبناء بنى عامر وزعماءهم في باضع (مصوع) قد قبلوا نزول الحامية التركية في أراضيهم فى العقد الثالث من القرن السادس عشر وذلك عندما رأوا أن الأحباش قد تحالفوا مع البرتغاليين ، وحصلوا منهم على المدافع الضخمة والبنادق . غير أن الصلة بسنار لم تنقطع ، واستمرت حتى بعد سقوط مملكة الفونج على يد البرنس إسماعيل بن محمد على باشا . واستمرت في عهد الحكم المصري كقبيلة كاملة غير مجزاة تحت الإدارة المصرية حتى تدخلت بريطانيا وقطعت أوصال الإمبراطورية المصرية كما هو معروف في الأحداث التاريخية .

وعند ظهور المهدي وقفت قبائل بنى عامر تساند الثورة المهدية وتقدم العون لزعيمها أمير الأمراء عثمان دقنة في شرق السودان . ولكن عندما تولى الخليفة عبد الله الأمر ، أرسل القائد أبا قرجة إلى منطقة بني عامر ، ولم تكن بعثته تتسم بالحكمة والمسئولية ، كما أن جنوده كانوا يفتقرون إلى الضبط والربط وحسن النظام والسيرة . وكانت أسلحتهم النارية التى يتسلحون بها قد أدخلت الغرور في نفوسهم ، فكانت لذلك أيديهم سريعة الضغط على البنادق كما كانت أصابعهم سريعة الضغط على الزناد ، فنتج عن ذلك مصادمات مع سائر قبائل بنى عامر، وراح ضحية تلك السياسة غير الحكيمة بعض الأرواح ، ولم تتوقف هذه الاضطرابات إلا بعد أن سحب الأمير أبو قرجة ، وأعيدت الأمور للأمير عثمان دقنة الذى بذل كل ما في وسعه لرأب الصدع .

وكان زعماء بنى عامر من أمثال الشيخ ضرار على شيخ قبيلة الأفلندة والعجيلاب هم الذين أعدوا السنابيك لنقل الأمير عثمان دقنة إلى الأراضي المقدسة بعد انتهاء المعارك على الأراضي السودانية ، وانخماد الثورة المهدية .[٢٥]

ولم تتوقف هذه القبيلة عن مناصرة الحركات الوطنية بقيادة زعمائها السياسيين الذين كانوا يعملون جاهدين ضد الاستعمار ، كما كانوا يبذلون كل ما في وسعهم في سبيل رفع شأن البجة عامة وبنى عامر خاصة في النواحي التعليمية . وكان على رأس هؤلاء الزعماء مؤرخ إقليم البجة محمد صالح ضرار الذى أضاف إلى جهوده السياسية جهودا علمية فأرخ لإقليم

---

[٢٥] لمزيد من التفاصيل عن قبيلة بنى عامر يمكن الرجوع إلى ما كتبه سيدى الوالد محمد صالح ضرار فى كتاب تاريخ ممالك إقليم البجة .

البجة ، وجمع كل ما استطاع من حوادث وتاريخ ، ومن سير ذاتية ، وأشعار بلغات أهل المنطقة من تبداوية وبنى عامرية ، فكان بحق مفخرة علمية للسودان كافة . وكان هذا المؤرخ من أولئك العامريين الذين يتحدثون اللغتين البجاويتين ونعنى بهما البنى عامرية (التيجرية) ، والتبداوية ، كما وضح فى كتاباته بأن أفراد

بني عامر وجماعاتها التى تسكن الجبال تتحدث بالتبداوية بينما يتحدث أولئك الذين يسكنون على سواحل البحر الأحمر بالتيجرية . وهناك قبائل بنى عامرية تتحدث اللغتين معا ، وكلتاهما لهم لغة أم ، ويستطيع المرء أن يفصح بأى منهما دون تلجلج أو لعثمة .أما أهم مظاهر اللغة البنى عامرية فقد بيناها فى الفصل الخاص بلغات الشعوب السودانية ولهجاتها .

الحاسا وبنى عامر

ذكر المقريزى لفظ الخاسا أو الحاسا فى كتابه المواعظ والأخبار بذكر الخطط والآثار فى معرض حديثه عن البجة ومدينة سواكن . وكما يلاحظ عنه فإنه نقل أخبار النوبة والبجة من ابن سليم الأسوانى الذى زار تلك المناطق .

وقد نقل المقريزى أيضا عن أبى الحسن المسعودى صاحب كتاب مروج الذهب قوله بأن البجة نزلت بين بحر القلزم ونيل مصر ، وتشعبوا فرقا ، وملكوا عليهم ملوكا ، وفى أرضهم معادن الذهب ، وهو التبر ، ومعادن الزمرد .

ثم يتحدث المقريزى قائلا بـأن بـوادى البجـة المالكـة لمعـدن الزمـرد تتصل ديارها بالعلاقى وهو معدن الذهب .وبين العلاقى والنيل خمس عشـرة مرحلة . وأقرب العمارة إليه مدينة أسوان . ثم يعطف الكاتب إلى سـواكن فيقول بأن جزيرة سواكن أقل من ميل فى ميل ، وبينها وبين البحر الحبشـى بحر قصير يخاض ، وأهلهـا طائفـة مـن البجـة تسـمى الخاسـة (الحاسـة) وهـم مسلمون ، ولهم بها ملك .

ويفهم من حديث المقريزى ومن نقـل عنهـم أن الخاسـة وهـى كلمـة تنطـق في أكـثر الأحيـان بالحـاء ، فيقـول النـاس حاسـا ، والنسـبة إليهـا "حاساوى" إنما هم طائفة من البجة كانت تتولى حكم سواكن آنـذاك ، أي في القرن الرابع الهجرى ن وبالتحديد عندما زار المدينة المسعودى حوالى سنة ٣٣٢هـ / ٩٤٣م[٢٦] .

ومنذ ذلك التاريخ كانت القبـائل العربيـة قـد أخـذت تتقـاطر علـى شرقي السودان ، وتعيش بين قبائل البجة ، وتختلط بهـم . وزادت الضغـوط العربية على ملوك الحاسا فى سواكن الذيـن ربمـا كـانوا هـم أنفسـهم طائفـة عربية الأصل نزلت من الحساء مع جماعات أخرى من القبائل التـى هـاجرت من الجزيرة العربية ؛ واستقرت فى شرقي السودان . واسـتمر حكـم الحاسـا على مدينة سواكن كدويلات من دويلات البجة حتى انهار حكمهم بتسـلط طائفة أخرى عربية عليهم ، وأزاحتهم من سـواكن ومـا جاورهـا جنوبـا نحـو مدينة توكر وما حولها .

وهنا يوضح لنا مؤرخ البجة ضرار الأكبر نهاية الحاسا فى سواكن ، وهو الذى تعقب تاريخهم حتى نهايته بين قبائل إقليم شرق السـودان ، فأفـاد

---

[٢٦] المسعودى – مروج الذهب ج ٢/ص ١٨

بأنهم " ارتحلوا إلى توكر وضواحيها تحت ضغط القبائل التى زاحمتهم على سكنى سواكن . فمن بقاياهم أبناء عُمْير بن محمود ، وفيهم اليوم رئاسة القبيلة ، وهو العمدة الشيخ أبو محمد محمود حمد " . [٢٧]

فالحاسا كانوا ملوك سواكن ، وهم قبيلة ذات تاريخ عريق انهار تحت ضربات القبائل العربية التى اندمجت فى بقية الرعايا من البجة ، فأضحت فى آخر الأمر أقلية من رعايا ملوك البجة الذين اختلطوا بأهل البلاد . وهم من الطوائف القليلة التى جاء ذكر أمجادها فى كتب المؤرخين العرب مثل المسعودي ، والدمشقي والمقريزي . [٢٨]

ويبدو جليا أن طائفة الحاسا هذه كانت تسكن سواكن وتحكمها فى القرن الرابع الهجري على أيام المسعودي ومن ذكرها بعده من المؤرخين والجغرافيين . وبالرغم من أن أول قبيلة حضرمية (وهي عشيرة باصفار) كانت قد وصلت إلى أرض سواكن منذ سنة ٢٧٠هـ / ٨٨٣م إلا أنها لم تكن قد وضعت أيديها على حكم المنطقة بعد ، واستمر حكم طائفة الحاسا البجاوية العربية هذه حتى عهد المماليك ثم انهار حكمها على المنطقة وأخذت فى الاضمحلال حتى انزوت بعيدا عن مجرى الأحداث .

وطائفة الحاسا هذه لها تاريخ موثق فى شرق السودان . وكان أول من دوّن إسمها على ما نعرف هو الملك الحبشي إزانا (عزانا) حوالى سنة ٣٤٥م ، إذ ورد فيما كتبه في المسلتين اللتين أقامهما قبل تنصره وبعد اعتناقه المسيحية أنه كان ملك أكسوم والنوبة الحمر والنوبة السود والبجة ،

---

[٢٧] محمد صالح ضرار : تاريخ سواكن والبحر الأحمر . ص (٣٥) الهامش .

[٢٨] توفى المسعودي سنة ٣٤٦هـ / ٩٧٥م ، والدمشقي سنة ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م ، والمقريزي سنة ٨٤٥هـ / ١٤٤٥م

وسلها وحمير ، وريدان وسبأ والحاسا الذين كانوا يسكنون شمال أكسوم . وقد حارب الملك عزانا كل هؤلاء سواء أكانوا في جنوب غربي الجزيرة العربية أو الأراضي السودانية التى كانت تحت ممالك النوبة ومملكة البجة المستعربة . وتتضح لنا العلاقة التى كانت سائدة بين سكان شرقي السودان من مصوع (باضع) حتى شمال سواكن بلوغا إلى عيذاب إذ أن كل هذه القبائل العربية والبجاوية والحاساوية والنوبية كانت تقف صفا واحدا في وجه الاعتداءات الأكسومية .

ونضيف إلى أن الصلات بين الإحساء في شرقي الجزيرة العربية وشرق السودان لم تتوقف ، بل كانت تظهر من حين إلى آخر حتى أننا نجد أن زعماء بنى عامر بن صعصعة (أجداد بنى عامر الحاليين) هم من بنى عصفور الذين كانوا زعماء بنى عامر في الأحساء ، وقد وصلوا إلى شرق السودان ، ومن هناك انتقلوا إلى القاهرة بعد منتصف القرن السابع الهجري وقد استقبلهم السلطان المملوكي بكل ترحاب كما رحب بزعيمهم العامري سمرة بن كامل وأيده بكل ما يستطيع من تأييد في جهاده ودفاعه ضد الأحباش . وقد عرف بعض زعماء بنى عامر بالحاساويين نسبة إلى بلاد الحساء التى هاجروا منها إلى السودان الشرقي . وظلوا ملوكا على سواكن والأراضي الواقعة جنوبا إلى أن وصل أبناء أبي نمي من أشراف الحجاز ، واستطاع هذا النفر النبيل من أخذ السلطة على سواكن منهم ، وقد تزوج زيد بن أبي نمي من زعماء سواكن ، ربما كانوا هم الحاسا آنذاك ، وورث عنهم الملك على تلك المدينة ، وهكذا أصبحت سواكن وما حولها ضمن أملاك أشراف مكة المكرمة ، واتحد الشاطئان : شاطئ البحر الأحمر الغربي

والشرقي ، وبذلك سهل الحج إلى بيت الله الحرام ، وازدهرت التجارة ، وانتشر الإسلام في السهول والجبال في الأراضي السودانية .

obeikandl.com

جهينة – طي

قبيلة ثعلبة أو الثعالبة

عرفت قبيلة ثعلبة بهذا الاسم وهى في شبه الجزيرة ، وقد تفرعت من قبيلة طي القحطانية . ثم انتقلت ثعلبة مع فروع أخرى من طي إلى الأراضي الحجازية واستقرت هناك . فلما انتشر الإسلام بعد الفتوح ، وأخذ العرب في النزوح إلى الأمصار كانت ثعلبة من بين القبائل التى نزحت إلى مصر منذ أن خرجت مع سيدنا عمرو بن العاص (ض) حينما قاد المجاهدين إلى تلك البلاد . ولما استتب الأمر لعمرو هناك جعل لثعلبة أقطاعا فى الحوف في مناشير جذام . وكانت كل من جذام وثعلبة متجاورتين في المنازل ، ومن ثم نشأ بينهما تحالف .

ومنذ أن وطئت أقدام ثعلبة أرض مصر أخذت بطون من طي في الرحيل والهجرة إلى هناك على مدى السنين ، وكان من بين تلك البطون الطائية التى نزحت ، قبيلة سنبس التى نزلت البحيرة بعد أن سمح لها بذلك الوزير الفاطمى البازورى سنة ٤٤٢هـ / ١٠٥٠م .

ولم تنزل كل ثعلبة من الحجاز إلى مصر بل إنها انقسمت إلى شعبتين ذهبت إحداهما إلى الشام والأخرى إلى مصر . وأما التى هاجرت إلى مصر وسكنت في الحوف الشرقي فإنها لم تتوقف هناك وتستقر كلها ، بل حدث أن رحلت بطون منها إلى الصعيد في العهد الفاطمي . وكانت وهى في الصعيد من بين الفئات التى غضب عليها الوزير الفاطمي بدر الجمالي إذ

يقول المقريزي فى هذا الشأن إن أمير الجيوش بدر الجمالي " فتك بجهينة والثعالبة والسودان والمصريين " .[1] وقد مر بنا أن هذا الوزير قام بحملات تأديبية لكل الفئات التى كانت تظهر القوة ، والاعتداد بالنفس ، وتستغل موقفها وموقعها فى الدولة . وكانت جهينة آنذاك من بين الزعامات القبلية التى كانت تناهض حكم القاهرة في الصعيد . ويلاحظ هنا أن اسم ثعلبة قد انقلب إلى جمع فأصبح ثعالبة ، وهو الاسم الذى رحلت به هذه القبيلة من مصر واحتفظت به في السودان .

وفى عهد صلاح الدين الأيوبي كانت هناك بطون من ثعلبة ما زالت في الشام . وقال الحمدانى بأنه " كانت ثعلبة مع الفرنج يداً واحدة على المسلمين ، فلما فتح السلطان صلاح الدين البلاد جاءت ثعلبة وبعض جرم إلى مصر ، وبقيت بقايا جرم مكانها . " [2] ثم قال " لكننى لم أرهم إلا غزاة مجاهدين ، لهم آثار في الفرنج " . ويمضى القلقشندى فيقول بأن " ببلاد صعيد مصر فرقة يقال لها : الثعالب ، وهم بنو ثعلبة بن عمرو ابن الغوث بن طي ، وهذه النسبة هى نسبة جرم ، فيحتمل أن يكون الثعالب الذين بمصر فرقة من جرم " . ويؤكد الحمدانى بأن طائفة من جرم ذهبت إلى مصر مع ثعلبة ، وبقيت منها بقايا فى بلاد غزة . [3]

وكما رأينا في الأسطر السابقة فإن رحلة الثعالب هذه إلى مصر لم تكن أولى رحلاتهم إذ سبق لهم أن وصلوا مع عمرو بن العاص ، كما قاوموا بدر الجمالي أيضا ، وهم الآن يتكاثرون فى الصعيد فى عهد صلاح الدين .

---

[1] المقريزي : الخطط . الجزء الأول – ص ٣٨١– طبعة بيروت

[2] القلقشندي : نهاية الأرب – ص ١٩٥

[3] نفس المصدر – ص ١٩٦ _ ١٩٧

عاشت ثعلبة في صعيد مصر في عهد المماليك ، ولكن كغيرها من القبائل العربية شعرت بالإجحاف الذى أصابها من سيطرة المماليك ، ولذلك فقد كانت تتحين الفرص للثورة عليهم بعد أن جردت من ثمار فتوحاتها وجهادها . فلما ثار العرب على المماليك بقيادة محمد بن واصل العركى الذى اشتهر بالأحدب سنة (٧٤٩-٧٥٤هـ / ١٣٤٨-١٣٥٣م) كان الثعالبة من بين القبائل التى ناصرته ، ووقفت معه فى وجه الحملة المملوكية مع " عرب منفلوط وعرب المراغة ، وبنى كلب ، وجهينة ، وعرك حتى تجاوزت فرسانه عشرة آلاف فارس تحمل السلاح سوى الرجالة المعدة ، فإنها لا تعد ولا تحصى لكثرتها " . ولكن المعركة التى خاضها العرب مجتمعين انتهت بالقضاء عليهم قضاءً مبرما حتى في أكثرهم .[٤] ومنذ تلك المعركة أخذت ثعلبة تهيم على وجهها بحثا عن ملجأ لا يصل إليه المماليك . فكان أن انتشروا كغيرهم أيضا في الفيافي والقفار الواقعة في الأراضي السودانية حتى بلغ بهم المطاف سهول كردفان ودارفور حيث وجدوا الطمأنينة والاستقرار مع من كان هناك من جذام وبنى هلبا وغيرهما . وفى هذه البلاد اختلطت هذه البطون والقبائل العربية مع بعضها بعضا أسوة بالحلف العركى الذى سبق أن أقامته فى صعيد مصر ، ثم أخذوا جميعا فى مصاهرة سكان البلاد الأصليين من زعماء وغيرهم وامتزجوا بهم ، وجعلوا اللغة العربية هى السائدة بينهم إلى حد كبير ، كما جعلوا الإسلام هو الدين المتبع .

ويصف ابن إياس مسيرة هذه القبائل فى البراري السودانية قائلا " ثم إن الأمراء (المماليك) مشوا وراء العربان الذين هربوا مسيرة سبعة أيام

---

[٤] المقريزي : السلوك ٢-٣ / ٩١٠ - ٩١١

حتى دخلوا أطراف بلاد الزنج ، ثم رجع الأمراء والسلطان إلى الديار المصرية " . ويمضى عابدين ليقول " وقد ظلت بقية هذا الحلف فى الصعيد الأعلى ، وعرفوا باسم عرب ابن الأحدب " . [٥]

ويشترك كل من عابدين وفضل في الرأى ، ونؤيدهم فيه ، بأنه بالإضافة إلى هذه القبائل العربية التى ذكرت المصادر أنها فرت من وجه المماليك فى منتصف القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ، فإن هناك عربا آخرين انضموا إليهم في الثورة ، ثم فى اللجوء إلى السودان . ومن بين هذه القبائل التى اضطرت إلى الرحيل كانت قبيلة جذام التى عرفت بمحالفتها لثعلبة . ولهذا فإننا وجدناها تعتدى على أطراف سلطنة البرنو حيث اشتكى سلطانها المسلم من اعتداءاتها على الأهالي وأخذهم رقيقا يباع خارج البلاد وذلك في سنة ٧٩٤هـ / ١٣٩١م . وقد حدا هذا بالدكتور يوسف فضل لأن يقول بأنه لابد من أن الثعالبة وبنى هلبا – شأنهم فى ذلك شأن بقية قبائل البقارة . كانت من القبائل التى انطلقت بقضها وقضيضها نحو أراضى غرب السودان حيث يكثر الكلأ ، وتزدهر الحرية ، وتتسع التجارة ، ويكثر البقر ، فما كان من كل هؤلاء إلا أن تركوا وراءهم تربية الإبل ، واتخذوا من الماشية رأس مال لهم يعتنون بتربيتها والعناية بها .

---

[٥] عابدين : التعليق على البيان – ص ١٣١

رفاعة

تنتمي قبيلة رفاعة إلى جهينة ، وقد انفصلت عن القبيلة الأم باسمها وتاريخها وكيانها منذ أن كانتا بالجزيرة العربية . وقد سارت العشيرتان جنبا إلى جنب منذ الوهلة الأولى التى كتبت فيها أحداثهما .

ولما كانت جهينة تنتشر في الساحل الشرقي للبحر الأحمر بعد هجرتها من اليمن ، فإن رفاعة التى كانت بطنا من بطونها إنما كانت تشترك معها في الحل والترحال . ونزحت هاتان القبيلتان من الجزيرة العربية إلى مصر في فترات مختلفة كانت من بينها تلك الحقبة التى أمر الخليفة عمر بن الخطاب بترحيل جهينة من الشام إلى مصر . ووصلت كلتا هاتين القبيلتين إلى الصعيد وانتشرتا بعد ذلك في صحراء عيذاب ، واقتربتا من سواكن ، ثم ما لبثتا أن دخلتا في قتال بينهما سنة ٦٨٠هـ / ١٢٨٠م . وعندها طلب السلطان المملوكي آنذاك من أمير سواكن الشريف علم الدين الأصبعانى أن يتدخل ويصلح بينهما على أن يكون قراره في الصلح منصفا وذلك لضمان سلامة الطريق التجارى بين سواكن وقوص في مصر . وكان هذا الطريق طريقا حيويا للتجارة اليمنية والهندية والحبشية التى تمر عبر هذا الطريق بقوافل الحدارب زعماء البجة لتوصل التوابل والبخور وغير ذلك من السلع الرائجة إلى مصر فالإسكندرية فبقية أنحاء العالم .

ونظرا للعلاقات المتينة بين أمراء سواكن الأشراف الطالبيين وبين مساندیهم من جهينة ، فقد طلب سلطان مصر من هذا الشريف التدخل لإصلاح ذات البين دون التحيز إلى طرف منهما .

ولقبيلة رفاعة أهمية تاريخية عاطفية لأنها تمثل أطول ارتباط تسنده الوثائق يربط بين رجال هذه القبيلة فى كل من الجزيرة العربية وبين البطون التى استوطنت السودان قبل القرن السابع الهجرى .

بيد أن هذه القبيلة لم تدم طويلا فى منطقة سواكن بالقرب من جهينة وغيرها بعد سنة ٦٨٠هـ لأنها بدأت فى النزوح من تلك الجهات إلى مناطق أخرى تقع على النيل . وما زالت تنتقل من مكان إلى مكان حتى وصلت فى آخر المطاف إلى الأراضى الواقعة جنوبى سنار . إلا أنها رغم هجرتها الطويلة هذه فإنها لم تقطع علاقتها بأصولها فى الجزيرة العربية . ونجد أنه فى سنة ١٨١٤م التقى الرحالة السويسري بيركهارت بأحد أبناء قبيلة رفاعة الذى كان قد وصل لتوه من الجزيرة العربية ، وكان لقاؤهما ذاك فى شندى حيث أخبر الشاب الرفاعى بيركهارت بأنه قدم من الجزيرة لزيارة أقاربه جنوبي سنار . ومع أن هذه حادثة فردية إلا أنها تشير إلى قوة الروابط بين البلد الأم والبلاد التى نزحت إليها هذه العشائر . وقد أضاف هذا الرجل الرفاعى بأن أبناء القبيلة فى الجزيرة اعتادوا على السفر لأبناء عمومتهم جنوبي سنار لينالوا من عطاياهم إذ أنهم أحسن حالا من أولئك الذين مازالوا فى الوطن الأول .

غير أن التغيرات فى أوجه الحياة بعد القرن التاسع عشر الذى غير فيه الاستعمار الأوربي نظام العيش بين شاطئى البحر الأحمر ، قضت على

تلك الروابط وكان أن قطعت تلك الزيارات والروابط ولم يعد أحد من الجانبين يعرف سبيلا إلى وصلها .

وفى الأراضي السودانية ما زالت قبيلة رفاعة تحتفظ باسمها القديم الذى خرجت به من ديار العرب ، ومواطنها الآن في النيل الأزرق والأبيض ، كما يعيش بعضهم مع الكبابيش في شمال غربي السودان . أما في شرق السودان حيث كانت هذه القبيلة أول مرة ، فإنها لم تعد تعيش هناك ، ولم تبق منها بقية بالقرب من سواكن ، وليست هناك أي قبيلة من قبائل البجة ترجع أصلها إلى رفاعة ، ويبدو أن من كان منهم مع البجة قد انصهر فيهم تماما ، ولم يعد له أثر يرجع إليه .

أما بعد نزوحها من البحر الأحمر إلى داخل الأراضي السودانية فقد تفرعت من هذه القبيلة بطون عدة قوية ذات نفوذ كبير من أهمها العبداللاب الذين هم من أبناء عبد الله جماع الذى تحالف مع السلطان الفونجى عمارة دونقس على القضاء على مملكة علوة التى كانت عاصمتها سوبة وانتهت هذه المحالفة بتحطيم مملكة علوة وتدمير سوبة ، وإنشاء مملكة سنار . وقد أصبح العبداللاب وعلى رأسهم عبد الله جماع حاكما على المنطقة الشمالية في السودان من منطقة قَرّي حتى أراضي الشايقية . وكان لهذه الأسرة الحاكمة اتصال وثيق بكثير من قبائل السودان وزعمائها ، وقد تزوجوا في كثير منها وأنجبوا فيها مما قوى الصلات الأسرية والفدرالية بين مناطق السودان المختلفة .

وينحدر العبداللاب من بطن من بطون رفاعة هى القواسمة الذين كان لهم دور بارز في تقويض مملكة علوة .

الحضور

ذكرت كثير من المؤلفات العربية اسم الحضور ومن هؤلاء الذين ذكروا الحضور كحالة ، كما ذكرها ماكمايكل . وهناك ذكر لخمس من القبائل باسم حضور في كحالة ، وكلها يرجع اصلها إلى اليمن . فهناك قبيلة الحضور التي ما زالت في اليمن ومنازلها جنوبي صنعاء وعدد أفرادها ٤٠٠٠ نسمة عندما زارها البتنوني وكما ذكرها في الرحلة الحجازية . وهناك قبيلة أخرى بهذا الاسم وهي حضور بن اعشب وهي بطن من محجور بن اسلم بن عليان بن فريد بن عريب بن جسم بن حاشد من همدان من القحطانية . ثم هناك حضور بن عدى وينسب إليهم فحلاف حضور . وهناك أيضا حضور بن مالك ، وهي قبيلة من حمير من القحطانية ، وكذلك حضور المصانع التى هي أيضا من القحطانية .

ولما كانت حمير ممثلة تمثيلا قويا في القبائل التى هاجرت إلى مصر واستقرت فيها ، فانه من المتوقع أن تكون قبيلة الحضور التى وصلت إلى السودان هي إحدى فروع القبائل القحطانية .

ويذكر ماكمايكل بان الحضور هم كما ذكرهم المسعودى قبيلة قديمة قوية في الجزيرة العربية الا انه لم يذكر لهم اصلا أو منازل .

ويستخدم لفظ حضور في السودان حتى قبل استقلاله لوصف بعض التجار العرب القادمين من خارج السودان وخاصة من ريف مصر . وفي النيل الأزرق قرية معروفة باسم " النوبة " وتسكنها جماعة معروفة باسم الحضور ، ويعتقد الناس بأنهم من قبيلة الهوارة التى قدمت من المغرب

والذين يسمون في السودان " الهواوير " أو الهوارة " . ولربما ساد هذا الاعتقاد بسبب انهم ربما قدموا صحبة حلف من الهوارة الذين كانوا أقوياء الشكيمة في مصر والسودان . وبالإضافة الى ذلك فإن الحضور يقطنون في " أَلْتِي " وغيرها من الأماكن على النيل الأزرق . ويقال أن مدينة أَرْبَجي كان يسكنها الحضور قبل أن يدمرها الشكرية[٦] ، كما أن حجازي بن معين الذي خطط سِنار عاصمة سلطنة الفونج هو جد الجليلابْ (أبناء جليل) سكان (وَدْ راوة) ويسميه الأهالي " الحضري " مع انه ينتسب حسب الرواة الى جهينة وعلى كل حال فانه ليس هناك من خلاف كبير في أصل هؤلاء الحضور لأنهم وفقا لكل الأقوال هم من القبائل اليمنية .

ثم يمضى ماكمايكل بعد ذلك فيستنتج إن الحضور هم أصلا من الحدارب الذين هم من الحضارم وأن كلٍ من الاسمين الأولين مشتق من الحضارم وذلك لشدة التقارب في اللفظ . وربما كان رأى ماكمايكل بعيدا عن الصواب إذ ربما كان هذا بمثابة أن يقال بأن سوريا هي من روسيا لوجود حروف كثيرة متشابهة . فالحدارب[٧] هم زعماء البجة ومفردها حِدْربيّ وهم جماعة من بَلي نزحت في البجة وتزعمتهم . وذكرتهم الكتب العربية القديمة ، ولم يقل أحد بأنهم حضارمة . والحضارمة اسمهم هذا معروفون ، ومن سكن منهم مع البجة عرف باسم قبيلة الارتيقة . (راجع أرتيقة في موضعها من الكتاب أو الحضارم) .

---

[٦] ماكمايكل : ج٢ ص ٢٤٨

[٧] كثر الخلط عند المؤرخين المحدثين من إنجليز ومصريين في الحضارم والحدارب . أما قدماء مؤرخي العرب فلم يختلط عليهم الأمر ، وذكروا الحدارب على أنهم زعماء البجة ، ولم يقولوا بأنهم حضارم

وقطنت هذه القبيلة أي الحضور في شمال السودان ووسطه كما يعرفون في أمدرمان باسم " الخنادقة ".ومع قلة عدد قبيلة الحضور في السودان إلا أنهم كانوا وما زالوا يسهمون في كثير من الأعمال الجليلة بالسودان . ومن هذه القبيلة الشاب الألمعي الشهم محمد سعيد عبد الرحمن ، وقد أسهم كثيرا في مساعدتي على إعداد هذا الكتاب ، وقام بكثير من أعمال الا عداد والطبع والتنسيق والاتصال أثناء السنوات التى عشي فيها بصري ، وإليه اقدم شكري وتقديري ولقبيلته التى أنجبته ، والحقيقية فانيي لم آر مثل شهامته وحب مساعدته للآخرين ، فجزاه ا لله وأهله كل خير .

جهينة والعلويون

الشكر – الشكرية

من بين كبريات القبائل العربية التى نزحت من الجزيرة العربية واستقرت في السودان قبيلة شكر أو الشكرية . والواقع فإن نسب قبيلة الشَّكْرة هو من الأنساب التى قوي توثيقها وإثباتها في المصادر العربية . فقد ذكر القلقشندي قبيلة الشكرة (بفتح الشين وسكون الكاف) فى كتابه نهاية الأرب ، وقال عنهم إنهم بطن من بنى الحسن السبط بالينبع .

وجاء فى العبر لابن خلدون بأنهم بنو صرخة بن إدريس بن مطاعن ابن عبد الكريم بن موسى بن عيسى بن سليمان بن عبد ا لله أبي الكرم بن موسى الجون بن عبد ا لله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين

علي كرم الله وجهه . ونظرا لهذا النسب المثبت فإنه لا مجال للسير هارولد ماكمايكل في الشك فى صحة نسبهم إلى الطالبيين حين قال " بأنه يبدو أن الشكرية يرجعون إلى جهينة من حيث النسبة ، ولكنهم يدعون أنهم من قريش " فليس هناك أى ادعاء منهم حين ينتسبون إلى الطالبيين طالما بين ذلك كل من ابن خلدون والقلقشندي .

وكانت قبيلة الشُكرية تعرف باسم " شكر " فى السودان حتى القرن التاسع عشر كما ذكر ذلك في كتاب " مخطوطة كاتب الشونة " إذ يقول المؤلف حين يتعرض للقتال الذى كان دائرا بين سلطنة الفونج والشكرية " ورجع قندلاوي ، فتعرضت له شكر ، وقتل الشيخ قندلاوى وذلك في سنة (١١٩٣هـ / ١٧٧٩-١٧٨٠م) . وكان فى ذلك الوقت قد اشتهرت القبيلة بكلا الاسمين في موطنها بالأراضي السودانية .

أما هجرة هذه القبيلة من موطنها الأصلي بينبع فلابد أنه بدأ فى الفترة التى كانت تتقاطر فيها القبائل العربية على موطن الذهب فى وادى العلاقي بأرض البجة لأننا كما يذكرنا بذلك يوسف فضل فإنه كان لهذه القبيلة موضع خاص بها للتنقيب عن الذهب منذ أواسط القرن الثالث الهجري ، وقد جاء ذكر ذلك في اليعقوبى المتوفى سنة ٢٨٤هـ / ٨٩٧م . وكان من بين كبار المنقبين عن التبر في وادى العلاقى بلي وجهينة إذ كانتا تعملان في موضع واحد هو موقع رحم [٨] . وبحكم الصلة التى بين جهينة والطالبيي ن فإن من المتوقع أن تكون شكر (الشكرية) قريبة من ذلك الموضع . وازدادت صلة القربى والنسب بين جهينة وشكر فى ذلك المكان ،

---

[٨] يبدو أن موقع شكر للتبر قد كان فى موضع خربة الملك الذى يبعد نحو ثلاث مراحل من موقع رحم الذى تعمل فيه جهينة وبليّ .

ثم لما نضب معين الذهب ، ولم يعد ذا فائدة تجارية انتقل عدد كبير من جهينة مع الشكرية إلى أراضى شرق السودان وهناك استقرت قبيلة الشكرية فى السهول بين كسلا والنيل الأزرق حيث تعتبر مدينة رفاعة من أهم مراكزهم

وتحتل هذه القبيلة مساحة كبيرة من سهول البطانة التى ترويها الأمطار في فصل الخريف فى السودان الذى يبدأ عادة من يونيو ويستمر حتى سبتمبر وربما الجزء الأول من أكتوبر من كل عام . وهذه السهول الخصبة تزرع بالذرة والسمسم والدخن وغير ذلك من المحاصيل المطرية ، كما أنها تمثل مراعي خصبة لأصحاب المواشي والضأن والإبل ، فيجدون في تلك السهول الخضراء المنبسطة ما يغذي أنعامهم التى ترعى فى تلك المراعى .

وبسبب هذه الروابط الأسرية نجد أن الشكرية يربطون أنسابهم بجهينة وبآل أبي طالب . والمعروف أن جهينة انتشرت فى أنحاء كثيرة من السودان ومن بينها الأراضى التى يسكنها الشكرية الآن والتى وصلت مناطقهم فيها إلى حدود الحبشة . وبالرغم من وجود هذه القبيلة بالقرب من الأقاليم البجاوية إلا أنها بسبب كثرة تعدادها وقوتها فإنها لم تتأثر باللغة التبداوية التى يتكلم بها البجة بالرغم من أن عائلة أبى سن وهى بيت الزعامة يطلق عليها فى كثير من الأحيان (السنّاب) وبذلك تلتصق بها اللازمة البجاوية (آب) فى آخر الاسم بدلا من آل أبى سن غير أن هذه اللازمة البجاوية لم تعد حكرا على البجة وحدهم لأن الغالبية العظمى من القبائل السودانية تستخدمها بدلا من آل أو أبناء العربية لسهولة ذلك .

وكان الطالبيون قد أصهروا فى جهينة منذ أن كانوا جميعا فى الحجاز بينبع عندما مكث سيدنا على بن أبى طالب معهم أثناء الثورة التى اندلعت ضد سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه . وكان أبناء هذا البيت قد حكموا أرض الحرمين الشريفين ، كما كانوا هم أسرة الأشراف من آل قتادة وأبناء أبى نمي ، واتسعت دائرة نفوذهم ، فتعدت الحجاز حتى وصلت إلى سواكن وضواحيها عندما أصبح زيد بن أبى نمي الشريف الحسني أميرا على سواكن بحكم ما ورثه من أخواله البجة من ملك على ذلك الإقليم . وكانت تؤازره قوات من جهينة والبجة للدفاع عن ملكه ضد المماليك .

ويذكر ابن خلدون فيما يذكر أن جهينة كانت قد أرهقت كلا من مملكة علوة والحبشة بالنزاعات والإغارات حتى أضعفت قوتهما ، ومن المؤكد أن هؤلاء الشكرية كانوا من بين القبائل الجهنية التى أنهكت قوى كل من الأحباش وعلوة . ولربما ثبتوا أقدامهم فى مناطق سكناهم الحالية منذ القرن الرابع الهجري إذ أننا وجدنا من قبل بعض المسلمين الذين استوطنوا الجهات الشرقية من مملكة علوة ، وهذا يشير إلى أن البطون الشكرية الأولى التى هاجرت إلى جنوبي مملكة البجة قد تكون هى التى وجدت لها مستقرا هناك بالقرب من نهر القاش .[٩]

وعندما زار جيمس بروس الرحالة البريطانى سلطنة الفونج فى طريقه لاكتشاف منابع النيل (الأزرق) التقى بقبيلة الشكرية التى كان لها وجود ثابت ، ومكانة مرموقة فى مملكة الفونج . وبالطبع ما زالت هذه

---

[٩] ابن حوقل : يذكر بأن هناك مسلمين يسكنون وادى تفلين ويسافرون إلى مكة المكرمة ، وكانوا تحت حكم ملك علوة (حوالى سنة ٣٥٠هـ / ٩٥٦م) ص ٦١ – بيروت .

القبيلة بزعمائها وجماهيرها تحتل مكانة مرموقة فى تاريخ السودان قديمه وحديثه . وقد كان زعماؤها مثلا يحتذي فى البلاد لما عرفوا به من سعة الصدر ، وكظم الغيظ ، والعفو عن المخطئ ، وتلقينه الدرس المفيد دون ثورة أو هياج . ولا يمكن أن أنسى ذلك الإدارى الممتاز الشيخ على أبو سن الذى كانت لا تهزه المواقف التى تهز الجبال ، بل كان بكل أناة وحنكة يصرف الأمور وكأنها أحداث قليلة الأهمية فإذا بالآخرين يذعنون وهم راضون . ولقد تعلمت منه كظم الغيظ وإقناع الآخرين بالحكمة فى اتباع ما ينصح به . وهكذا كان " السناب " فى تاريخهم ، وكأنما ولدوا ليحكموا ويديروا ، كما تعلمت كظم الغيظ من الشيخ صالح ثابت من رجالات بربر وكنت دون الثامنة عشر عندما كنت في ضيافة ابنه أحمد ، فورثنا من والده الصالح بعض محاسن الأخلاص .

وللشكرية شاعر عظيم يدعى الحاردلو ، وهو من عائلة أبى سن ، وقد كان شعره منتشرا فى كافة أراضي السودان منذ عهود المهدية ، ويجد فيه القارئ حنكة السناب وبراعتهم فى فصل الخطاب ، وقد حفظ شعره منذ القرن الماضى وقام أخيرا بجمعه ونشره أحد أبنائهم وهو الدكتور إبراهيم الحاردلو فأسهم بذلك إسهاما عظيما للشعر العامي ، وتطور اللغة ، وأحداث الماضى ، وكل ما يبرزه الشعر من مآثر ، ويحفظه من تراث .

جُـــــذام
الكبابيـــش

قبيلة جذام هى إحدى بطـون كهـلان ، وهـى قبيلـة يمنيـة تنتمـى إلى قحطـان . وكـانت مسـاكنها فـى الجزيـرة العربيـة تمتـد بـين مديـن وتبـوك . ودخلت بطون منها إلى الأردن حتى بلغت مشارف عكا . وكانت جذام فـى الجاهلية تعبد المشـترى ، كمـا كـان لهـم صنـم فـى أطـراف الشـام يقـال لـه الأقيصر ، فكانوا يحجون إليه ، ويحلقون رؤوسهم . فلما انتشر الإسـلام فـى الجزيرة اعتنقوه بعد أن غزاهم زيد بن حارثة ، كما حاربهم جيـش عبـد الله أبن رواحة فى السنة الثامنة للهجرة . وكانت جذام وهـى فـى تلـك المنـاطق الشامية واقعة تحت سيطرة الروم وموالية لهم ، وقـد سـارت مـع هرقـل سـنة ١٤هـ إلى أنطاكية .

فلما وافق الخليفة الثانى سيدنا عمر بن الخطاب على أن يسير عمرو ابن العاص (ض) إلى مصر كانت جذام من بين القبـائل التـى خرجـت معـه لفتح مصر . ولذلك فإنها كانت من أوائل القبائل التـى اشـتركت فـى ذلـك الفتح ، ورابط رجالها هناك للدفاع ضد هجمات الـروم المحتملـة . ورابطـت فـى الإسـكندرية تحسـبا لأى هجـوم مبـاغت لـلروم ." وكـانت الجماعـات الجذامية التى ترابط هناك ذوى عدد وعدة ، وأهل شجاعة وإقدام ، وضرب بالسيف ، ورشق بالسهام . وكانوا يسكنون الحوف شـرقى الدلتـا فـى سـنة ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م . وكانوا ولخم أكبر أنداد قيس فى هذه المنطقة " . [١٠]

---

[١٠] كحالة : انظر " جذام " .

واستقرت جذام وبعض بطون لخم فى بداية هجرتها إلى مصر فى شبه جزيرة سيناء ثم انتقلوا من هناك إلى داخل الأراضى المصرية . بيد أنهم لم يجدوا استقرار فى حياتهم بسبب الفاطميين والأيوبيين الذين أخذوا فى إقصائهم من المناطق الحسنة إلى غيرها ، فأخذوا يبحثون عن مأوى لهم بعيدا عن هؤلاء .

وكان الطريق من أسوان إلى دنقلة العجوز مطروقا ومعروفا للقبائل العربية التى فى صعيد مصر ، وللمماليك بسبب التجارات التى كانت رائجة ، والحروب المتتابعة ، والهجرات المتلاحقة . وقد سارت معظم القبائل التى سكنت على ضفاف النيل فى السودان من صعيد مصر حتى وصلت إلى دنقلة ، ومن هناك اتجهت نحو غرب السودان عبورا بدرب الأربعين الذى يصل بين أسيوط ودارفور . وقد انتشر هؤلاء العرب فى سهول كردفان ودارفور ، وما وراء ذلك ومن بينهم عرب جذام .

وحدثت إثر ذلك إغارات من بعض هذه القبائل العربية على المناطق التى تقع بعيدا عن الأراضى النوبية حتى وصلت سلطنة البرنو الإفريقية الإسلامية . وهناك بدأت قبيلة جذام التى كانت أقوى القبائل التى بلغت تلك السلطنة في الهجوم على سكانها وأسر بعض أفرادها وبيعهم رقيقا للمصريين والشاميين وغيرهم . وقد شكا سلطان البرنو من هذه الاعتداءات ومن أعمال الخطف والاسترقاق التى قامت بها قبيلة جذام ، فكتب إلى السلطان الظاهر برقوق يشكو من تلك المساوئ التى ارتكبتها جذام فقال :

" إن هؤلاء الأعراب الذين يسمون جذاما قد عاثوا فسادا فى ديار برنو ، وقد سبوا الحرائر من النساء والأطفال ، وضعاف الرجال ، وإن منهم

من يشرك با لله ، وإنهم قد قتلوا أحد سلاطين دار برنو واسمه عمر أبن إدريس ، وإنهم قد أفسدوا فى الأرض وفى بلد برنو " [11]

ومن المعتقد أن هذه القبيلة رحلت فى حوالى سنة ٧٩٤هـ / ١٣٩١م نحو كردفان وعبرت أراضى دارفور حتى وصلت إلى سلطنة البرنو حيث قضوا على حكم الزغاوة . [12]

ويضيف أحمد عبد ا لله آدم بأنه حدثت حروب طاحنة بين جذام (حزام) وجهينة خلدت فى الفولكلور الجهنى بغرب السودان ، وكان القتلا قد اندلع من أجل ناقة . غير أن ما يعنينا هنا هو أن قبيلة جذام العربية قد وصلت إلى غرب السودان وجاوزته إلى البلاد المجاورة وتدل العلاقات التجارية التى كانت قائمة بين جذام فى حدود البرنو وبين جذام فى مصر على أنه كانت هناك جماعات من هذه القبيلة مستقرة فى مصر ، وأن العلاقات بين الشعبتين كانت وطيدة .

ومع ما كانت عليه جذام من قوة ومنعة فإنها لم تترك ذكرا لاسمها الأصلى الذى رحلت به من الجزيرة العربية فى السودان إذ أن هذا الاسم قد اختفى . ولعل السبب فى ذلك راجع إلى قيام الأحلاف العربية فى الأماكن السودانية والإفريقية النائية حيث ائتلفت بعض القبائل ، واتحدت فى الغرب ، ثم أطلق عليها الباقون اسما جديدا . ومن الراجح أن قبيلة جذام هذه كانت إحدى القبائل العربية فى الغرب السودانى التى أطلق عليها اسم الكبابيش . وقد تكون مع جذام قبائل أخرى فى تلك المنطقة مثل أبناء عمومتها من اللخميين الذين لم يعد لهم أصل بهذا الاسم فى السودان .

---

[11] أحمد عبد ا لله آدم : أصول البقارة والدينكا

[12] آركل . ص ١٩٩-٢٠٠

ويرى بعض الباحثين أنه ربما انضمت قبيلة جذام إلى بعض الهلاليين لكثرتهم وقلتها مع التحالف مع آخرين لإقلاق راحة البرنو ، وإدخال الرعب فى نفوسهم لاختطاف بعضض مواطنيهم وبيعهم فى مصر.

وبالإضافة إلى انضمام بعض بطون جذام مع غيرهم لإقامة قبيلة الكبابيش فإن هناك آخرين انضموا إلى غيرهم من قبائل مثل جهينة وهلال وفزارة وسليم وبلي ولخم وغيرهم وكوّنوا قبيلة البقارة التى هي فى نفس الوقت مزيجا من قبائل عربية متحالفة .

وفى القرن الثامن الهجرى كانت هناك تحركات كبيرة ومتعددة فى شمال غرب إفريقيا ، كما كان هناك نزوح واسع من المغرب الكبير إلى غرب السودان وما جاوره ، فكان أن قدمت كثير من البطون العربية إلى ذلك المكان فى هجرة طويلة . وبسبب هذه الأحلاف والاختلاط فقدت بعض القبائل العربية الكبيرة اسمها الأصلى الذى خرجت به من بلادها أو من مصر وأطلق عليها اسم آخر .

ليس هناك مصدر يؤكد انتماء الكبابيش إلى جذام ، كما أنه ليس لدى الرواة ما يدل على الوقت الذى أطلق فيه على هذه القبائل لفظ الكبابيش إذ أنهم حتى القرن الثامن الهجرى كانوا معروفين باسم جذام . ويرجع الكبابيش نسبهم إلى عبد الله الجهنى وهم بذلك لا ينتسبون إلى جذام . وهذا الخلاف فى الأصول يظهر أن هذه القبيلة تكونت من عدة قبائل عربية متآلفة ربما كانت زعامة جهينة جمعتها تحت مظلتها ، وأضحت البيت المالك فى ذلك التحالف . ويذكر نسب الكبابيش أنهم أبناء كبش ابن حمير الأفرز بن عبس بن سفيان الأفرز بن ذبيان ، وأخيرا يصل النسب

إلى عبد الله الجهني كما ذكر . وكما هو معروف فإن كثيرا من عرب كردفان يشتركون فى هذا النسب .

ويؤكد ماكمايكل وجود جهينة بين تآلف الكبابيش من الوسم الذى توسم به إبل القبيلة فيقول بأنهم حتى القرن التاسع عشر لم تكن جهينة قسما من الكبابيش كما أنهم لم يكونوا أكثر من موالين موقتين ، وقد عرف ماكمايكل كل ذلك من الوسم الذى على جمالهم من ناحية اليسار ، ولابد أن يكون عرب الكبابيش قد لفتوا نظره إلى ذلك . كذلك فإن الكباش الأصيل فى عرفهم يسم جماله من الناحية اليمنى . ووسم الجمال من العلامات الشهيرة التى لا تظهر ملكية الإبل فقط ، ولكن تشير أيضا إلى القبيلة ويعرف ذلك كل أعراب البادية .

ولما كان الأعراب يلتفون دائما تحت زعيم يرضون به فإن عرب الكبابيش اختاروا زعماءهم من أسرة النوراب التى ما زالت تتولى الزعامة . ويرجع النوراب نسبهم إلى قبيلة الركابية ، وينتقل نسبهم على النحو التالى من عبد الله الجهنى فإبنه ذبيان ثم شاطر ، فسلطان ، فركاب الذى هو جد الركابيّة الذين كانوا يعيشون فى صعيد مصر الأعلى . وكان لركاب ابنة تزوجها غلام الله فولدت له ركابا الذى ولد عبد النبى ثم جاء من بعده ابنه شكارا . ويدعى شكارا جد النوراب ، وكان يسكن فى دنقلة ، وقد انضم بعض أبنائه إلى الكبابيش واختلطوا بهم ، وتكاثر أبناؤه وأصبحوا عربا رحلا .[١٣] ولما كان الكبابيش عربا رحلا يتنقلون فى أرض شاسعة تصل إلى دنقلة شمالا فإنه من المحتمل أن يكون بعض الركابية قد انضم إلى الكبابيش بعد وصولهم إلى دنقلة من مصر ، وكان هؤلاء الركابية يدعون النوراب .

---

[١٣] نقلا عن الدكتور يوسف فضل .

وكانت هذه اللازمة (آب) البجاوية قد أصبحت على كل لسان فى تلك البقاع من الأراضى السودانية لسهولة استعمالها ونطقها لتحديد الانتماء والنسب .

وقد شغف كثير من الباحثين بالطريقة التى يعيش بها الكبابيش ، وكانوا يرون مثلا حيا للقبيلة العربية ، وهي تعتبر بحق قبيلة عربية فى أسلوبها فى الحياة . ونجد أن تكوينها الحاضر يعتمد على اختلاط عناصر كثيرة من العرب والحاميين [١٤] ، وقد استغرق هذا الاختلاط فترة طويلة خاصة بعد المهدية التى حطمت ثورتها القبيلة الأصلية إلى أجزاء صغيرة .

وقد حدد الطقس والموقع طريقة حياة هذه القبيلة فى موطنها الحالى ، وجعلتها هذه العوامل ميالة إلى العزلة والانفرادية والنظر إلى الأمور من زاوية واحدة ، وهذا ما يذكره ترمنجهام عن الكبابيش ، والواقع فإن سائر العرب الذين يعيشون فى البادية يتصفون بهذه الصفات لأنها من خصائص الحياة البدوية . وكان ابن خلدون أول من حدد تلك النظرة حين قال بأن البدوى اذا وجد منزلا فإنه يفكر فى استغلال حجارته كأثافى يضع عليها القدر ، ويجعل من أخشابه حطبا للوقود لإشعال النار للطبخ والتدفئة وما يحتاج إليه . وقد أجبر البدوي على أن يعيش منعزلا هو وعائلته ، وفى حالة دائمة من التوتر مع جيرانه خاصة فيما يتعلق بضرورات الحياة من ماء ومرعى .

ويتحلى الكباشي بمحاسن الانعزالى فهو يعتمد على نفسه ، ويرفع من مميزاته وصفاته من حيث الواقعية والتصميم والكبرياء . وبسبب القحط الذى يصادفه كل يوم فى حياته فإنه أصبح كريما إلى حد المبالغة . وهو

---

[١٤] ترمنجهام : الإسلام فى السودان ص ١٧

كذلك يمتاز بطبيعة جذابة نضالية ، وشجاعة وحذر بسبب فقدان الثقة فى غيره من الناس مع الوفاء والإخلاص لمن هم أهل لذلك . وتوجد فى هذا الكباشى الغيرة والفخر والمنافسة حتى بين رجال القبيلة الواحدة ، والعائلات . ويمارس الجميع نظام دفع الدية الإسلامى فى حوادث الدم سواء أكان ذلك فى المجموعات العربية أم البجاوية ، وعادة ما تدفع الدية بواسطة القبيلة بأسرها ، وهذا ما هو متعارف عليه بين سائر القبائل السودانية المسلمة .

ويشترك الكبابيش مع البجة فى كثير من معالجتهم للمرأة . وعادة ما يتزوج هذا البدوي زوجة واحدة باستثناء الشيوخ والمياسير الذين قد يقدمون على التزوج بأكثر من واحدة لأسباب مختلفة . وكان زعماء القبيلة وأغنياؤهم فى الماضى يملكون عدة جوار مما قوى الصلات بين العرب المسلمين وسكان البلاد من غير المسلمين ، وساعد على اندماجهم فى بعضهم بعضا . والمعاملة السائدة بين القبائل البدوية للمرأة هى المعاملة بالحسنى ، ولذلك فإن النساء يعاملن معاملة حسنة ، ولا يجدن ما يكدر عليهن حياتهن الزوجية أو الاجتماعية على الإطلاق .[١٥] كما أنه لهن حريتهن التى يتمتعن بها فى نطاق العادات والتقاليد الدينية والمتعارفة . وللمرأة احترام كثير بين هؤلاء الأعراب عامة وخاصى لدى قبائل البجة . ولا يوافق الوالد على زواج ابنته بمن كان يقل عنها مكانة وحسبا ونسبا ، بل إن مثل هذا الخاطب لا يفكر فى التقدم لخطبة من كانت أعلى منه منصبا وحالة . فالمرأة لا تتزوج من دونها ، بل يتطلع أهلها لتزويجها بالرجل الكفء فى كل شئ – مكانة اجتماعية وأصلا وحسبا أو يزيد عنها . وهذا

---

[١٥] ترمنجهام : الإسلام فى السودان .

فى العادة ما يحدث فى جميع أنحاء السودان ، وبين كافة سكانه ، وعلى نطاق قبائله أجمع .

ويرى النسابون أن نواة الكبابيش الأولى كانت أولاد عقبة ، وهذا ما يراه الرواة فى كردفان بغرب السودان . وبالطبع فإن هذه النواة لم تحدث من فراغ ، بل خرجت من أصل كان موجودا فى مصر ، فبنو عقبة كانوا يسكنون الجزء الجنوبى من شبه جزيرة سيناء ، وهم فرع من جذام . وكما رأينا فقد كانت جذام فى السودان وما وراءه حتى حدود برنو ، وهذا من الأسباب التى تجعل الصلة قوية بين جذام وبين الكبابيش ، وأ،ه لابد وأن تكون جذام أصلا كبيرا فى حلف قبيلة الكبابيش مع الأخذ فى الاعتبار بأن بعض هؤلاء الحلفاء ربما كانوا ينتمون إلى أصول أخرى .

وكان قسم كبير من بنى عقبة قد نزح إلى طرابلس ثم اندفع جنوبا إلى غرب إفريقية .

ونجد أن فى الكبابيش فرعا يدعى أولاد سليمان ، وقد جاء هذا الفرع باسمه ذاك فى عهد هجرته الأولى إلى الأراضى السودانية لأن فى مصر يوجد بنو سليمان ، وهم فرع من بنى عقبة ، وقد كانوا فى سيناء أيضا . [١٦] ومما يظهر فإن بنى جذام قد ارتحلوا بعد الفتح الإسلامى إلى سيناء ، ثم أخذت بطون منهم تتدفق نحو مصر والسودان والمغرب العربى .

وللكبابيش فرع يدعى بنو واصل ، ويوجد فى مصر فرع بنى واصل وهم من بنى عقبة أيضا وقد رحلوا من سيناء من شمالى بلاد العرب.

---

[١٦]) د/ عبد المجيد عابدين : التعليق على البيان والإعراب . ص ١٤٨

وكما فى الكبابيش فرع يعرف بالعطوية (بنو عطية) فإن فى مصر بطنا تعرف بنفس الاسم ، وهم ينتسبون إلى بنى عقبة نزلوا فى خليج العقبة فى القرن الرابع عشر الميلادى . [١٧]

بعد فتح مصر هاجر مزيد من الجذاميين وأقربائهم اللخميين من منازلهم فى جزيرة العرب شمالا بالقرب من تيماء وأبلة إلى شبه جزيرة سيناء ، ثم كان بعضهم يدخل الأراضى المصرية من حين لآخر . وكانت جماعات منهم تتجه نحو الصعيد ، وآخرون نحو طرابلس وكانت هناك بطون كثيرة منهم بقيت فى الديار المصرية منها الغتارة والغوارنة وبنو سعد . وكان هؤلاء جميعا يسكنون فى الحوف من الشرقية من الأراضى المصرية[١٨] .وكانت الصلة بين هؤلاء وأولئك الذين نزحوا إلى السودان وبرنو [١٩] لم تنقطع على الاطلاق ، بل كانت المقايضة وتبادل السلع والتجارة يربط بين جانبى القبيلة لفترة من الزمن .

وكانت قبيلة الكبابيش حتى نهاية القرن التاسع عشر تسافر بجمالها وقوافلها للتجارة مع البلاد المصرية بحكم ما ورثته من أجدادها الجذاميين .

ولربما كان روح بن زنباع من أشهر الجذاميين الذين ساعدوا على تأسيس الدولة الأموية الثانية إذ كان من أشد الناس تعضيدا لعبد الملك بن مروان فى حروبه ضد ابن الزبير . وكان روح بعد أن تنازل خالد بن يزيد

---

[١٧] / عبد المجيد عابدين عن عباس عمار . البيان ص ١٤٩ .

[١٨] / القلقشندى : نهاية الأرب . ص ١٥٤ و ٢٨٧ .

[١٩] / مملكة برنو أو سلطنة برنو القديمة إلى الجنوب والغرب من بحيرة تشاد ، وبين هذه البحيرة والصحراء وسوكنوا والأداموا والباقيرى وكانت مساحتها تبلغ ١٥٠ ألف كيلومتر مربع . وكان عدد سكانها فى بداية القرن العشرين يبلغ حوالى خمسة ملايين نسمة هم خليط من السود والبربر والعرب .

أبن معاوية عن الخلافة يرى أن الأمويين هم أحق الناس بها . وقد اختلف فى هذا الأمر مع الجذاميين الذين كان على رأسهم نائل بن قيس فى عام ٦٤هـ / ٦٨٣م . وكان نائل يرى أن تكون الخلافة لعبد الله بن الزبير . وكان معه جمع كبير من القبيلة تغلبوا على روح وأنصاره . غير أن روحا لم يشأ أن يتخلي عن الأمويين ، واشترك فى الاجتماع الذى اختار مروان بن الحكم ، شيخ أمية آنذاك ، وعضد موقفه ، وخطب فى المجتمعين حاثا إياهم على نصرة مروان والبيت الأموى . وكان من كبار القادة الذين جمعوا الجنود والأنصار لمحاربة ابن الزبير ، والوقوف أمامه ، وانتزاع الخلافة منه . وبفضل روح بن زنباع ومن آزره من جذام استطاع الأمويون أن يستولوا على كافة أمصار الدولة الإسلامية ، وكان من أولاها سوريا وفلسطين ثم مصر والعراق والحجاز . وكان روح مقربا إلي عبد الملك بن مروان ، وكان يده اليمنى التى تقود جند الشام. وكان من أبرز أعوانه الحجاج بن يوسف الثقفي – ذلك الشاب المتوثب الطموح ، وقد خرج الحجاج من صفوف جيش روح الذى رأى نشاطه ، وتهالكه على قتال ابن الزبير ، فرشحه لعبد الملك ليرسله إلى عبد الله بن الزبير . وبالفعل فقد أرسل على رأس الجيش فحاصر مكة المكرمة ، وضرب دورها بالمنجنيق ، واستولى عليها بعد حصار مرير ، وأنتهت المعركة بقتل عبد الله وصلبه . ولم يظهر فى العصر العباسي جذامى يناصرهم كما كان روح لبني أمية ، ولذلك فلم تقم قائمة تذكر للجذاميين فى الدولة العباسية أو ما بعدها حتى دخولهم إلى الإراصي السودانية والتشادية .

بنو لخم

اللخميون وبنو حبان

لبني لخم تاريخ حافل قبل الإسلام ، وأنتشار واسع فى شبه الجزيرة العربية . وكما جاء في المصادر العربية فإن " لخما " هو أخو جذام ، وكلا الرجلين من أبناء طي . ومع مرور الأيام انفصل هؤلاء عن أبناء طي ، وأصبحت القبيلة الواحدة ثلاث قبائل هي لهي وجذام ولخم . ولكنها فى كثير من رحلاتها بعد الإسلام كانت تسير مرافقة لبعضها بعضا .

وكانت لخم تسكن في اليمن إذ أنها من القبائل اليمنية ، ولكنها انتقلت من الإراضي اليمنية إلى العراق ، واستوطنت هناك بالقرب من إمبراطورية فارس ، وأنشأوا لهم مملكة عربية أشتهرت في التاريخ العربي بأسم مملكة المناذرة أو الحيرة أو اللخميين . وكان تأسيس هذه المملكة في الإراضي العراقية قد بدأ في حوالي سنة ٢٦٨م ، وأتخذ ملوكها الحيرة عاصمة لهم . وقد بسط الفرس سيادتهم على هذه المملكة التى كانت بمثابة خط الدفاع الأول ضد الهجوم الرومي البيزنطي على فارس .

وكما نزل اللخميون فى العراق ، سار أقرباؤهم الغساسنة اليمنيون إلى بلاد الشام ، وأسسوا لهم هناك مملكة عرفت بمملكة الغساسنة . وكان وضعها بالنسبة للبيزنطيين كوضع المناذرة بالنسبة لإمبراطورية فارس . وكما استعرت الحروب بين فارس والبيزنطيين كذلك كانت الحروب تندلع بين هاتين المملكتين العربيتين ، إذ كانتا عبارة عن دولتين تدوران في فلكهما ، وتشتركان معها في كل قتال يدور ، ولهذا فقد دخلت كل من الحيرة وجلق في صراع مرير ، وفقد الجانبان كثيرا من رجالهما فى تلك الحروب .

وروى لنا تاريخ الأدب العربي شيئا مما قبل من شعر في تلك المناسبات الدامية . ولعل مما لا يغيب عن الذاكرة ما قاله الشاعر الجاهلي أبو أذينة وهو يغري الملك الأسود بن المنذر بقتل آل غسان الذين وقعوا أسرى في يده عندما تغلب الفرس على الروم في أول الإسلام . وكان الغساسنة قد سبق لهم أن قتلوا أخا له في حرب سابقة ، فأخذ يوغر صدر الملك الأسود ليقتل أعداءه من ملوك غسان ، وكان فيما قال :

ماكلّ يوم ينال المرء ماطلبا ... ولا يُسَوِّغُه المقدارُ ما وهبا
وأحزم الناس من إن فرصة عرضت ... لم يجعل السبب الموصل منقضبا
وأنصف الناس فى كل المواطن من ... سقى المعادين بالكأس الذى شربا
وليس يظلمهم من راح يضربهم ... بحد سيف به من قبلهم ضربا
والعفو إلا عن الأكفاء مكرمة ... من قال غير الذى قد قلته كذبا
قتلتَ عَمْرًا وتستبقى يزيدَ لقد ... رأيت رأيًا يجُرّ الويل والحَرَبا
لا تَقْطَعَنْ ذنبَ الأفعي وترسلها ... إنْ كنت شهما فَأتْبعْ رأسها الذنبا
هم جرَّدوا السيف فاجعلهم له جَزَرا ... وأوقدوا النار فاجعلهم لها حطبا
إن تعفُ عنهم يقول الناس كلهم ... لم يعفُ حِلما ، ولكن عفوه رَهَبا
هُمُ أَهِلَّةُ غسَّانٍ ومجْدُهُم ... عالٍ فإنْ حاولوا مُلْكًا فلا عجبا
وتمر ضوا بفداء واصفين لنا خَيْلا ... وإبْلاً تروق العرب والعُجْمَ والعَربا
أَيَحْلبون دَماً منّا ونَحلبهم ... رِسْلاً ، لقد شرفونا فى الورى حَلَبا

فحروب المناذرة اللخميين والغساسنة كانت جزءا لا يتجزأ من الحروب الفارسية الرومية ، تلك الحروب التى انتهت بظهور الإسلام ، وانتشاره في مشرق الأرض ومغربها .

ولم تكن حروب المناذرة مندلعة مع الغساسنة فحسب ، بل كانت لهم حروب أخرى مع القبائل العربية البدوية التى كانت أقل شأنا ، فقد اندلعت الحروب أيضا بين ملوك الحيرة وقبيلة بكر ، وتميم أيضا . وكما نعرف من الأدب العربي فقد انقض عمرو بن كلثوم التغلبي على الملك عمرو بن هند اللخمي ، وقتله فى مجلسه غير هياب ولا وجل ، وما ذلك إلا لأن والدة الملك عمرو بن هند أساءت إلى والدة عمرو بن كلثوم . وخرج عمرو بن كلثوم من مجلس الملك اللخمي بعد أن قتله ، وجعله يتخبط فى دمائه ، وأخذ أمه ، وركب جواده ، وهو ينشد معلقته المشهورة التى مطلعها :

ألا هبّي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا

ولعله قال " هبّي بكأسك " ولكن الرواة غيروها واستبدلوا الكأس بصحن لتتناسق الموسيقى مع أصبحينا .[1] ويرى رواة تاريخ العرب أن هذه الأحداث ربما جرت قبل خمسين سنة فقط من ظهور الإسلام ، كما أنها كانت قبل تولى الملك الأسود بن المنذر حكم مملكة الحيرة . فقد كانت لهم أوضاع أخرى .

كانت بطون لخم قد استقرت فى شمالى الحجاز مع أبناء عمومتها جذام وفروع من قضاعة وجماعات من طي ، بل إن انتشار كل هؤلاء امتد إلى شمايى غربي الجزيرة حتى وصل مواطن قبيلة بني كلب .

---

[1] / يقول عمرو بن كلثوم فى القصيدة :

صَبَحْتِ الكأس عنا أم عمرو وكان الكأس مجراها اليمينا

مما يشير إلى أنه لم يقل بصحنك فى المطلع بل " بكأسك " ولكن غيرها الرواة .

فلما انحدرت جذام منذ أوائل عهد الإسلام إلى سيناء ومصر مع عمرو بن العاص كانت هناك عشائر من لخم فى صحبتهم ، وهم يضربون فى الأرض ، ويجاهدون فى سبيل ا لله . وكان من أهم البطون اللخمية التى طرقت أبواب مصر بطون يشكر التى تنتمي إلى لخم ، وقد نزلت هذه الجماعة فى الجبل المعروف باسمهم وهو المكان الذى بنى فيه ابن طولون مسجده . [٢] وبالاضافة إلى ذلك فإن هناك موضعا للتبر فى العلاقي ربما كان لهؤلاء وربما كان للشكرية أيام التعدين فى تلك المواضع .

وفى القرن الأول والثاني الهجري (السابع والثامن الميلادي) دخلت بطون عديدة من لخم ، ونزلوا حول الإسكندرية ، وكان أحد رجال القبيلة واليا على مصر . وفى سنة ١٨٢هـ / ٧٩٨م وصل حوالى (١٥٠٠٠) خمسة عشر ألف أندلسي كلاجئين من الأندلس كان الخليفة الأموي الحكم قد طردهم من هناك . ونزلت هذه الجماعة أول ما نزلت فى الإسكندرية وكونوا حلفا مع بنى لخم . ولكن سرعان ما اختلف الحليفان ، وفى سنة ٢٠٠هـ / ٨١٥م استطاع اللخميون الاستيلاء على الإسكندرية .

وبالرغم من أن الجماعة الغالبة من لخم اتجهت نحو الشمال الشرقى من الجزيرة العربية صوب الأراضى العراقية عندما نزحت من اليمن ، إلا أن هناك جماعات غير قليلة هاجرت مع أبناء عمومتها جذام إلى شمايى الحجاز ؛ ثم سارت شمالا حتى دخلت سوريا ، واستقرت تحت حكم الروم البيزنطيين مع الغساسنة . وكانت أول مواجهة بين المسلمين وهذه القبائل الثلاث فى

---

[٢] / المقريزي : الخطط . ربما كان الحارث بن حلزة اليشكرى من هذه العشيرة وقد مال إليه عمرو بن هند عندما أنشد معلقته فغضب عمرو بن كلثوم لذلك فى مجلس ابن هند . راجع القصة فى المصادر العربية القديمة .

الجبهة الرومية حدثت فى العام الثامن للهجرة الموافق سنة ٦٣٠ م . ففى ذلك العام ذهب عمرو بن العاص بجيشه الذى أوفده به النبى (ص) إلى مشارف الشام ليحث القبائل العربية على اعتناق الدين الإسلامي . ويذكر المؤرخون بأن الغلبة لتلك القبائل كانت لبليّ التى كانت أم العاص منها . فكان هناك أمل فى أن تقف بلي أو تميل نحو ابن ابنتهم أى عمرو بن العاص فيدخل الخذلان فى الجبهة الرومية . وكذلك فقد كان الغرض الآخر لتلك الغزوة جس نبض الروم ، ونشر أخبار الدين الإسلامي بين قبائل الشام العربية ، وإشعار العرب المستضعفين أن هناك دولة إسلامية تستطيع مقاومة الاستعمار الرومي البيزنطي ، وهداية الناس للدين الحنيف . ودارت معركة فى أرض قبيلة جذام فى موقع بالقرب من بئر ماء يعرف باسم ذات السلاسل ، واندلعت المعركة التى عرفت بذلك الاسم أى " ذات السلاسل " . [٣] وهذه غير الغزوة التى أرسلت بقيادة زيد بن حارثة فى نفس السنة والتى عرفت بغزوة مؤتة سنة ٨ هجرية .

ففى غزوة مؤتة التى قادها زيد بن حارثة ، احتاط قيصر الروم لها ، وجهز لها جيشا قويا لمواجهتها . واستطاع أن يضم إلى جنوده جماعات من بني لخم ومن بهراء وبلقين بقيادة مالك بن رافلة البلوي .

بيد أنه بعد فتوح الشام كان موقف اللخميين قد تغير ، فخرجوا من طاعة الروم ، ودخلوا فى دين الإسلام ، وانضموا مع أبناء عمومتهم الجذاميين إلى جيوش المسلمين التى يممت نحو سيناء ، ومنها إلى مصر تحت لواء جيش عمرو بن العاص سنة ٢٠/٢١هـ الموافق ٦٤٢م ، ولكنهم لم يكونوا بالكثرة التى كان عليها الجذاميون . وأورد القلقشندي أن القضاعي

[٣] / مصطفى مراد الدباغ : القبائل العربية – ص ٥٠ – نقلا عن الطبرى : ٣ / ٣٢ .

فى خطط مصر ذكر أنهم " حضروا فتح مصر ، واختطوا بها هم ومن خالطهم من جذام " .

وسارت جماعات من لخم على ما ذكر القلقشندي إلى الأندلس ، إذ يقول " بأن لخما هو اخو جذام عم كندة وقد كان للخميين ملك بالحيرة فى العراق . وكان لبقاياهم بأشبيلية من الأندلس وهى دولة بني عباد . وأول من ملك منهم القاضي محمد بن إسماعيل بن قريش بن عباد " . وربما كان هؤلاء هم الذين طردوا من الأندلس فى سنة ٩٧هـ / ٧٩٨م . وكان عددهم خمسة عشر ألفا نزلوا الإسكندرية ، وأقاموا حلفا مع أبناء عمومتهم اللخميين الذين كانوا هناك .

ولبنى لخم دور بارز فى مصر خاصة بعد وفاة الخليفة المأمون بن هرون الرشيد الذى توفى فى رجب سنة ثمان عشرة ومائتين للهجرة (٢١٨هـ / ٨٣٢م) إذ أنه بعد أن مات بويع أخوه أبو إسحاق المعتصم ، فورد كتابه إلى عامل العباسيين فى مصر كيدر ببيعته ، وأمره بإسقاط من فى الديوان من العرب ، وقطع العطاء عنهم . فما كان من كيدر إلا أن امتثل للأمر ، وكانت مصر تعج بأفراد القبائل العربية ، فلما أوقف كيدر الأعطيات لم يتحمل العرب ذلك ، وخرج يحيى بن الوزير الحروي فى جمع من لخم وجذام على المعتصم ، وثاروا على خلافته وأوامره . ولم تطل إمارة كيدر بعد ذلك كثيرا إذ أنه مات فى ربيع الآخر سنة ٢١٩هـ / ٨٣٣م فولىّ ابنه المظفر بن كيدر خلفا لأبيه ، فخرج إلى يحيى بن وزير وقاتله وأسره فى جمادى الآخرة من تلك السنة .

ولم تنجح ثورة اللخميين والجذاميين التى قاموا بها ، ولا شك فى أنهم ذاقوا الأمرين بعد انتصار الدولة على ثورتهم وبذلك فقدوا أعطياتهم

كما فقدوا استقرارهم . وكانت هذه الضربة من الضربات التى شتتت شملهم ، وأزاحتهم بعيدا عن المواقع الحضرية فى مصر ليشقوا طريقهم إلى الصعيد وما وراءه بعيدا عن أيدي السلطات التى كانت تضطهدهم .

وزاد الطين بلة أن انتهى عهد الأمراء العرب فى مصر بعد ذلك إذ كان عنبسة هو آخر أمير عربى تولى أمر مصر ، ثم صرف عنها عام ٢٤٢هـ / ٨٥٦م .

وفى أيام المقريزي على ما ذكر (توفى سنة ٨٤٥هـ / ١١٤٥م) كانت هناك بطون منهم فى صعيد مصر ، وأضاف المقريزي بأنه كانت هناك ثلاثون قبيلة منهم ما زالت تحتفظ باسمها . وفى نفس الوقت كانت هناك بطون ما زالت تقيم فى الإسكندرية .

ولكن من أهم هذه القبائل اللخمية التى ما زالت باسمها القديم فى مصر والسودان قبيلة بنى حَبّان ، إذ أن هذه القبيلة ما زالت مقيمة فى مصر ، كما أنها ما زالت تحتفظ بهذا الاسم ، وفى نفس الوقت فإن هناك قبيلة فى أراضى دارفور بغرب السودان كانت تدعى حتى القرن الثامن عشر باسم "الحَّبانية " . وقد أورد اسمها وشيئا عنها الشيخ عمر [٤] التونسي فى كتابه " تشحيذ الأذهان ، فى سيرة عرب السودان " ولكن ما لبث أن تغيّر النطق فى "حاء " حبان وانقلب إلى "هاء " ، كما يحدث أحيانا فى اللهجات العربية ، وأصبحت هذه القبيلة معروفة الآن باسم الهبانية ، وهى جزء من ائتلاف قبائل البقارة التى تعيش على نطاق واسع فى دارفور وكردفان بغرب السودان .

٤

ومما يساعدنا على معرفة المزيد عن اللخميين الذين نزحوا إلى السودان معرفتنا بالقبائل الأخرى التى تنتمى بنوع من أنواع القرابة إلى بنى حبان أو هبان . والمعروف عند نسابة القبائل العربية بالسودان أن هناك قبيلة التعايشة التى تنتمى بأواصر القربى إلى الحبانيين أو الهبانيين . وهذا قد يعنى إما أن تكون قبيلة التعايشة قد تفرعت من بنى حبان ، أو أنها كانت مرافقة لها فى رحلتها من الجزيرة العربية فمصر فالأراضى السودانية .وربما كانت هناك بعض القبائل الأخرى التى تجاورهم هي أيضا من اللخميين مثل قبيلة الرزيقات .

أما جذام وعلى رأسها بنو هلْبَا فإنهم مجاورون لأبناء عمومتهم من بني حبان (هبان) اللخميين أصحاب ملك الحيرة ، ثم أشبيلية بالأندلس قبل وصولهم إلى الأراضي السودانية .

وعلى هذا فإنه يتأكد لنا ، كما تأكد لغيرنا ممن سبقنا ، بأن قبائل البقارة فى السودان ليست كلها من جهينة ، وإن كانت جهينة تشكل العنصر الرئيسي ، كما أنه يتضح لنا أن الأغلبية هم من القبائل اليمنية كالقحطانيين والحميريين وغيرهم إذ أنهم ينتمون إلى تلك الممالك اليمنية العريقة التى كانت تحكم جنوب غربي الجزيرة العربية قبل الإسلام ، كما ثبت لدينا أن هؤلاء انتشروا بعد خروجهم من الجزيرة العربية فى الأندلس وشمال إفريقيا ومصر والسودان وأطراف منطقة سلطنة ودَّاي .

ولما كان اللخميون قد وصلوا إلى فلسطين منذ القرن الثالث الميلادى أسوة بالغساسنة فى الشام فإنه ما زالت هناك عائلات وفروع منهم فى تلك البلاد . وقد أورد الدباغ [٥] شيئا عن اللخميين وتاريخهم فى

---

[٥] / الدباغ ، مصطفى مراد : القبائل العربية وسلالتها فى بلادنا فلسطين ص ١٣٥ .

فلسطين إذ قال بأن لخما كانت من بين القبائل العربية التى أرسلت وفدها إلى النبي (ص) وآمنت برسالته . وقد قام وفدها برئاسة قطبين من أقطاب القبيلة هما تميم الدار (التميم الداري) وأخوه نعيم بن أوس (أخوه لأمه) وأتيا إلى المدينة المنورة وهناك أعلنا إسلامهما . وأهدى تميم الدار لرسول الله (ص) فرسا يقال لها (الورد) ، فقبلها منه الرسول (ص) . ثم أعطاها لعمر الذى كان يركبها فى غزواته . ثم طلب الأخوان من النبى (ص) أن يقطعهما منطقة حبرون فأقطعها لهما الرسول صلى الله عليه وسلم .

وما زال عقب تميم الدار هذا يعيش فى أرض فلسطين ولكنهم من سلالة ابنته رقية إذ لم يولد له ولد كما ذكر الدباغ . غير أن أحفاد تميم الدار من بنته يبدو أنهم ظلوا يحفظون الاسم بعده . وقد انتقلت جماعات منهم حتى وصلت إلى الأراضى السودانية . وما زال هذا الاسم معروفا ، كما أن العائلات التى تنتمى إليه ما زال لها شأن فى الحياة الاجتماعية .

وذكر ماكمايكل [٦] عند الحديث عن الكنوز أو أبناء كنز الدولة أن الصادق عيسى من زعماء الكنوز قد كتب له أسماء عائلة تميم الدار على أنهم من الكنوز ، وأنهم ما زالوا موجودين بهذا الاسم .و يعلق ماكمايكل على هذا بأن أبناء تميم الدار ليسوا من أبناء الكنز (أى ربيعة) ، وقد أكد ذلك وسْتنفيلد ، وإنما هم من بنى لخم . ومما يظهر فإنه لابد أن حدث تزاوج واختلاط بين أبناء كنز الدولة وأحفاد تميم الدار فى الأراضي المصرية ، وبقيت هذه المصاهرة قريبة الوشائج حتى اعتبر الداريون من أبناء الكنز ، وطغت تلك القرابة على أصلهم . وكان يطلق على أبناء تميم الدار لقب الأمراء ، وكان من بين هؤلاء الأمراء الأمير تومان بن تميم الدار أى الأمير

---

[٦] / ماكمايكل : ص ٩٩ ج ٢

نجم الدين وهو الذى توفى بالقاهرة ودفن فيها عند بوابة النصر وقد خلف أربعة من الأبناء وهم مبارك وما زال أبناؤه يعيشون فى مصر والسودان ، وكذلك أبناء عون الله وغلام الله . أما أبناء عامر بن نجم الدين فهم يعيشون فى مصر العليا وفى كردفان بغرب السودان .

أما أبناء تميم الدار فى السودان فإنهم لا يذكرون فى رواياتهم أنهم ليسوا من أبناء التميم الداري كما جاء فى قول الدباغ ، بل إن الأسرة بأسرها منذ ظهورها فى مصر والسودان تعتبر من الزعامات العربية ولها مكانتها العالية بين القبائل ، كما أنه يلحق باسم تميم الدار لفظ " الأنصاري " دائما مما يظهر ويؤيد صحة النسب لتميم الدار اللخمي الأنصاري . ويعرف أيضا بالجعدي الأنصاري ، وكما هو معروف فإن قبيلة بنى جعد هم من الأنصار أيضا وقد قضوا على مملكة النوبة فى دنقلة العجوز (راجع الحديث عن بني جعد وبني عكرمة) .

وكانت لتميم الدار مكانة عالية قبل الإسلام وبعده ، وقد كان لدخوله الإسلام فضل على أهله وذويه ، وكان من الصحابة الأجلاء ومن خيار الأنصار ، وعرفت له مكانته السامية فى المدينة .[٧] وكما توجد عائلات لخميةفى كل من السودان ومصر وفلسطين ، فإن هناك بعض الأسر اللخمية فى المملكة العربية السعودية ، ومن بين تلك الأسر العريقة " بنو سهل " فهم ينحدرون من قبيلة لخم وقد استقروا فى شبه الجزيرة العربية التى وحدها الملك عبد العزيز آل سعود .[٨]

---

[٧] / راجع الحديث عن اللخميين فى الدباغ .

[٨] / الدباغ .

إن تاريخ آل تميم الدار يظهر أن هـذه القبيلـة اللخميـة كـانت ذات وزن كبير فى تاريخ المسلمين ، كما يظهر أن اسم تميم الدار ظل باقيا طـوال هذه الحقب مما يدل على أن الانتساب الأول ربما رجع إلى أحد أسلاف تميـم الدار الصحابي الأنصاري ، أو أنه كان لتميم الدار عقب مـن الذكـور أثنـاء إقامته فى المدينة المنورة حتى أيام سيدنا عمر بن الخطاب ، وقـد كـانت داره مفتوحة للطارقين حتى جاءه معاوية بن خرمل صهر مسيلمة الكذاب بعـد أن أعلن توبته لسيدنا عمر ، فقال له سيدنا عمر " انزل على خير أهل المدينـة " فما كان منه إلا أن نزل عند تميم الدار .

العطاوية – والكبابيش :

وقد تناول ماكمايكل العطاوية فى كتابه ، فذكر بأن " هنـاك جماعـة أخرى داخل الكبابيش ، وهى جزء منهم تدعى العطاوية ومقرهـا عطـاوي . والعطاوية تعني بني عطية . ولا يمكن للباحث إلا أن يقرن بنـى عطيـة هـؤلاء ببنى عطية الذين ما زالوا يقيمون فى الجزيرة العربيـة ، وهـم يسـمون هنـاك بالعطيات أو عطوانية . وكثيرا ما يأتى ذكـر بـني عطيـة مـع كـل مـن جهينـة وفزارة وبنى هلال .

وللعطاوية فـى كردفـان وسـم كعلامة (y) يسـتخدمونه فـى أنعامهم ، بينما نجد أن بنى عطية الذين يقيمون فى الجزيرة العربية يستعملون هذا الوسم ( ) ، والشبه الكبير فى هذا الوسم يحمل المرء علـى الاعتقـاد

بأن التشابه ليس مجرد صدفة ، ولكن لابد أن تكون القبيلتان من مصدر واحد.

وفى ذلك الوقت الذى حدث فيه الغزو الهلالي الذى اشتركت فيه فزارة كان بنو عطية يعتبرون جزءا من الأثبج ، وهذه أكبر عشيرة فى بنى هلال ، وأقاموا وقتها فى منطقة قسطنطينة فى الجزائر (كما ذكر ابن خلدون) . ويقول ابن خلدون بأنهم وهم هناك أخذوا فى الاختفاء والضعف . وعلى ما يبدو فإن هذا القسم الكبير منهم قد أخذ فى الرحيل إلى الأراضى السودانية .

ومع كل فقد كان هناك فى قسطنطينة حوالى (٣٠٠) نسمة منهم فى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ، مع وجود عدد آخر يقدر بحوالي (٥٠٠) خمسمائة نسمة فى الصحراء ، ولكنهم هناك يعتبرون من البربر .

ويعتبر العطاوية الذين فى كردفان على أنهم من الكواهلة فى أصلهم ، ولكن مما يظهر فإن الكواهلة عندما دخلوا فى حلف الكبابيش دخل معهم العطاوية .

وهناك عطاوية آخرون يمتلكون الإبل ، ويقيمون جنوبا مع الرزيقات (رزيقات البقارة) . والمعروف أن عطية كان من أهم أجداد البقارة .

ومما ذكر فى مسالك الأمصار نعرف أنه كان هناك عطويون فى شبه الجزيرة ، إذ يقول صاحب المسالك بأن بني صخر كانوا يضمون الدعجيين والعطويين والصويتيين ، وأن بلادهم ما حول الكرك ، ثم يضيف بأن منهم

طائفة نزلت مصر ، كما كان منهم بنو مرة خفراء القدس[٩] وبنو فيض وبنو شجاع . ويبدو أن الطائفة التى رحلت إلى مصر هى التى تفرع منها قسم العطاوية الذى وصل إلى غرب السودان ، كما رحل بعضها إلى الجزائر .

طي

طي قبيلة عظيمة من كهلان من القحطانية . ويذكر النسابون العرب أن جهينة وقبيلة بلي فروع رئيسية من قحطان وقضاعة ، وهما من نسل حمير ، بينما طي من نسل كهلان أخي حمير . وكانت قضاعة قد خلفت جرهم فى الحجاز . كما كانوا من سدنة الكعبة حتى جاء بعدهم بنو قصي حوالي سنة ٤٠٦م . وكانت قصي كما هو معروف من قريش .

ومن بطون طي بنو جديلة ، وهي أمهم ، وقد انضم أبناؤها جندب وحور إلى أهل أمهم . ومن فروع طي الثعالب بنو قيم الدين الذين يقال لهم مصابيح الظلام ، ومنهم أيضا بنو شمر ، وبنو سنبس ، وبنو نبهان وغيرهم .[١٠]

---

[٩] / الدباغ – ص ١٣٢ .

[١٠] /القلشندي : ص ٦٨٨

وكانت منازل طي باليمن ، فخرجوا من هناك على أثر خروج الأزد ونزلوا سميراء وفَيد فى جوار بنى أسد ثم غلبوهم على أجا وسلمى ، وهما جبلان من بلادهم فيما وراء الكرخ من أرض عفر ، ثم ورثوا منازل تميم بأرض نجد فيما بين البصرة والكوفة واليمامة وورثوا بعض منازل غطفان مما يلي وادى القرى ، وبعبارة أخرى ملأوا السهل والجبل ، حجازا ، وشاما ، وعراقا . ثم اضطرت إلى الجلاء عن جنوبي فلسطين ، فهبطت مصر ، ونزلت بمديرية البحرية مع بنى قرة الجذاميين . ومن تاريخ أبناء طي أنهم أغاروا على إياد ، وأغارت عليهم بنو عامر ، فظهرت عليهم طي .

وكما ذكرنا فإن من بين بطون طي الشهيرة الكبيرة التى ارتحلت إلى وادى النيل قبيلة الثعالبة التى ذكرنا حوادثها من قبل .

بنو هلال[11]

كان بنو هلال يقيمون فى شرق الجزيرة العربية ، وهناك انضموا مع بني سلَيْم إلى القرامطة . ثم انتشروا بعد ذلك وسكنوا طريق الحج شمالي الحجاز ، وسيطروا على هذا الطريق هم وبنو سليم . وكان ذلك بعد أن تغلب بنو الأصفر على السواحل الشرقية من الجزيرة العربية على أراضى

[11] انظر الحديث عن سلطنة الفور في هذا السفر .

الخليج ، تلك المنطقة المعروفة عند مؤرخي وجغرافيي العرب باسم البحرين وذلك فى سنة (٣٧٨هـ / ٩٨٨م) حيث طردوا من هناك مع سليم ، واستقروا فى طريق الحاج من سيناء إلى الحرمين الشريفين .

وكانوا مع حلفائهم بني سليم قد اشتغلوا بالشغب والإغارة على الحجاج حتى عمد الخليفة الواثق إلى تأديبهم مع حلفائهم بنى سليم كما بيّنا عند الحديث عن هذه القبيلة التى ارتحلت جماعات كبيرة منها إلى السودان . ولما رأى الفاطميون فيما بعد شدة هذه القبائل شجعوها على الهجرة إلى مصر ، وهنا يروي لنا ابن خلدون أنه " لما تغلب شيعة ابن عبيد الله المهدى على مصر والشام ، وكان القرامطة قد تغلبوا على أمصار الشام انتزعها العزيز منهم ، وغلبهم عليها ، وردهم على أعقابهم إلى قرارهم بالبحرين ، ونقل أشياعهم من العرب من بني هلال وسليم ، فأنزلهم بالصعيد ، وفى العدوة الشرقية من نهر النيل ، وأقاموا هناك . [١٢]

وكان عدد بني سليم يفوق عدد الهلاليين إلا أنهم كانوا مقارنة بغيرهم ذوي عدد كبير ، فنزلوا بتلك الأعداد الكبيرة إلى مصر وإفريقيا حتى لم يبق لهم عدد ولا بقية ببلادهم . [١٣] وقد انتشروا فى الجهات الشرقية من الحوف الشرقي والصحراء الشرقية حتى بلغوا الصعيد الأعلى .

وأقاموا فى هذه النواحي زمنا جعل كثيرا من القبائل القيسية واليمنية تنضم إليهم ، وكان من بين هذه القبائل فزارة العدنانية .

ويشير الدكتور عبد المجيد عابدين إلى أن الفاطميين " رأوا الفرصة سانحة لاستغلال هذه القوة الكبيرة فى محاربة دولة بني باديس بالقيروان

---

[١٢] / ابن خلدون ٦/ ٣

[١٣] / عبد المجيد عابدين – نص البيان والإعراب للمقريزي ص ٦٨

والمهدية من بلاد المغرب . وكان مؤسسها الحقيقي المعز بن باديس قد أعلن انفصاله عن الفاطميين ، وخلع طاعتهم . فعزم وزير الفاطميين فى ذلك الوقت أبو محمد الحسن بن علي اليازورى على تسيير هذه الجموع الهلالية وحلفائهم إلى المعز لقتاله " . [١٤] وكان ذلك فى سنة ٤٤٢هـ / ١٠٥٠م . وقد وصفهم المقريزي بأنهم (كانوا أهل بلاد الصعيد إلى عيذاب).

وتدل الأحداث التاريخية فيما بعد إلى أن الهلاليين لم يرحلوا جميعا إلى المغرب ، بل بقيت جماعات منهم فى الصعيد وصحراء عيذاب حيث عاشوا عيشة البداوة هناك ، كما أن جماعات منهم اشتغلت بالزراعة .

لقد سبق لنا أن تحدثنا عن القتال الذى دار بين المماليك والعركيين عندما نشب نزاع بين بني هلال وبني عرك . وقد تحيز المماليك إلى بنى هلال فى صعيد مصر ضد العركيين . وعندما التحمت الفرق المختلفة ، قتل العركيون كثيرا من عساكر المماليك وأمرائهم مما أثار سخط السلطان عليهم ، فأمعن فى حربهم وطردهم مع بقية حلفائهم من الصعيد حتى وصلوا إلى الأراضي السودانية (ولم يبق بدوي بصعيد مصر) . [١٥]

وهكذا نجد أن بنى هلال كانوا ينقسمون إلى طائفتين فى مساكنهم فجماعة منهم كانت منتشرة من صعيد مصر حتى صحراء البجة فى شرق السودان ، وجماعات أخرى أكبر انتقلت إلى المغرب العربي .

ويعلق الدكتور عبد المجيد عابدين بقوله بأنه " من الطريف أن معظم روايات غرب السودان تكاد تتفق على أن الهلاليين وفدوا على السودان عن طريق الشرق من بلاد العرب إلى كسلا ، ثم عبروا النيل الأبيض ،

---

[١٤] / نفس المصدر ص ١٢٧

[١٥] / المقريزي : السلوك ٢-٣

واتجهوا إلى غرب السودان ثم واصلوا رحلتهم إلى بلاد تونس لمحاربة المغاربة " .[16] و فى كثير من الأحيان كانت القبائل العربية تهاجر من الجزيرة العربية عبر البحر الأحمر ، وهذا كان يتوقف على موطنها هناك . فإن كان الموطن نائيا فى أقصى الشمال فإنها تتخذ الطريق البري عبر سيناء . أما إن كانت بين ينبع وجدة وما حولها فإنها تعبر من هذه الموانئ وغيرها مثل السرّين وشعيبة وغيرهما إلى الشواطئ السودانية . وكانت غنجاتها[17] ترسو بإبلها وأسرها فى هذه الموانئ السودانية مثل سواكن وعيذاب وراس دواير والعقيق السودانية ومن هناك تفترق وتنتشر فى صحراء عيذاب حيث تيمم من هناك إلى المقر الذي تريده . وهذه الطرق من بين الخيارات التى كانت أمام الهلاليين . ويبدو أن الهلاليين الذين أقاموا وسط البجة انتهى الأمر بهم بأن انصهروا فيهم ماعدا جماعة لحقت بذويهم فى غرب السودان عندما انتقلت جماعات كبيرة منهم من تونس . ويلاحظ الباحثون أن معظم الجماعات التى تنتسب إلى الهلاليين أو إلى فارسهم أبى زيد الهلالى يعيشون الآن فى غرب السودان . ومما يذكر أن بني هلال قد اشتركوا فى الحملة التى أرسلها السلطان قلاوون سنة ٦٨٦هـ / ١٢٨٧م لتأديب النوبة ، وأن الحملة انقسمت إلى قسمين ، عبر قسم إلى غربي النيل ، والآخر سار مع الضفة الشرقية للإحاطة بالنوبة فى دنقلة . ولما كان الطريق من دنقلة إلى غرب السودان مطروقا ، فهو طريق تجارى قديم لحاصلات غرب السودان من سنامكيّ وجلود وصمغ وريش نعام وسن فيل وغير ذلك ، فإنه ليس

---

[16] / عبد المجيد عابدين – البيان ص ١٥٢ عن ماكمايكل .

[17] / الغنجة والسنبوك والزعيمة كلها تعنى السفينة الشراعية حسب ما كان معروفا بين قبيلة جهينة وأبناء البحر الأحمر ، وكذلك كلمة جلبه وجمعها جلا كما جاء فى رحلة ابن جبير .

هناك ما يمنع بني هلال أو جماعات منهم من الذهاب إلى الغرب السوداني حيث التقوا بأولئك الذين نزحوا من تونس . أما القبائل السودانية التى تنتسب إلى بني هلال فمنها التنجر والفور والرزيقات وهلالية البرقد والزيادية . وما زال هؤلاء النفر من الناس متأثرين بقصة أبي زيد الهلالى فى رواياتهم ، كما أنه ليس هناك ما يدعو إلى الشك فى صحة نسبتهم إلى بني هلال جملة وتفصيلا . [١٨]

جمع السير هارولد ماكمايكل معلومات شتى عن بني هلال ورحلتهم إلى غرب السودان حيث نشأت من نسلهم قبيلة التنجر التى سادت المنطقة ردحا من الزمن . وذكر (بارث) بأن الروايات تذكر بأن التنجر جماعة جاءت أصلا من دنقلة حيث أنهم انفصلوا من هناك عن القبيلة المصرية التى تعرف بالبطالسة . وقد وجد هؤلاء الناس أمة الداجو التى كانت تحكم دارفور ، وهناك استطاعوا التغلب عليهم والاستيلاء على الحكم ، ثم إنهم بعد ذلك قاموا بتوسيع رقعة ملكهم فتوسعوا نحو الغرب ، ونشروا الإسلام ، وجعلوا (كاداما) عاصمة لهم . بيد أنهم لم يستطيعوا أن يبقوا على مركزهم فى الشرق بعد هذا التوسع . وقام (كور) الفوراوي وهو الثالث فى الحكم بعد سليمان ، فهزمهم هناك ، وأقام مملكة وثنية . ويقال بأن حكمهم استمر فى ودّاي لمدة تسع وتسعين سنة إلا أنه أطيح بهم فى سنة (١٠٢٠هـ / ١٦١١م) من قبل عبد الكريم بن يامي وهو الذى أسس إمبراطورية وداي الإسلامية .

ويذكر الدكتور شورتز و ناختيجال وسلاطين باشا بأن التنجر كانوا عنصرا ذا مدنية راقية ، وقد جاءوا إلى دارفور من الشرق ، وأنهم أخضعوا

---

[١٨] / عبد المجيد عابدين : البيان والإعراب للمقريزي ص ١٥٣ .

الداجو ثم انتشروا تدريجيا فى وداي ، وكان أول ملوكهم هو أحمد المعقور كما كان آخرهم شاور . وكان أول ملوكهم الذى قوى مركز التنجر هو دليل بحر أو دالى معطي القوانين . وكان أخا شاور من أبيه . ويقول شورتز بأن حكومة دالي ربما سقطت فى منتصف القرن الخامس عشر الميلادى .

أما سلاطين باشا الذى كان حاكما على غرب السودان فى عهد الحكم المصري للسودان (١٨٢١-١٨٨٥) فإنه قال بأن الروايات التى سمعها فى غرب السودان تروي بأن التنجر قد جاءوا من الشمال من تونس بقيادة كل من الأخوين على وأحمد فى حوالي القرن الرابع عشر " وتوزعوا وانتشروا فى بَرْنُو ووداي ، وأخيرا وصلوا إلى دارفور ، واستقروا بالقرب من جبل مَرَّة . وقد امتزج التنجر بكل حرية بالداجو ، واحتلوا مكانهم إلى أبعد الحدود . وكان حفيد أحمد هو دالي ، وكانت أمه من " الكيرافور " وبالرغم من ذكر تونس إلا أن هذه الروايات لم تشر إلى بني هلال كما يقول الكاتب . وفى الوقت الحاضر (على حد قول ماكمايكل) فإن كل الروايات الكردفانية التى تتحدث عن استيلاء العرب على دارفور ، واختلاط العرب والعناصر السوداء فى جنس واحد ، تعطي أهمية كبيرة لبني هلال . فمثلا يقول التنجر الكردفانيون بأن أحمد المعقور هو من بني هلال ، كما أنه الأخ الأصغر لأبي زيد الهلالى ، كما كان له ثلاثة أبناء منهم عبد الرحمن الذي كان والد التنجر . وكانت هناك بنت وابن آخر . وأما كِنًا والآخر فهما أجداد الكنجارا والمسبعات . كما قيل للسير هارولد ماكمايكل بأن السلطان علي دينار يرجع نسبه إلى بني هلال . وكان هذا المؤلف يتحدث عن الفترة من حوالى سنة (١٩٠٦ - ١٩١٢) أى قبل استيلاء الحكم الثنائى على سلطنة دارفور الذى كان فى عام ١٩١٦م .

ويفسر التنجر اسمهم على أنه مشتق من كلمة نجار ، إذ كان أحمد قد اشتغل بالنجارة ، وكان يقال له " هل تنجِّر لنا كذا وكذا ..." ، ومن هنا شاع هذا اللقب فيما بعد حين استولى على الملك من الداجو .

أما قبيلة المسبعات الذين يقطنون فى دارفور فإنهم يدلون بتفاصيل تذكر بأن أحمد المعقور كان أخا لأبي زيد الهلالي ، غير أنهم يقولون بأن التنجر كانوا حكاما على دارفور قبل غزو بني هلال لها ، وبعد أن رحل أبو زيد شمالا ترك أحمد وراءه ، فتزوج هذا ببنت سلطان التنجر ، وأصبحت ذريته هم الكنجارا الذين من فروعهم المسبعات .

وبينما كان ملك التنجر فى حروب فى الجنوب جعل أحمد نائبا له على السلطنة ، غير أن أحمد انتهز الفرصة واستولى على الحكم . ثم خلفه ابنه محمد دالى . كذلك فقد عرف الكاتب ماكمايكل من التكارير بأن العرب – " وهم أجداد التكارير إذ أن هؤلاء يرجعون أصلهم إلى تلك القبائل العربية التى نزحت إلى مناطق أوطانهم عندما هاجروا جنوبا إلى برقو " – قد وجدوا التنجر على سدة الحكم ، فطردوا معظمهم من البلاد . وهذا كما يقولون حدث قبل أيام بني هلال وأحمد المعقور . وتؤكد نسبة التنجر أنهم من بني هلال وأنهم حكموا دارفور ، وأن المسبعات من ذرية الهلاليين .

فمن هم بنو هلال هؤلاء ؟ إن بني هلال الأصليين المعروفين كانوا قبيلة عربية شهيرة غزت إفريقيا فى القرن الحادي عشر الميلادي ، ودخلوا فى حروب عديدة مع البربر فى شمال إفريقيا ، وقصة حروبهم تلك وراء بطلهم أبي زيد الهلالي من أشهر الأقاصيص العربية . ومع أن الكاتب لم يجد فى المصادر التى أتيحت له (ولا وجدناه نحن) ما يشير إلى أن الهلاليين

وصلوا إلى كردفان ودارفور ، إلا أن أهالي هـذه الجهـات يـروون كثـيرا مـن الأقاصيص عن أنفسهم وعن أبي زيد الهـلالي معهـم . ومهمـا قيـل بـأن هـذه الأقاصيص قد تكون من الأحاجي التي لا أساس لها مـن الحقيقـة ، وإنمـا هـي أصداء لأساطير بني هلال ، ولكن مع ذلك يـرى الكـاتب ونـرى بـإن هنـاك احتمالا بأن يكون بعـض العـرب قـد نزحـوا نحـو الغـرب مـن منـاطق النيـل وصعيد مصر حوالي القرن الخامس عشـر والسـادس عشـر الميـلادي أو قبـل ذلك ، وأنه من بينهم جماعات من بني هلال . وليس ما يقولـه الهلاليـون فـى السودان هو كل ما لدينا من مصادر عن هذه الرحلة الهلاليـة ، بـل إن هـذه الأخبار منتشرة أيضـا في بنـى سُـليم في مصـر ، وقـد نجـد فيمـا رواه الشـيخ الباسل عن قبيلته سليم وبني هلال ورحلتهما إلى طرابلس وتونس ومـا كـان من رحلتهما إلى السودان ما يؤكد نزوح هذه القبائل إلى أرض السودان .[١٩]

ولعلنـا مـا زلنـا نذكـر ممـا سـبق أن السـلطان سـيف الديـن قـلاوون المملوكي سلطان مصر قد أرسل حملة عسكرية لإخضاع النوبة سنة ٦٨٦هـ / ١٢٨٧-١٢٨٩م وكان من بينها بعض من بـني هـلال . ومـن المحتمـل أن يكون بعضهم قد استقر فى النوبة ، كما يكون بعضهم الآخـر قـد رحـل إلى غرب السودان فى تاريخ بعد ذلك بحثا عن منتجع أفضل ، وقد يكون ذلـك فى فصل الخريف الذى تخضر فيه تلك الأصقـاع وتصبـح جـزءا مـن الجنـان بمائها وخضرتها وبرودة طقسها .

---

[١٩] / راجع الحديث عن قبيلة سُليم فى هذا السفر .

وهناك جماعة من بني هلال يدعون بالجعفرية أقاموا بالقرب من (أم دم) فى كردفان . وقد عرف هؤلاء العرب فيما بعد باسم التنجر . [٢٠] ثم إنهم اجتازوا كردفان وتغلبوا على الداجو . وبعد أن كانوا فى البداية حلفا مكونا من عدة قبائل إلا أنهم سرعان ما أخذوا فى تركيز قوتهم ، وتوحيد صفوفهم كشعب واحد . وفى أثناء مصاهرتهم واختلاطهم بالسكان الأصليين أرجعوا نسبهم إلى عائلة نبيلة من بني هلال . ولكن مما هو واضح فإن الروايات المحلية التى تناقلها الناس أبا عن جد تشير على العموم بأن هناك صحة فى هذه المعلومات والنظرية . هذا ما أشار إليه ماكمايكل عند بحثه فى هذا الأمر العلمي مع كبار رجال هذه القبيلة ، ولابد أنه اقتنع بصحة ما رووه له عندما كان بين ظهرانيهم يبحث ويسجل بكل تؤدة وفى متسع من الوقت . وقد كانت لأبحاثه أفضل المساعدات العلمية فى هذا المضمار ، وما زال الجميع يغترف مما حوت سطوره من معلومات شفوية وكتابية .

أما القبائل العربية السودانية التى انحدرت من بني هلال منهم التنجور ، والفور ، والرزيقات ، وهلالية البرقد ، والزيادية . وتدل المؤثرات السلالية والقصصية على أنه لا شك فى انتمائهم إلى بني هلال ، وانتسابهم إليهم رغم رواياتهم التى تقول بأن بني هلال قدموا من شرق السودان ثم هاجروا إلى غرب السودان ، والواقع أنهم سلكوا الطريقين ، وكانت القبائل

---

٢٠ / إذا لم تكن هذه التسمية مشتقة من النجارة ، فإنها ربما كان لها معنى بلغة البلاد الأصلية تنم عن صفة ظاهرة للعرب النازحين كأن تنم عن لونهم ، أو شعرهم أو لبسهم أو أى سمة أخرى وهذا ما كان يحدث لدى البجة ، فقد كانوا يتسمون بأسماء عربية ويشتهرون بأسماء بجاوية تنم عن صفاتهم الجسمية أو الأخلاقية .ولعل القارئ يعرف هذا عن الألقاب التى تطلق على لاعبى كرة القدم فى السودان من أسماء غريبة تدليلا لهم وتمييزا عن غيرهم .

بالجزيرة العربية تتابع رحلات بنيها الذين هاجروا منها إلى مصر والسودان والغرب لمعرفة مواطنهم الجديدة ، والاتصال بهم إذا ما دعا الأمر . ومن الجلى أن كلتا الهجرتين قد تمت بين فروع هذه القبيلة فهناك جماعات وصلت إلى شرق السودان ثم رحلت إلى الغرب ، كما أن هناك جماعات أخرى رحلت من شمال إفريقيا إلى غرب السودان حيث اجتمع الطرفان هناك .

وتعد قبيلة بني هلال من أفصح القبائل العربية لدى الأقدمين من العارفين باللغة العربية . وقد قال فى هذا الشأن ثعلب فى أماليه بأن أبا المنهال روى عن أن أبا زيد قال بأنه لا يقول فى رواياته " قالت العرب " إلا إذا كان القائل من قبيلة بكر بن هوازن ، أو بني كلاب ، أو بني هلال ، وكانت هذه القبائل تعد من فصحاء العرب وقد هاجرت كل من هلال وهوازن إلى السودان فاستقرت هلال بعد رحلتها الطويلة فى غرب السودان كما رأينا فى هذه السطور . [٢١]

العدنانيون

سُـــــلَيمْ

كانت مساكن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن منصور بن نزار بن معد بن عدنان فى عالية نجد بالقرب من خيبر ، ومن منازلهم وادي القرى وتيماء . وعلى هذا فهم من القبائل العدنانية

[٢١] / السيوطى : المزهر . الجزء الأول . ص ١٥١ .

القيسية ، وانتقلوا من منازلهم فى نجد ، فذهبت جماعات منهم إلى شرقي الجزيرة العربية ، بينما رحلت جماعات أخرى إلى غربيها ، فنزلوا فى طريق الحاج بين سيناء والحرمين الشريفي ن . وقد شاركهم فى تلك المنازل بنو هلال .

وكانت لبني سليم سابقة فى الجهاد فى سبيل ا لله ، وكان مما يفخرون به أنهم صحبوا سيدنا خالد بن الوليد فى سريته لبني عامر ، كما أنهم كانوا مع النبي صلى ا لله عليه وسلم حين فتح مكة ، وكان قد قدم لواءهم على الألوية الأخرى كما كان أحمر اللون .

وتفخر سليم بعدة أعمال عظيمة أخرى منها أن سيدنا عمر أبن الخطاب رضي ا لله عنه كتب إلى الكوفة ، والبصرة ، والشام ، ومصر ليبعثوا له من كل من هذه الأمصار بأفضلها رجلا . فأرسل أهل البصرة بمجاشع بن مسعود السلمي ، وأهل الكوفة بعتبة بن فرقد السلمي ، وأهل الشام بأبى الأعور السلمي ، وأهل مصر بمعن بن يزيد الأخنس السلمي ، وبهذا نالوا شرفا عظيما على سائر القبائل العربية الأخرى [٢٢].

وفى الوقت الذي كانت فيه سليم موزعة بين شرقي الجزيرة وغربيها. كانت جماعة منها قد ذهبت منذ أيام سيدنا عمر بن الخطاب رضى ا لله عنه إلى مصر . وكانت تؤلف جماعة من عدة قبائل قيسية فى أرض مصر سنة تسع ومائة هجرية (١٠٩هـ / ٧٢٧م) .

ويذكر اليعقوبي أنهم عاثوا فى طريق الحجاز فسادا ، وقطعوا الطريق حتى تخلف الناس عن الحج فى أوائل القرن الثالث الهجرى ، ونصبوا رجلا منهم يقال له عُزَيْرَة الخفافي ، وسلموا عليه بالخلافة . وكان ذلك فى

---

[٢٢] / اليعقوبي : ج ٢ ص ٥١١ – طبع بيروت

أيام الخليفة الواثق با لله ، فما كان من الخليفة إلا أن وجه إليهم بغا الكبير – أحد كبار قواده – في سنة ٢٣٠هـ / ٨٤٤م ، وأمره بقتل كل من وجده من الأعراب الذين كانوا يهددون طريق الحاج . فشخص بغا قبل أوان الحج ، فاجتمع بنو سليم ومعهم كثير من اللقبائل القيسية إلا أنهم كانوا الأغلبية ، وجاءوا من سائر الجهات لمُناصرة سليم وزعيمها عزيرة . واقتتل الفريقان ، واستطاع الأمير بغا أن يقتل منهم خلقا كثيرا ، ولم يكتف بذلك بل صلبهم على الأشجار ، فكانت هذه الواقعة وبالا عليهم .

ويضيف اليعقوبي " أنه نالت أهل البادية بعد ذلك زلازل ورياح وظلمة ممن كان حول المدينة من بني سليم وبني هلال وغيرهم من بطون قيس وسائر أهل البلد ، فهربوا إلى المدينة المنورة ، وإلى مكة المكرمة يستجيرون بقبر رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم وبالكعبة . وأحضروا متاعا من متا ع الحاج الذين قطعوا عليهم الطريق ، وذكروا أنه هلك منهم خلق عظيم في البادية ، وكان ذلك سنة ٢٥٨هـ / ٨٧١م . "

وارتحل عدد من بني سليم من البحرين (ساحل الجزيرة العربية الشرقي) عندما تغلب بنو الأصفر بن تغلب على البحرين بدعوة العباسية أيام بني بويه ، وطردوا بني سليم من هناك وأجبروهم على الرحيل إلى صعيد مصر ليلحقوا بمن كان هناك منهم . ولا شك في أنها كانت رحلة طويلة ربما تمت عن طريق البحر لصعوبة الطريق البري عبر الجزيرة العربية كما ذكر ابن حوقل . فلما وصلوا مصر أراد بعضهم اجتيازها إلى برقة في أيام الخليفة المستنصر الفاطمي ، فسمح لهم بذلك وزيره البازوري [٢٣] وذلك للقيام بمحاربة المعز بن باديس سنة ٤٤٢هـ / ١٠٥٠م ، فاجتازوا الأراضي المصرية

---

[٢٣] / كحالة : انظر سليم .

ومعهم الهلاليون ، وأقاموا ببرقة وجهات طرابلس زمنا . ثم ساروا إلى إفريقيا ، وتصاهروا مع قبائل البربر ، كما رحلت جماعات أخرى إلى تشاد ومنها إلى أراضي غرب السودان .

ومع أن عددا كبيرا من بني سليم رحل إلى شمال إفريقيا غربا إلا أن جماعات أخرى كانت قد أقامت فى صحراء عيذاب [٢٤] والصعيد الأعلى بمصر . وهناك انضمت إليها بطون من القيسية والسبئية [٢٥] مثل فزارة القيسية وبني هلال .

وكانت القبائل العربية قد اعتادت أن تسير جماعات من نفس بطون القبيلة ، كما تهاجر معها بطون من قبيلة أخرى من أبناء عمومتها كما فعل بنو هلال مع سليم ، وفزارة وعبس ، وجهينة وبلي ، بل وترحل معها بطون من أحلافها وجيرانها ليؤازر بعضهم بعضا خاصة عند خروجهم من مصر تحت ضغط المماليك وإرهابهم ، فقد خرجت قبائل قيسية ويمنية معا فى نفس الوقت سنة ٦٨٦هـ / ١٢٨٧م . كذلك نجد أن بعض البطون ممن لا يطيب لها المقام الجديد تضرب أكباد الإبل ، وترحل إلى العمق السوداني حتى تجد المكان الذى يروق لها . وهذا ما كانت تفعله هذه القبائل عند نزوحها إلى السودان ، ثم سرعان ما تنتشر من مقرها الرئيسي طلبا للمرعى والماء .

ولم تختلف قبيلة سليم عن رصيفاتها من القبائل الأخرى ، فانتشرت من أراضى الخليج العربي إلى شمال غربي الجزيرة العربية ، ثم هبطت فى مصر ، وجاوزتها إلى ليبيا وتونس والجزائر ، ويممت إلى غرب السودان

---

[٢٤] / كان لبني سليم موضع لاستخراج التبر فى وادي العلاقي يعرف بموقع " دح " حيث كانت تنزل سليم وبعض بنى مضر . وهذا ما ذكره اليعقوبي فى ص ١٦ من الجزء الأول : دار صادر .

[٢٥] / عبد المجيد عابدين : البيان للمقريزي ص ١٢٦ .

حيث هي الآن فى كردفان والنيل الأبيض ، كما أنها ما زالت تحتفظ باسمها القديم .

ولعل أكثر ما يسبب الخلط فى الأنساب ، التزاوج الذى يحدث بين زعماء القبائل المختلفة ، وما ينجم عن ذلك من بطون أو بدنات تعيش تحت مظلة اسم القبيلة الكبيرة وتختلف معها فى نسبها الذي يرجع إلى أصول مختلفة كما حدث للجعليين والشكرية وكثير من القبائل العربية السودانية الأخرى .

ويقيم بنو سليم أيضا على النيل الأبيض حيث يجاورون الجمع فى الشمال ، والشلك فى الجنوب ، كما يوجد فى غربيهم أولاد حميد ، وفروع من الهبانية . ويرى بعض الباحثين أن بني سليم فى السودان قد استظلت بمظلة البقارة التى يقول زعماؤها ورجالها بأنهم من جهينة إلا أن بني سليم كما هو مؤكد قبيلة عدنانية بخلاف البقارة الجهنيين .

وليس من السهل قبول حديث بعض الباحثين بأن بني سليم هم من جهينة وما ذلك إلا لتأكيد المصادر العربية على عدنانيتهم .

ويحتفظ بنو سليم القاطنون فى مصر بتاريخ رحلة القبيلة فى المغرب العربي والسودان . وقد ذكر الأمير شكيب أرسلان ما حصل عليه من معلومات فى هذا الشأن من عبد الستار الباسل أحد زعماء القبيلة فى مصر ، ودون ذلك فى كتاب حاضر العالم الإسلامى .

يقول الشيخ الباسل بأنه فى القرن الخامس للهجرة رحلت قبيلة هلال من الجزيرة العربية إلى مصر ، ورحلت معها إحدى بطون سليم وهو البطن الذى خؤولته فى بني هلال ، وأقاما فى مصر فترة من الوقت فى أثناء عهد الخلافة الفاطمية هناك .

وكان سبب رحيل عدد كبير منهم من مصر إلى الغرب ثورة العامل الفاطمي ابن باديس على الخلافة الفاطمية وخلعه للخليفة الذى خشي من سياسة التقارب بين ابن باديس والعباسيين ، إذ كان ابن باديس يخطب فى المنابر للعباسيين . وكان ابن باديس يعلم أن العباسيين بمنأى عنه وهو فى تونس وأن سلطتهم عليه لن تتعدى الخطبة باسمهم فى المنابر . وكان بنو هلال وسليم يريدون أن يضربوا فى الأرض إلى غرب إفريقيا سعيا وراء الرزق . فصادف ذلك هوى فى نفس الخلافة الفاطمية ، فسمحت لهم بالرحيل عن مصر على أن يحاربوا ابن باديس فى تونس ويسغطوا سلطانه هناك . وكان ابن باديس قد وجد عضدا من القبائل البربرية وخاصة زناتة التي كانت فيها زعامة البربر . وفى الحرب التى دارت بين بني هلال وسليم من جهة ، وبين ابن باديس وأنصاره من جهة أخرى استطاعت هاتان القبيلتان التغلب على ابن باديس ، وأعادتا تونس إلى الفاطميين . وكانت هاتان القبيلتان بدويتين لا تعرفان الاستقرار ، وليست لهما رغبة فى الحكم ، ولذلك فإنهما اكتفتا بتقسيم مراعي طرابلس وتونس بينهما . ولما كانت بنو هلال هى الأكثرية إذ أنها رحلت بقضها وقضيضها من الجزيرة العربية بعكس بني سليم التي خرجت منها بطن واحدة ، فإن بني هلال أخذوا مراعى تونس لهم ، وتركوا لأبناء بنتهم من سليم مراعي طرابلس . وكان واضحا أن الصفقة بالنسبة لسليم كانت خاسرة ، وهذا ما اضطرها إلى الرحيل شيئا فشيئا إلى السودان (المصري) كما سماه الباسل . وأضاف عبد الستار بأن بني سليم الموجودين بالسودان يعرفون " بعرب يقارة سليم" .

ولم تنزح كل قبيلة سليم إلى السودان من طرابلس ، بل بقي هناك منها فخذان كبيران هما الكعوب وأبو الليل . ويسكن الكعوب قصر سرت

شرقا وحدود تونس غربا . ويشمل هذا الفخذ قبائل المحاميد وترهونة وأولاد سليمان والرفلة وقبائل أخرى صغيرة .

وقد عالج كل من ابن خلدون والقلقشندي تاريخ هذه القبيلة ، ولكن أخبارهما أصبحت غير معروفة فى المصادر بعد القرن التاسع الهجري بسبب الكوارث الطبيعية التى حلت بمصر وبغيرها من البلاد والتي كانت تعزى إلى عدم فيضان النيل ، وما صحب ذلك من مجاعات وجفاف أدى إلى القحط كما أدى إلى وفاة أعداد كبيرة من الناس فى الصعيد حتى مات الناس فى بيوتهم وفى الطرقات ، ولم يجدوا من يدفنهم ، وفر الأحياء بعيدا عن مسرح هذه المصائب وذلك سنة ٨٠٦هـ / ١٤٠٣م .

ويضيف الباسل بأنه حتى القرن التاسع الهجري كان المؤرخون من أمثال ابن خلدون والقلقشندي يذكرون تاريخ هذه القبيلة . أما بعد ذلك وحين جفت الأقلام ، واختفى المؤرخون فقد لجأ أبناء سليم إلى تناقل أخبار قبيلتهم ابناً عن أب ، وكانوا يعرفون ذلك من الشيوخ مع تدعيمها بأشعارهم وأغانيهم .

وفى رأينا فإنه لابد لذلك من البحث عن مثل هذه الأشعار والقصص والأحداث التى يرويها الشيوخ والعجائز فى كل قبيلة لأنها توضح الكثير من تاريخ كل قبيلة فى وادي النيل ، فيا حبذا لو قام أبناء كل قبيلة فى البلاد بجمع هذا التراث الذى قد أشرف على الزوال ، فيجمع من كان فى الجزيرة العربية ما يجد من تراث ، ويدون من كان فى مصر والمغرب والسودان ما وصل إليهم من أحاديث وأساطير وأغنيات عن ذلك الماضي ورحلاته .

الكواهلة

يرجع نسب قبيلة الكواهلة إلى كاهل بن أسد بن خزيمة ، وهي القبيلة العربية التي كان يحكمها والد امرئ القيس أمير شعراء الجاهلية . وقد رحلت قبيلة بني كاهل من الجزيرة العربية إلى شرق السودان ، وانتشرت حول سواكن ، واتصلت اتصالا قويا بالبجة ، وانقسم زعماؤها بين قبائلهم فكونوا بطونا فى قبائل الأمارأر والبشاريين التى ترجع أصولها أصلا إلى الزبير بن العوام . ورغم وجود بعض هذه البطون فى شرق السودان إلا أن هناك بطونا كثيرة رحلت باسمها إلى داخل الأراضي السودانية حتى بلغت جهات النيل الأبيض وأواسط كردفان .

وللكواهلة صلة نسب بقبيلة ربيعة ، وذلك أن ربيعة من نسل بني حنيفة بن لجيم الذين كانوا باليمامة شرقي الجزيرة العربية ، ثم نزحوا منها إلى صعيد مصر . وإخوة بني حنيفة هم بنو عجل بن لجيم الذين ربما كان موضع العجل فى أرض المعدن منسوبا إليهم . وأم حنيفة ، كما يقول المقريزي [٢٦] وسائر المؤرخين – هى صفية بنت كاهل بن أسد بن خزيمة .

ومن المرجح أن يكون الكواهلة قد نزحوا إلى السودان على دفعات هاجرت الدفعة الأولى إما عن طريق سيناء أو عيذاب ، وأقامت فى صعيد مصر ، غير أنه كانت هناك هجرة كبيرة قبل القرن السابع الهجري ، وربما كانت فى معية أحد الأشراف من أبناء أبي نمي الذين كانوا حكاما على مكة

---

[٢٦] / عبد المجيد عابدين – البيان والإعراب للمقريزي .

المكرمة والحجاز . وقد كانت العلاقة بين أبناء بني أبي نمي وهم أبناء قتادة الذين كانوا في ينبع ثم أصبحوا حكاما على دولة الأشراف في الحرمين الشريفين وبقية نواحي الحجاز وبين البجة القاطنين في سواكن وما حولها من أراضي شرق السودان صلة قوية إذ أنها صلة مصاهرة وملك .

وكان أبو نمي الشريف محمد بن أبي سعد ملك الحرمين الشريفين ، وكان العربان يحبونه حبا شديدا ويعظمونه ، وكذلك الزيدية . وقد دخل مكة في ٢٦ ومضان سنة ٦٦٩هـ والسيوف مصقولة مسلولة أمامه ، والطبول والدبادب من خلفه . وكان الشريف محمد آنذاك شيخا خفيفا شديد السمرة ، ضخم الجسم ، معتدل القامة ، حسن الصورة ، شديد الهيبة ، بهي المنظر ، قوي النفس ، مقداما شجاعا ، يقال إن جميع جسده أو معظمه لا يخلو من ضربة سيف ، أو طعنة رمح ... وقد توفى في أول سنة ٧٠١ هـ . وكانت ولايته على أراضي الحرمين الشريفين سنة ٦٦٩.[٢٧]

وكما علمنا من ابن بطوطة الذى زار الحجاز وأدى فريضة الحج حوالي سنة ٧٢٦هـ فإن أحد أبناء الشريف أبي نمي وهو زيد قد كان واليا على سواكن التى ورثها كما قال ابن بطوطة من أخواله البجة . ويبدو أن الشريف محمد هو نفسه من أم بجاوية من سواكن وقد اكتسب تلك السمرة من مصاهرة آبائه أو أبيه مع البجة في سواكن .

ونظرا لما كان يتمتع به هذا الشريف من حب العربان له في الحجاز ، ولعلاقة النسب بينه وبين زعماء البجاة في شرق السودان ، ولوجود بني كاهل ضمن جنوده ، فإنه من المرجح أن يكون هذا الشريف قد

---

[٢٧] / رحلة التجيبى الأندلسى : مجلة العرب ج ١ و٢ – س ١١رجب وشعبان ١٣٩٩ ؛ تموز / آب (يوليو / أغسطس ١٩٧٦م .

شجع الكثيرين من أبناء كاهل على الرحيل إلى شرق السودان زيادة على من كان منهم هناك من قبل ، كما أن مصاهرته للبجة كانت مضرب المثل لغيره من العرب للاقتداء به والتزوج فى البجة ، والاختلاط بهم ، وهذا ما لاحظه الرحالة ابن بطوطة حين التقى بالكواهلة بالقرب من سواكن بعد عودته من الحج سنة ٧٣٢هـ / ١٣٣١م إذ يقول عنهم " وبعد يومين من مسيرنا وصلنا إلى حي من العرب يعرفون بأولاد كاهل مختلطين بالبجاة ، عارفين بلسانهم ... وفى ذلك اليوم وصلنا إلى جزيرة سواكن ... وكان سلطان سواكن حين وصولي إليها الشريف زيد بن أبي نمي ، وأبوه أمير مكة ، وأخواه أميراها بعد ، وهما عُطيفة ورُميثة ، وصارت إليه من قبل البجة فإنهم أخواله ، ومعه عسكر من البجاة وأولاد كاهل وعرب جهينة". ونستشف من هذا القول أن بعض أولاد كاهل هم أيضا تزاوجوا فى البجة ، ومن هنا جاء الاختلاط كما حدث من قبل مع أبناء ربيعة ، ولكن ما لبث أن انتقل بعض الكواهلة من منطقة سواكن والبحر الأحمر ، وهاجروا إلى حوض النيل الأبيض مبتعدين ابتعادا كبيرا عن المنطقة التى ألفوها واستوطنوها فترة من الوقت .

وبنو كاهل من بين القبائل العربية فى السودان التى لم تنتسب مطلقا إلى عبد الله الجهني ، بل إنها حفظت نسبها وأرجعته إلى الزبير بن العوام القرشي العدناني . ومن أهم ما يذكره بنو كاهل هو أن لهم أبناء عمومة من بين القبائل الأخرى فى شرق السودان . وقد اتفق المؤرخون على أنهم أبناء عمومة قبيلة الأَمَّارْأَرْ (أبناء عَمَّارْ) البجاوية ، (والبشارين) أبناء بشّار ، والعبابدة أبناء عباد . وبالرغم من أن العبابدة يعيشون كما يعيش البجاة فى

إقليمهم إلا أنهم يتحدثون اللغة العربية أيضا ، بينما نجد أن كلا من الأمارأر والبشارين[٢٨] يتحدثون باللغة التبداوية (البجاوية) كلغة أم .

أما لماذا ابتعد الكواهلة كل هذا البعد عن إخوانهم الآخرين الذين استقروا فى البحر الأحمر فهو أمر غاب ذكره عن الرواة . ولكن درج العرب الذين نزحوا إلى السودان أن يهجروا أماكن استقرارهم بعد حين عندما تفسد العلاقات بين الأسرة الواحدة ، وحينما يكثر الزعماء فى القبيلة أو عندما يسمع بعضهم بوجود خصب أكثر فى منطقة أخرى . ولعل بطون الكواهلة التى نزحت إلى أراضي السودان الداخلية إنما فعلت ذلك بعد أن وجدت شظفا فى العيش فى أراضي البحر الأحمر ، ولربما سمعت عن النيل ومراعيه ومياهه فآثرت أن تذهب إلى هناك بدلا من الإقامة مع البجة كما فعلت عشائر البشاريين والأمّارْأَرْ .

جهينة والرباطاب

بالإضافة إلى قبيلة الجعليين المنبثقة عن الاختلاط العباسي الجهني فإن هناك قبائل عدة تفرعت من جهينة ، وسكنت على شواطئ نهر النيل بالقرب من موقع مدينة (أبو حمد) شمالا .

ورباطاب ، كما هو فى كثير من أسماء القبائل السودانية تعنى آل رباط ، ورباط هو الجد الذى تنتسب إليه هذه القبيلة ، وهو من أبناء

[٢٨] تنطق هذه القبيلة اسمها هكذا كما هو مكتوب وقد التزمنا به هنا .

الجعليين العباسيين . ونزلت هذه المجموعة من العرب فى منطقة " أبو حمد " وما حولها ، واستقروا فيها ، وسرعان ما عملوا بالزراعة والتجارة . وكانت لهم ولمنطقتهم أهمية تجارية كبيرة قبل القرن العشرين حين كانوا محطا للقوافل التى تسير بين مصر والسودان . ويعتز الرباطاب بنسبهم العباسي ، وقد كانوا طيلة تاريخهم يتجنبون الاختلاط والتزاوج بغيرهم حفاظا على دمهم العباسي . وهم من أكثر الناس واقعية فى التعامل مع الأفراد أو الجماعات سواء فى المسائل التجارية أو المجاملات الشخصية ، ويحبذون اتباع ما لقيصر لقيصر ، ولذلك كثرت فيهم الأمانة فى المعاملات بأنواعها وخاصة التجارية . ولعل من أقل ما يجب أن يذكر عنهم أن من أبنائهم أحد أساطين التعليم الأهلى فى السودان وتعليم البنت وهو المرحوم الأستاذ الشيخ بابكر بدري الذى كان يعلم نفسه بالليل حتى صلاة الفجر ثم يلقي ذلك الدرس على تلاميذه فى الصباح. وقد حكى لنا أستاذنا الشيخ عبد الله محمد عمر البنا بأنهم وهم صغار كانوا يدخلون المسجد فى رفاعة قبيل صلاة الصبح فيجدون الشيخ بابكر بدري منكفئا على كتاب البلاغة الوحيد فى البلاد والذى جلبه من مصر وقد كان أمضى الليل بطوله وهو يستوعب ما فيه ليلقنه لتلاميذه فى الصباح عندما يعودون للدرس . وقد برهن الشيخ بابكر على أنه مجاهد فى ميدان العلم كما كان مجاهدا فى ميدان حرب الاستقلال مع أقرانه فى صفوف جيش ود النجومي رحمهم الله جميعا وأنزل عليهم شآبيب رحمته . وقد خلفه في أعماله الباهره في ميدان التعليم ابنه الاستاذ يوسف بدري ، ثم حفيده الدكتور قاسم يوسف بدري . وقد أقاما المنشأة التعليمية الكبرى جامعة الأحفاد للبنات بأمدرمان .

ومن أفذاذ هذه القبيلة الشيخ عبد الله أحمد القاضى الذى كان يتولى منصب القضاء الشرعى فى السودان ، وكان معروفا لدى القاصى والدانى أنه عندما كان ينقل من بلد يحمل معه أثقالا من الكتب ترحل معه على القطار والسيارات والإبل . وكان واسع الاطلاع عليما بأمور السودان وأحواله وخلف رجال صدق منهم المهندس معتصم عبد الله القاضى وإخوانه والذى هو مضرب المثل فى كرمه ولطف معشره .

جهينة والمناصير

من القبائل الجهنية التى نزلت على ضفاف النيل شمالي مدينة عطبرة قبيلة المناصير . ويرجع النسابون أصلها إلى الزبير بن العوام وبني كاهل أسوة ببني كاهل والأمارأر والبشارين والعبابدة والكميلاب . وهناك من الباحثين من يرى أن مقرهم الأصلي كان فى كردفان . ثم رحلوا من هناك فى سنوات عظم فيها الجفاف إلى موطنهم الحالى على ضفاف النيل . ولما كان أجدادهم عربا رحلا فإنه ظلت فئة منهم على عهدها بالرعي وحياة البداوة بينما استقرت فئات أخرى واحترفت الزراعة على النيل . أما الرحل فقد استمرأت هذه الطائفة عيشة البادية فرحلت إلى كردفان وراء المرعى ولكن استمرت العلاقات القبلية والاجتماعية بينهما حتى هذا العهد .

ومع أن المناصير يرون أن نسبهم يرجع إلى جهينة إلا أنهم فى نفس الوقت يرون أنهم من بني كاهل . ورغم هذا التضارب فى النسب فإننا نرى

أن هذا التضارب لا يعدو أن يكون بسبب المصاهرات والمشاركة فى المسكن والإقامة مع أبناء جهينة الذين كانوا الفئة الغالبة ، كما أننا نرى أن المناصير كانوا يشكلون حلفا مع جهينة فغلب عليهم النسب الجهني على أصلهم الكاهلي .

جهينةوالشايقية

يروي النسابون أن الشايقية هم أبناء شايق أحد أشقاء غانم الجعلي أحد زعماء الجعليين ، كما يروون بأن غانما هذا رحل بعدد من رجال القبيلة إلى شمالي السودان حتى احتلت جماعته المناطق التى يعيش فيها الشايقية الآن والتى تمتد لحوالي مائتي كيلو متر على ضفتي نهر النيل من الشلال الرابع إلى وادي الملك .

ولا يعرف على وجه التحديد مدى الصلة بين قبيلة الشايقية السودانية والشايجية أو الشايقية الموجودين فى بعض أجزاء الجزيرة العربية ودول الخليج . ومن الصعب استبعاد صلة تمت فيها أصولها إلى هؤلاء العرب الشايقية الذين ما زالوا يعيشون حتى الآن فى الجزيرة العربية . ولعل اسم شايق هذا كان اسما ميمون الطالع يتكرر فى الأسر من حين لآخر فلما ذهب

فرع من قبيلة الشايقية العربية إلى الأراضى السودانية ظهر الاسم مرة أخرى ، وانبثقت عنه قبيلة الشايقية . والثابت لدى هذه القبيلة أن أصولهم عربية وأن قلة سمرة بشرتهم إنما تعود إلى قلة اختلاطهم بالوطنيين الأصليين فى السودان . ويرجع نسب جدهم شايق إلى آبائه حميدان بن صبح الشهير بأبي مرخة بن مسمار بن سرار . وقد رزق سرار بأربعة أولاد أسماهم سمرة وسمير ورباط ومسمار . أما سمرة فقد أنجب (بدير) وهو جد البديرية ، وسمير لم يعقب ، ورباط جد الرباطاب ، ومسمار ولد له حميدان الذى أنجب ابنه (غانم) الذى كانت من ذريته قبيلة الجعليين ، وشايق الذى هو جد الشايقية . وهكذا تظهر القرابة الأسرية بين هذه القبائل المتفرعة من أصل واحد ، والتى قامت بينها الحروب فيما بعد خاصة بين الشايقية والجعليين .

ورزق شايق بعشرة أبناء هم سوار وحوش وعون وسلوف وباعوض وقريش ونافع ومريس وسالم وكدنجا . ثم ما لبثت ذريات هؤلاء أن انقسمت إلى عدة بطون وأفخاذ كما هي عادة القبائل العربية .

وقد شكك بعض الباحثين الغربيين فى أصل الشايقية ، ولم يقبلوا الفكرة السائدة لدى المجتمع الشايقي والسوداني بأنهم عرب ، فنراهم يقولون بأنهم ربما كانوا طائفة من البجة الرحل الذين استقروا فى ضفاف النيل من جبل ديقا حتى الشلال الرابع ، وأنهم ظهروا فى الوجود بمكانة عظيمة فى القرن السابع عشر . وكان الشايقية فى أول الأمر عند ضعفهم قد دخلوا فى الحلف السنارى لسلطنة الفونج ، ولكن فى حوالي سنة ١٦٠٠ م ثار زعيمهم الشيخ عثمان وَدْ حمد (وَلد حمد) على الفونج وهزمهم ، واستقل بزعامته وأخذ عهدا بأن يحترم الفونج سيادته على إقليمه ، ووافق الفونج رغما منهم على ذلك لبعد الشقة بينهم وبين

الشايقية وعدم قدرتهم على إخماد ثورتهم وبسط نفوذ السلطنة عليهم . ووفد عليهم فى أوائل القرن التاسع عشر جماعات من المماليك الذين هربوا من وجه محمد علي باشا فى مصر ، وأوقعوا فى أول الأمر بالشايقية وذلك بقتل زعيمهم المضياف غدرا وخيانة . ولكن الشايقية وقفوا وقفة صامدة ضدهم . ولما جاء جيش إسماعيل بن محمد علي باشا إلى السودان لاحتلاله فى عام ١٨٢٠ وقف الشايقية ضد جيشه الغازى وقاوموه ، ولكن ما لبثت البنادق والمدافع والكثرة المدربة أن أوقعت بهم هزيمة لم يتوقعوها بعد كفاح مرير أصبح مثلا يضرب فى السودان . والشايقية يتحدثون بلهجة عربية لها نغمتها العربية الأصيلة ، وتحتاج إلى دراسة بالمقارنة مع لهجات القبائل العربية المعروفة فى البلاد العربية الأخرى ، كما أن شعرهم العامي له مميزاته ، وحبذا لو جمع قديمه مع أغانيهم حتى يجد الباحثون مزيدا من المعلومات عن هذه القبيلة العربية . [٢٩]

العدنانية وذبيان أو الضباينة

قبيلة الضباينة بالجمع من القبائل العربية السودانية ، والمفرد منها هو ضبيانى ، وهذه القبيلة تسكن فى أرض البطانة بالسودان ، ويُرجع النسابون نسبها إلى جهينة . ومما يلاحظ فإنه لا يوجد هذا الاسم فى القبائل العربية

[٢٩] انظر حديثنا عن قبيلة سعد العشيرة .

سواء أكان ذلك فى الجزيرة العربية أو فى القطر الشقيق مصر إذ لم يشر المؤرخون العرب إلى مثل هذا الاسم . وأغلب الظن أن هذا الاسم دخل عليه بعض التحريف فى السودان بسبب لهجات القبائل العربية التى دخلت فيه ، ومن بين التغييرات والتبديلات التى عرفت فى اللهجات العربية التى دخلت السودان قلب حرف الذال إلى ضاد . فيقول بعض السودانيين للذبان " الضبان " ، وللأذنين " إضنين " ، كما جاء فى قول الشاعر الحمرانى المحلّق صاحب تاجوج

" الضنب والإضنين كرامة "

أى " الذنّب والأذنين كرامة " وهذا هو النطق الأغلب فى السودان على لهذين اللفظين ، وكذلك كذاب ، فيقال " كضّاب وكِضِبْ " ولهذا فإننى أميل إلى الاعتقاد بأن الضباينة ليسوا من جهينة ، ومعذرة إن كنت أخطأت، ولكنهم قد يكونون من ذبيان [٣٠] ، وهم لذلك قسم من القبائل العدنانية ، كما أنهم الفرع الرئيسي لقبيلة فزارة ، وهذه القبيلة هى التى ذكرها زهير أبن أبي سلمى فى معلقته :

تداركتما عبسا وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

---

[٣٠] / يقول أستاذنا العلامة الراحل الشيخ عبد الله عبد الرحمن فى كتابه الذى سبق به زمانه " العروبة فى السودان " صفحة (١١) بأنه يعتقد " بأن الضباينة محرفة من ذبيان لأن الذال تبدل ضادا فى لساننا كثيرا " وفي اللهجة السودانية لا تقلب كل ذال إلى ضاد ، ولكن في بعض الكلمات ، ولعله كانت لذلك القلب قاعدة ولكننى لم أكتشفها .

وقد رحلت ذبيان هذه إلى شرقى الأراضي السودانية حيث استقر بهم المقام .

أما لماذا آثر الضباينة أن يرجعوا نسبهم إلى جهينة ، فهذا مالا أستطيع التكهن به ، ولكن ربما تغلب هذا الانتساب بحكم الجوار أو المصاهرة . ومما يعرف عن هذه القبيلة أنها كانت تشكل عددا كبيرا من الناس قبل الثورة المهدية إذ كان يقدر عددهم بخمسين ألفا ولكن ظروف الثورة المهدية والجهاد خفض من أعدادهم كثيرا . كذلك فإنهم كانوا ذوي قوة ومنعة فى حوالى سنة ١٧٧٢م عندما زار جيمس بروس مملكة سنار ، والتقى بهؤلاء الضباينة فى الحدود الحبشية السودانية ، ووجدهم يشكلون تهديدا لقبيلة جهينة ، كما كانوا يغيرون على أراضيهم . وكانت لهم كتائب من الفرسان يهددون بها أهالي تلك المناطق ، كما أنهم كانوا لا يدينون بالولاء لسلطان الفونج . وكان من جراء غاراتهم المتكررة على جهينة أن أصابوا البلاد بالقحط ، وجعلوها يبابا متصحرة كما ذكر ذلك جيمس بروس .

يقول بروس [٣١] بأن الضباينة كانوا يسكنون منطقة سمسم ، وهى عبارة عن ينبوع يمثل حوضا كبيرا قام العرب بحفره بعمق ثلاثين قدما تقريبا . ويقع هذا الحوض أو البركة (الفولة) غرب نهر الرهد أو ربما قليلا نحو الجنوب الغربي ، وهو فى صحراء رملية فى الطريق الذى يمتد بشكل مستقيم بين (بيلا) وسنار . وفى هذا المكان احتفظ الضباينة بقطعانهم بمنأى عن الذباب وجيوش ملك سنار ، وهما العدوان اللذان يخشاهما الضباينة أكثر من أى شئ آخر . ولما كان هذا الموقع قريبا من رأس الفيل ، فإنه

---

[٣١] / جيمس بروس : ج ٥ ص ٦٤

كانت لهم هناك سوق يجدون فيها كميات كبيرة من المؤن بأنواعها ، كما يجدون أكثر ما يحتاجون إليه من سلع .

ويضيف بروس بأن العلاقات بين جهينة والضباينة لم تكن ودية ، وأنه كان للضباينة اليد العليا على جهينة ، وأنهم كانوا يغيرون على قراهم ، ويحرقون زراعتهم ، ويحصدون غلتهم عنوة . ولكنه لم يذكر شيئا عن أنهما يرجعان إلى أصل واحد . ويبدو أن الصراع الذى كان على أشده بينهما لم يجعله يفكر فى الخوض فى مدى انتمائهما لأصل واحد .

ولما كان خطر الضباينة كبيرا على المنطقة ، ويؤكد هذا الأمر بروس أيضا حين يتحدث عن الكيفية التى كانت فيها قبيلة الضباينة ذات أثر على موقف جهينة إذ يذكر بأن عرب جهينة كانت قد حطمتهم كليا فرق الصيد الضباينية إذ كانوا أكثر الناس ضررا فى البلاد ، ويمثلون طبقة مستبدة فيها . وقد كانوا السبب الرئيسي فى جعل المنطقة جرداء تفتقر إلى الأمن والزراعة والرخاء .

ثم يمضى بروس فى حديثه قائلا بأن نهر الرهد كان مليئا بالقرى الآهلة بالسكان [٣٢] ، ولكن إغارات الضباينة المتكررة جعلتها قاعا صفصفا خالية من السكان والحيوان . ولم يستطع الأهالي مقاومة هذه القبيلة أو صد عدوانها .

ويبدو أن بروس استطاع أن يكتسب صداقة الضباينة ، ولذلك فقد أمن طريق سيره إلى سنار بعد أن عبر أراضي جهينة ومن معها من قبائل حتى وصل إلى سنار عاصمة سلطنة الفونج (الفنج) .

---

[٣٢] / بروس – جزءه ص ٧٩

قيس عيلان

تنتسب قيس عيلان إلى مضر بن نزار ، فهم قيس بن مضر . وقيل إن عيلان الذى أضيف إليه قيس هو كلبه ، وفى رواية أخرى قيل إنها فرسه . وأصبحت الكلمتان مقترنتين بعضهما ببعض بعد ذلك . ويذكر رواة العرب بطونا كثيرة لقيس عيلان حتى إن اسمها غلب على مضر والعدنانية أو أصبح مساويا لهما . وكثيرا ما نجد فى كتب مؤرخي العرب الأقدمين أنهم يذكرون القيسية فى مقابل اليمنية فى معرض حديثهم عن التنافس بين بني عدنان وبني قحطان فى العهد الأموي .

وكان الخلفاء الأمويون كثيرا ما يستغلون التنافس العنصرى بين اليمنيين والقيسيين ، كما كان يزيد بن معاوية يقرب اليمنيين إليه لأن أمه منهم ، وبذلك تأججت نيران الحزبية فى عصرهم .

وكان ولاة الأمويين حين يعينون فى أي مصر من الأمصار يذهبون بأعداد كبيرة بقدر المستطاع من رجال قبيلتهم ليكونوا فى قوة ومنعة فى البلاد التى يذهبون إليها .

وفى أيام الخليفة هشام بن عبد الملك هاجرت بطون كثيرة من قيس عيلان إلى الشام ومصر [٣٣] . لذلك فإننا نجد فى مصر بعض هذه القبيلة بجانب مضر وربيعة خاصة فى الصعيد حين ظهر التبر فى أرض البجة . بيد أنه تخلفت فى سوريا وفلسطين كثير من بطون قيس عيلان ومضر أيضا

---

[٣٣] / جرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى ج ٤/ص ٦٨

ولكن مع ذلك رحلت جماعات منها إلى مصر . وفى ولاية عبيد الله بن الحبحاب رحلت بيوت كثيرة منها إلى مصر بعد أن استأذن عبيد الله من هشام ليسمح لهم بالرحيل إلى هناك ليجدوا متسعا من الرزق من ناحية . ولكى يكون لديه تأييد قوي بوجودهم معه . وتنتمي إلى قيس عيلان بطون كبيرة استقلت بأسمائها عن الأصل الرئيسي ، ومن هذه البطون غطفان وعدوان وسليم وهلال وجشم وهوازن . ورحلت بطن منها كثيرة إلى وادى النيل حيث استقرت أولا فى مصر ثم رحلت من هناك إلى السودان.

بيد أننا الآن نعنى بقيس عيلان الفرع الأصلي الذى سبق وأن التقينا به فى صعيد مصر أيام العمرى حوالى سنة ٢٥٥هـ / ٨٦٨م .

ولا يعرف بالضبط موعد أول هجرة قامت بها قيس عيلان إلى وادي النيل ، ولكن من المعروف أن جماعة منهم جاءت من أعالي نجد بعد أن أحضرهم عبيد الله بن الحبحاب سنة ١٠٩هـ / ٧٢٧م . وكان عبيد الله قد جمع فى أول أمره حوالى مائة أسرة من قيس وأعطاهم أراضي فى بلبيس فى الجانب الجنوبي الشرقي من الدلتا ، وأحضروا جمالا واشتروا مزيدا منها كما تملكوا الخيل ، واشتغلوا بالنقل البري بين الشاطئ البحري والداخل . ونجحوا فى ذلك العمل نجاحا عظيما ، وظهرت عليهم آثار النعمة . ثم ما لبث أن جاءت حوالي خمسمائة عائلة أخرى من قيس انضمت إلى من سبقها فى مصر ، وكونوا جماعة كبيرة فى ذلك الوقت .

وبحلول عام ١٣٣هـ / ٧٥٠م كانت هناك جماعات من قيس عيلان قد استوطنت مصر ، واستقرت كلها فى بلبيس وأصبح تعدادها حوالى ثلاثة آلاف نسمة . وكان من المتوقع أن يكون هذا النفر من المسلمين عونا للوالي (خاصة إن كان قيسيا) على من يثور من رعاياه عليه فى مصر كمثل تلك

الثورة التى قام بها الأقباط بعد مضي أكثر من نصف قرن من وفاة عمرو بن العاص ٤٤هـ / ٦٦٤م أي أنها حدثت فى سنة ١٠٤هـ الموافق ٧٢٢م . بيد أن قيس عيلان كانت وبالا على ولاة مصر إذ أنها كانت مصدر ثورات عارمة ضد أمراء مصر فيما بعد .

ومنذ سنة ٢٠٤هـ / ٨١٩م كانت كثير من بطون قيس عيلان قد نزلت فى قفط وقوص وأسوان وأنحاء الصعيد الأعلى . وكان من أبرز زعمائهم رجل يقال له حكم النابغي القيسي . وفي تلك السنة هجم البجة على قفط ، وسبوا منها سبعمائة نسمة ، وقتلوا منها خلقا كثيرا ، ولم يجدوا من يصدهم عن عملهم ذاك . كما أن والي مصر كان مشغولا ببعض شأنه . واستمر تحكم البجة فى ذلك الإقليم ، وذهبت شكاوى الأهالي من أعمال البجة أدراج الرياح لمدة سبع سنوات . فلما رأى الناس انصراف الوالى عن أمورهم ، وعدم الإصغاء إلى شكواهم ، أو تلبية مظلمتهم . لجأوا إلى حكم النابغي " وكان ذا بأس وخير وجهاد " . فتولى الحكم مسئولية البجة وغاراتهم المتوالية ، وجمع الرجال ، وسانده شيوخ البلد والقاضي ، وتعقب البجة سنة اثنتي عشرة ومائتين ، ووصل إلى قفط بجيش مكون من خمسمائة فارس وخمسمائة راجل ، وغزا البجة ، وتوغل فى أراضيهم وهو يلاحقهم لمدة ثلاث سنوات ؛ واستطاع فى آخر الأمر أن يرهق البجة ويسترد منهم السبي .[٣٤]

وفى سنة ٢٥٥هـ / ٨٦٨م عندما كان العمري يحارب النوبة والبجة فى صعيد مصر ، كانت قيس عيلان من بين القبائل التى حاول استمالتها لتحارب معه النوبة والبجة وربيعة ، غير أن كل القبائل العربية

---

[٣٤] ابن حوقل : صورة الأرض ص ٥٦-٥٧

هناك انفضت من حوله بما فى ذلك قيس عيلان التى فعلت ما فعلته مضر إذ وقفت بعيدا عنه خاصة بعدما أفنى سعد العشيرة . ولما انتهى عهد التنقيب عن الذهب فى وادي العلاقي لم يعد المؤرخون يذكرون شيئا عن قيس عيلان ، ويبدو أنها ذاقت الأمرين على يد ولاة مصر من غير العرب سواء بدر الجمالي أو توران شاه أو المماليك . ولعلها هاجرت إلى صحراء عيذاب أولا ومن هناك إلى داخل الأراضي السودانية مع مضر وجهينة وغيرهما . ولم نعد نسمع بعد ذلك عن بطون من هذه القبيلة وسط ذلك الخضم الذى ترك مصر إلى الديار السودانية ، كما أنها بكل تأكيد لم تكن قد رجعت إلى الجزيرة العربية ، بل أغلب الظن أنها هناك مع حلف من الأحلاف فى غرب السودان كالبقارة والكبابيش .

بلي وبهدور

يرجع زعماء هذه القبيلة إلى قبيلة بليّ أو البلو التى كانت تشكل البيت المالك للبجة منذ أقدم العصور . ويسكن البهدور فى ميناء العقيق وما حولها ، وقد سميت هذه الميناء بالعقيق أسوة بالعقيق الموجودة على ساحل البحر الأحمر الشرقي . وتتحدث هذه القبيلة باللغة البنى عامرية أسوة بأغلبية قبائل بنى عامر .

سعـــــد العشيرة

والشايقية

سعد العشيرة من القبائل الشـامية اليمنيـة التـى نزحـت عـن طريـق مصر إلىشمال شرقي السودان أولا . ولقد واشتركت مع غيرها مـن القبـائل العربية التى كانت تعمل في مناجم الذهب . ويقول المقريزي فىكتابه المقفّى بأنه كثرت العمارة في البجة بقبيلة سعد العشيرة وجهينة . وذكر بأنه " كـان على الشاميين رجل من سعد العشيرة " مما يشير إلى أنه كان هنـاك عـدد من قبـائل الشـام إلا أنه لم يذكرهـا ، كمـا أنه لم يذكـر اسـم ذلـك الزعيـم السَّعْشَرِي مع أنه ذكر أن زعيم جهينة كان يدعى عثمان بن سعدان . وكان ذلك في أيام العمـري حـوالى سـنة ٢٥٥هـ / ٨٦٨ م حـين بلـغ العمـل في المناجم أوَجه . ولمـا كـثرت القبـائل " وقـع بـين المسـلمين المنافسـة والمنازعـة والحروب " على حد قول المقريزي .

وبنو سعد العشيرة حي من كهلان من القحطانية [٣٥]، وهم بنو سـعد العشيرة بن مالك .

ويقول ابن خلدون بأن " سعد العشيرة بلـغ ولـده وولـد ولـده مائة رجل يركبون معه ، فكان إذا سئل عنهم يقول هؤلاء عشيرتى وقاية لهـم مـن العين " .

كانت قبيلة سعد العشيرة من بين القبـائل العربيـة التـى هـاجرت الى مصر وتوغلت في أراضيها حتى وصلت إلى الصعيد الأعلى في عام ٢٤١هـ

---

[٣٥] القلقشندى : نهاية الأرب . ص ٢٩٠

/ ٨٥٥م . وكانت تلك السنة وما بعدها ، من الفترات الساخنة في تاريخ صعيد مصر ، وأرض النوبة ، وبلاد البجة إذ ظهر في تلك الفترة التبر في وادي العلاقي من أرض البجة ، وكثر طلاب هذا المعدن ، وشدت كثير من القبائل العربية الرحال واستقروا في ذلك الوادي ، كلّ في موقع انفرد بتعدينه . وفي تلك السنة نشبت الحرب بين المسلمين بقيادة محمد بن عبد الله القمي وملك البجة على بابا ، وانتهت تلك الحرب بصلح حصل المسلمون بمقتضاه على حق التعدين في أرض البجة . وفي تلك الفترة أيضا وصل عبد الله بن عبد الحميد بن عبد الله الناسك بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب (ض) العمري العدوي القرشي إلى مصر . وكان وصوله فاتحة عهد لحروب دامية بينه وبين البجة ، وبينه وبين النوبة ، ثم أخيرا بينه وبين بعض القبائل العربية التى كانت قد استوطنت ما وراء الصعيد . و وصل العمري إلى أسوان ، وكان غرضه التجارة . وهناك اتصل بشيوخ المدينة وجاراهم العلم . وكان عالما فقيها أديبا شاعراً . ثم وجد أن الإقبال على استخراج الذهب من وادي العلاقي كبير ، فشارك المسلمين في طلبه واستخراجه . والتحق بعشائر من قبيلة مضر العدنانية التى تنتمي إليها قريش ، وانضم إليهم . وحدث أثناء مكثه مع مضر أن قتل أحد رجال بني ربيعة العدنانية التى هاجرت من نجد قبيل تلك السنة أحد المضريين . فاجتمع الفريقان ، مضر وربيعة ، وأقيد القاتل ، وسلم إلى ولي المقتول ، وتم ذلك دون إشراك العمري في الأمر . فغضب على مضر عندما علم بهذا الصلح ، وثارت ثائرته لأنهم قضوا أمرا كهذا دون أن يشركوه فيه أو يأخذوا رأيه . فاعتذروا له بأنه لم يدر بخلدهم أنه يريد أن يقحم نفسه معهم في أمور كتلك. أما وقد كان يريد أن يكون طرفا في المسائل هذه ، فإنهم أبدوا استعدادهم

على قبول مشاركته وتدخله ، وأقسموا له بأنهم لن يقضوا أمرا دون مشورته . فلما أقسموا له على ذلك طلب منهم أن يجعلوا أيمانهم تلك عقد بيعة له . فلما بايعوه أمرهم بحمل السلاح والخروج إلى ربيعة لمقاتلتها .

ولكن لم تلن قناة ربيعة تلك الحرب التى شنها عليهم مع مضر ، ولم يفز منهم بطائل ، فتوقف عن القتال ، وانشغل بالعمل في استخراج الذهب في موقع بعيد عن أسوان يعرف بالشنكة من نواحي شنقير . وكان هذا الوادي أحد فروع وادي العلاقي ، وكان يصل الى منطقة قريبة من مدينة " أبو حمد" التى تقع على منعرج النيل في شماله . وأدى وصوله إلى تلك المنطقة إلى البحث عن مياه للشرب إذ كانت المنطقة نائية عن أماكن الآبار ، والماء هناك غالي الثمن . فشاهد وهو هناك " طيور الشطوط " فعرف أنه قريب من مورد الماء . لهذا فإنه أرسل بعض رجاله للبحث عن الماء في تلك الجهة ، وخرج ورّاده وراء الطيور ، وعادوا إليه في يومهم ذاك ، ومعهم الماء مما يدل على أن العمري قد ذهب بعيدا في داخل الأراضي البجاوية التى كانت ملاصقة لأرض النوبة ، وأنه وصل إلى موقع مدينة أبو حمد على النيل .

أدى وصول العمري إلى منطقة (أبو حمد) إلى سلسلة من الحروب مع النوبة الذين ربما خافوا أن يهاجمهم المسلمون من خلفهم ومن أمامهم . واستعرت الحرب بين العمري ومملكة النوبة . وفي تلك الحرب كان من بين جنود العمري ، رجال قبيلة سعد العشيرة الشامية اليمنية . وكانت حليفا للعمري ومعها بعض القبائل العربية العدنانية كمضر وقيس عيلان . وفي خلال تلك المعارك التى كانت مستعرة بين العمري وحلفائه من جهة ؛ وبين النوبة من جهة أخرى ، شعرت قبيلة سعد العشيرة بأن العمري كان يمالىء قيس عيلان وينحاز إليها ، فوقع شئ من الشعور بالغبن فى صدور رجالها ،

وأظهر الشاميون بغضهم لسياسة العمري نحوهم وتفضيله قيس عيلان عليهم .

فانتهز الأمير زكريا بن الملك النوبي جورج هذه الفرصة . وكان هو القائد النوبي الذي أوفده أبوه لمحاربة العمري . وكان لزكريا جواسيس (ربما من رقيق النوبة الذين كانوا للعمري) في جيش العمري . فأعلموه بسوء التفاهم الذى نشأ بين العمري وسعد العشيرة ، وتذمرهم من سياسته. فأرسل إليهم رسولا يخبرهم بأنه سيقطعهم بعض الإقطاعات فى منطقة مريس جنوبي أسوان إن هم تركوا العمري ؛ كما وعدهم بإعادة كل الأموال التى غنمها منهم أثناء حربه وهزيمته للعمري . فقبل رجال سعد العشيرة بتلك العروض ، وقرروا التخلي عن العمري . وبالفعل استجابت قبيلة سعد العشيرة لعرض زكريا الذي نفذ ما قطعه على نفسه ، وأعطاهم الإقطاعات التى وعدهم بها فى نواحي ديدان وأدوى والواقعة فى مريس بين أسوان والشلال الأول . ويبدو أن العمري كان آنذاك بالقرب من تلك الجهات بعيدا عن موقع عمله فى تعدين الذهب بالشنكة قرب شنقير الواقعة بالقرب من (أبو حمد) . فلما رأى خروج سعد العشيرة عليه ، وقبولهم بعرض الأمير زكريا النوبي ، شعر بحرج موقفه ، فقرر الدخول فى أرض المعدن بوادي العلاقي . وبالفعل بدأ رحيله إلى هناك حيث وصل إلى موضع يبعد نحو ثلاث مراحل من النيل [٣٦] . وربما كان هذا يعني أنه ربما وصل إلى منطقة أبعد شمالا بعض الشئ من (أبو حمد) مما كان عليه فى السابق وذلك بمقدار مرحلتين . فلما وصل هذا الموقع البعيد عن متناول النوبة أرسل رسله إلى سعد العشيرة يدعوهم إلى المصالحة . ويذكر المقريزي بأن العمري خاف من

---

[٣٦] المقريزي : المقفى

التفاهم السعشري النوبي وأنه لذلك " سار إلى معدن على ثلاث مراحل من النيل ، وعمل أصحابه المعدن وخرجت سراياهم فضربت بلد النوبة "

قبل الشاميون دعوة العمري لهم بالمصالحة ، " فأقبلوا إليه " وركب إليهم العمري في رجاله ، وكأنه يريد أن يستقبلهم استقبالا رسميا ، فلما التقى الركبان ، هجم العمري برجاله على موكب سعد العشيرة ، وفاجأهم بذلك الهجوم ، وأوقع بهم ، وقتل منهم ألفا وخمسمائة رجل [٣٧] ؛ ثم قبض على من بقي منهم حيا فقطع أيديهم وأرجلهم ، وتركهم حتى ماتوا على حد قول المقريزي .

ثم يقص علينا المقريزي ما يفهم منه أن العمري عاد بعد ذلك إلى النيل على مقربة من أسوان ليدخل في معارك مع سلطة ابن طولون في صعيد مصر .

لم تكن تلك المقتلة التي فاجأ العمري بها أبناء سعد العشيرة قد قضت عليهم وعلى وجودهم نهائيا في ما وراء صعيد مصر إذ أننا نجد في عام ٢٥٦هـ / ٨٦٩م قبيلة سعد العشيرة قد ظهرت مرة ثانية في أرض المعدن بعد ما أصابهم على يد العمري ، وظهورهم هذا قد يدل على أن من قتل منهم على يد العمري كان نحو مائة وخمسين شخصا كما أورد يوسف فضل ، وليس كما ذكر المقريزي ، لأن العدد الذي ذكره المقريزي ومن قطعت أيديهم وأرجلهم يكفي لإفناء كافة رجال سعد العشيرة . فلما وصل العمري إلى أرض المعدن بعد ذلك وجد أعداءه من قبيلة ربيعة . وكان يتزعم ربيعة زعماء منهم أشهب بن ربيعة بن حنيفة . وكان على مذهب

---

[٣٧] يذكر المقريزي في المقفّى بأن من قتل من سعد العشيرة كان ألفا وخمسمائة رجل . ويذكر يوسف فضل حسن بأن الذين قتلوا كانوا مائة وخمسين رجلا ، انظر ص ٥٣ .

الشيعة . وربما كان هذا من أهم الأسباب التى جعلت العمري يشعر بعداوة نحوه بسبب الخصومات المذهبية في تاريخ المسلمين . وكان مع ربيعة في أرض المعدن قبائل عربية أخرى من أعداء العمري منهم قبيلة سعد العشيرة . وكان مع هذه القبيلة بعض القبائل الشامية الأخرى ؛ وكان على زعامتهم أحد رجال سعد العشيرة . وبالاضافة إلى هذه القبيلة كانت هناك جهينة وتميم وهلال ومضر وغيرهم من القبائل العدنانية والقحطانية .

بقيت سعد العشيرة تعمل في أرض المعدن في تلك السنة التي قتل فيها العمري على يد محمد بن هرون المضري ، وكان أحد رؤساء مضر ولكنه غضب على العمري فاغتاله ، وتفرقت جموع العمري . وكانت قد قامت حروب كثيرة بين العمري وربيعة والبجة أصهارهم ، وحاول العمري أن يشرك معه كحلفاء كلا من مضر وبني تميم وبني هلال وجهينة ، ولكنه لم يفلح . ولم يصل إلينا مايفيد عن علاقته بسعد العشيرة بعد ذلك وهم في أرض المعدن . ويبدو أنهم خلدوا أيضا إلى الهدوء ، وأخذوا يعملون في مناجم الذهب التى احتكروها لأنفسهم عندما كانوا مع العمري في الشنكة قرب مدينة أبو حمد . وهناك استمر نشاطهم التعديني حتى نضب الذهب . وكانوا هناك بطبيعة الحال يذهبون إلى موقع أبو حمد لجلب المياه للشرب [٣٨] أثناء استقرارهم في موضع مناجمهم . ولابد أنهم مع مرور الأيام قد أخذوا يعرفون تلك النواحي ، ويتاجرون معها ، ويجلبون منها مئونتهم وهي لا تبعد عن موضع الذهب سوى مسيرة يوم واحد .

---

[٣٨] يذكر المقريزي أن العمري كان يبحث عن مياه للشرب ، ولكن ربما كان أيضا في حاجة إلى الماء لتصفية الذهب من الرمال لأن الطريقة المتبعة آنذاك كانت تعتمد على المياه لفرز الذهب من الرمال .

بحلول القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي حوالي سنة (٧١١هـ ١٣١١م) أخذ ذهب وادي العلاقي في النضوب . وبعد أن كان الذين يعملون في استخراجه أعدادا كبيرة . أخذت أعدادهم في التناقص شيئا فشيئا . وقد وصف وكيل زعيم الحداربة الذي كان يمثل ملك البجة واسمه أبو الحسن علي في تلك السنة أن العرب أخذوا في التخلي عن التعدين في وادي العلاقي ، وأن هناك سببين لتلك السياسة أولهما الخوف من هجمات أعراب البادية الذين كانوا يسكنون في تلك النواحي ؛ والثاني هو أن تكاليف استخراج الذهب من تلك المناجم قد أصبح أكثر من قيمة ما يدره الذهب المستخرج بكثير . وهكذا فقد أصبح التعدين بدون فائدة . ومن ثم فقد أخذت جموع القبائل العربية التى كانت تكتظ في ذلك المكان قد طفقت تهجره أفرادا وجماعات ، وتفرقت جموعها أيدي سبأ ، وتركوا المكان قفرا من كل شئ ، وهبت على رمال الوادي رياح الصحراء ، وعفت على آثار القوم الذين كانوا يعملون هناك ، وربما كان آخر العهد بذلك العمل هو حوالى عام ٧٤٢هـ / ١٣٤١م وذلك في أيام السلطان المملوكي محمد حسن بن قلاوون . [٣٩]

كان بنو سعد العشيرة ومن معهم من القبائل الشامية من بين تلك القبائل التى كان عليها أن تترك أرض المعدن وتبحث لها عن موطن آخر . ولم تكن المناطق التى تحت النوبة من أسوان إلى دنقلة بالمناطق المفتوحة التى يمكنها أن تلجأ إليها فى القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي لأنه بالإضافة إلى النوبة كان سلاطين المماليك في مصر يمنعون العربان من الاستقرار في تلك الجهات خوفا من الهجمات التى قد يشنونها على صعيد

[٣٩] يوسف فضل ص ٥٣ ، كذلك أندرو بول ص ٧٦ . تاريخ قبائل البجة .

مصر كلما سنحت لهم الفرصة . وكانت سعد العشيرة قد عرفت منطقة (أبو حمد) منذ أن ذهبت إلى الشنكة في أرض المعدن مع العمري في منتصف القرن الثالث الهجري .

هكذا نترك قبيلة سعد العشيرة في أطراف أرض المعدن القريبة من أبو حمد لنرجع إليها في الوقت المناسب .

الشايقية

يروي نسابو الشايقية أن الشايقية هم أبناء شايق أحد أشقاء غانم أحد جدود الجعليين وزعمائهم ؛ كما يروون بأن غانما هذا رحل بعدد من رجال القبيلة إلى شمالي السودان حتى احتلت جماعته المناطق التي يعيش فيها الشايقية الآن ، والتى تمتد حدودها لحوالي مائتي كيلو متر على ضفتي النيل من الشلال الرابع إلى وادي الملك .

ولا تعرف – على وجه التحديد الصلة بين قبيلة الشايقية السودانية والشايجية أو الشايقية الموجودين في بعض أجزاء الجزيرة العربية وخاصة دول الخليج . ومن الصعب استبعاد صلة تمتّ في أصولها إلى هؤلاء العرب الشايقية الذين ما زالوا يعيشون حتى الآن في الجزيرة العربية . ولعل اسم شايق هذا كان اسما ميمون الطالع يتكرر في الأسر من حين لآخر ، فلما ذهب فرع من عشيرة الشايقية العربية إلى الأراضي السودانية ظهر الاسم مرة أخرى ، وانبثقت عنه قبيلة الشايقية الكبيرة الموجودة في السودان الآن .

والثابت لدى هذه القبيلة أن أصولهم عربيـة ، وأن قلـة سمـرة بشـرة طوائـف منهم إنما تعود إلى قلة اختلاط مع الآخرين .

يرجع نسب الجد شايق إلى آبائه حميدان بن صبح الشهير بأبي مرخـة أبن مسمار بن سرار . وقد رزق سرار بأربعة أولاد أسماهم سمـرة ، وسمـير ، ورباط ، ومسمار . أما سمرة فقد أنجب (بديـر) وهـو جـد البديريـة ، وأمـا سمير فإنه لم يعقب ، واصبح رباط جـد الرباطـاب وهـم القبيلـة التـى تسـكن منطقة (أبو حمد) وربما كـان موقعهـا هـو الموضـع الـذى أحضـر وراد الميـاه للعمري الماء في منه يوم واحد . وأما مسمار فقد ولد له حميدان الذى أنجـب ابنه (غانم) الذى كانت من ذريته قبيلة الجعليين ، (وشايق) الذي هو جـد الشايقية . وهكذا تظهر القرابة الأسرية بين هذه القبـائل المتفرعـة مـن أصـل واحد ، والتى قامت بينها المنازعات فيما بعد خاصة بين الشايقية والجعليين .

رزق شايق بعشرة أبناء هـم سـوار ، وحـوش ، وعـون ، وسـلوف ، وباعوض ، وقريش ، ونافع ، ومريس ، وسـالم ، وكدنجا . وربمـا كـان هـذا الاسم الأخير غير العربي من الأسماء المنتشرة بين أهالي المنطقـة السـابقين ، أو ربما كانت أمه من أهل البلاد الأصليين ، وكان هذا الاسم مما يطلقونـه علـى الأولاد . ثـم مـا لبثـت ذريـات هـؤلاء الأبنـاء أن انقسـمت إلى عـدة بطـون وافخاذ كما هي عادة القبائل العربية .

وقـد شـكك بعـض البـاحثين الغربيـين في أصـل الشـايقية ولم يقبلـوا النظريـة السـائدة لـدى المجتمـع الشـايقي والسـوداني عامة بـأنهم عـرب . ويتحدث كروفورد صاحب كتاب مملكة الفونـج في سـنار عـن هـذه القبيلـة قائلا بأن قبيلة الشايقية لها خواصها الواضحة مع أصول غامضة . ثم يضيـف قائلا بأنهم حتي منتصف القرن التاسع عشـر فـإن معظمهـم كـان يتكلـم

اللغة العربية ، ولكنهم هم وجيرانهم المناصير والرباطاب كانوا يتكلون أيضا بلهجة كلهجة البرابرة ، وكانت تلك اللهجة تشبه اللغة المحسية إلى حد بعيد . وأدى هذا إلى ان يرى ماكمايكل بأن هؤلاء الشايقية لا بد وأن يكونوا من نسل البشناق أي البوسنة والهرسك (كما يطلق عليهم حاليا) ومن كان معهم من ألبانيين وأتراك منذ احتلال السلطان سليم الفاتح لمصر عام ١٥١٧هـ . وكان هؤلاء الناس يقومون بحراسة قلاع الحدود ، ثم إنهم أقاموا لهم أماكن استقرار في بلاد النوبة . ويعترض كروفورد على هذه النظرية بحجة أن السلطان سليم لم يحدث أن احتل تلك الجهات أو وضع فيها حاميات . كما أن الحاميات التركية التي كانت تراقب الحدود بين الشلال الأول والشلال الثالث لم يحدث أن أنجبت شعبا له خواص الشايقية ، وإنما كانوا كما قال كايو الرحالة الفرنسي أقواما من سكان القلاع ، وأننا عندما نعرف الكثير عن تلك القلاع فإننا سنعرف أشياء أكثر عن الشايقية . كما أن الآركيولوجين تجاهلوا القيام بأي بحوث علمية عن الشايقية . وعلى هذا الاساس فقد رفض كثير من هؤلاء الباحثين فكرة إرجاع الشايقية إلى جدود من عناصر الجيش التركي .

وكان من بين الذين تحدثوا عن أصل الشايقية ، وأدلوا بما توصلوا إليه من استنتاجات الرحالة الألماني فيرن الذى قام برحلة إلى السودان خلال السنوات ١٨٤٠ - ١٨٤١ ؛ وقد ذكر فيرن بأنه يعتقد بأن الشايقية هم من نسل محاربي قدماء المصريين ، أو ربما كانوا أبناء ثوار المصريين القدماء الذين أورد هيرودتس سيرتهم . وكان أولئك المحاربون القدماء قد أرسلوا من مصر لحراسة الحدود الجنوبية ضد الأمم السودانية التى كانت تهاجم مصر من الجنوب . واستوطن هؤلاء الجند أو الثوار المنطقة التي يسكنها

الشايقية الآن ، وهي المنطقة الزراعية الخصبة الواقعة على النيل بين جبل داكا جنوبي دنقلة العجوز والشلال الرابع . ويضيف هيرودتس بأن عدد هؤلاء المستوطنين الثائرين أو المحاربين كان نحو مائتين واربعين ألف مقاتل . وكانت هجرتهم إلى الأراضي السودانية في عهد أبسميتك أحد فراعنة مصر. وتحدث عن هؤلاء الثوار المؤرخ بلينيوش سنة ٧٠م ، وقال بأنهم هربوا من أبسماتيك واستقروا في منطقة مروي الحالية .

وحاول فيرن تأييد نظريته هذه بأن أوضح قرب موقع بلاد الشايقية الحالية من موقع نبته عاصمة مملكة مروي القديمة ، كما تحدث عن النزعه العسكرية التى ما زال الشايقية يحتفظون بها ، إضافة إلى نزعتهم لعدم الخضوع إلى زعيم واحد أو ملك واحد إذ كانوا دائما تحت حكم عدد من صغار الملوك (مكوك) . ويرى فيرن أن الأسر الشايقية الحاكمة يشبهون طبقة السادة لدى قدماء المصريين . وكان هؤلاء لا يعترفون بسلطان أحد عليهم غير سلطان ملوك إثيوبيا . فلما انهارات الملكية الإثيوبية أصبحوا أمراء لهم استقلالهم ، واقتسموا السلطة أسوة بما حدث فيما بعد لقواد الإسكندر الأكبر بعد وفاته . ويلاحظ فيرن أن الشايقية لا يتركون شعر رأسهم مرسلا سابلا كما يفعل رجال القبائل العربية ، بل إنهم يقصرونه كما كان يفعل قدماء المصريين ، كما أنها تخالف طريقة النوبيين والعرب في تصفيف شعرهم[٤٠].

ومما تحدث به ماكمايكل لتأييد نظرية فيرن ما ذكره من أن الرحالة كايو الفرنسي شاهد الشايقية وقد أقاموا نصبا على هيئة إنسان وهو يشير نحو الجهات التى قاموا بغزوها . وأوضح بأن هذه عادة مقتبسة من الفراعنة

---

[٤٠] انظر كروفورد ، وماكمايكل وعبد المجيد عابدين ومحمد عوض .

الذين كانوا يقيمون تماثيل على مشارف حدود بلادهم للإشارة إلى فتوحاتهم التي قاموا بها .

كان من بين الذين تناولوا أصل الشايقية بالبحث ترمنجهام في كتابه الإسلام في السودان . وقد ذكر ترمنجهام بأنه من المحتمل أن يكون هؤلاء الشايقية من اصل بجاوي رحل إلى تلك المنطقة . وربما اعتمد ترمنجهام في رأيه هذا على ما ذكره المقريزي من أن بعض الزنافج وهم من رعايا زعماء البجة (الحدارب) رحلوا إلى مناطق على النيل ، وأصبحوا من رعايا ملوك النوبة بالرغم من أنهم احتفظوا بلغتهم البجاوية . وأبدى ترمنجهام ملاحظته في أن جميع أسماء العشائر الشايقية ينتهي بالمقطع (آب) وهو المقطع المأخوذ من لغة البجة[٤١] . واعترض عابدين على هذه النظرية لأنه يرى أن ورود المقطع (آب) لا ينهض دليلا على بجاوية الشايقية .

بالرغم من ذلك فإننا نرى أن هناك احتمالا كبيرا بأن في قبيلة الشايقية بعض الدماء البجاوية ، ونرى أن رحيل هؤلاء البجة في وقت سابق إلى منطقة شنقير قد يكون له أثره على الشايقية. وبالإضافة إلى ذلك فإن استقرار قبيلة سعد العشيرة ومن معها من قبائل شامية على مشارف (أبو حمد) ، وهي أرض بجاوية قد تُتيح الفرصة للسعشريين ليختلطوا بالبجة بالتزاوج والمصاهرة كما فعل من قبلهم أبناء ربيعة حين وصلوا إلى أرض المعدن .

ومما لاشك فيه أن المنطقة التى يسكنها الشايقية الآن ، كما حددناها كانت آهلة بالسكان طوال القرون الماضية ، وأنها كانت مسرحا لمدينة مروي وحضارة ملوكها البارزين . ولما كانت المنطقة تمتاز بخصوبتها

---

[٤١] عبد المجيد عابدين : قبائل من السودان . ص ٤

فإنها احتفظت بساكنيها على مر الأيام . ثم جاءت هجرة القبائل العربية إلى السودان عبر طرق مختلفة ، فرأى بعضهم الاستقرار مع أولئك السكان الأصليي ن واختلط بهم ، وأدخل اللغة العربية وبعض خصائص العرب عليهم ، ونتج عن ذلك شعب خليط هو الشايقية .

أما تلك القبيلة العربية التي نزحت إلى تلك المنطقة فإننا نرى أنها في أغلب الظن هي قبيلة سعد العشيرة وبعض القبائل الشامية اليمنية الأخرى التى كانت معها في أرض المعدن . ولا نستبعد أن يكون بين أولئك المهاجرين بعض من جهينة ؛ كما أننا نكاد نكون موقنين من أنه لم تكن معهم جماعة من قيس عيلان العدنانية التى دخلوا معها في منافسات أيام العمري . وهكذا وجدت سعد العشيرة لنفسها وطنا في الأراضي السودانية بعد عدة قرون من العمل الجاد في أرض المعدن البجاوية بحثا عن التبر بين رمال وادي العلاقي . وهذا يجعل أن من المحتمل حدا إن لم يكن مؤكدا أن في الشايقية بعض الدماء البجاوية التى اكتسبتها عن طريق العيش في وادي العلاقي وكمركز تجاري تمر به قوافل التجارة التاريخية من شنقير (ابو حمد) إلى سواكن وموانيء البحر الاحمر مثل سواكن القديم أي عيذاب .

أما إرجاع الشايقية نسبهم إلى الجهنيين العباسيين فإننا نرى أيضا أنه فى بلد كثرت فيه الأحلاف القبلية أثناء هجرات إلى مناطق واسعة لن يكون صعبا على هذه الأحلاف أن تتزاوج في بعضها بعضا لتقوية أواصر القربى والتحالف . ولذلك فليس بعيدا أن يكون زعماء الشايقية هم أبناء عمومة الجعليين ، ولكن قد تختلف أصول أبناء القبيلة . أما التنافس والقتال الذى دار بين هاتين القبيلتين فيما بعد عند استقرارهما في الأراضي السودانية فإنه

كان تنافسا طبيعيا بين أبناء العمومة وهي من السمات الانسانية المنتشرة في كل زمان ومكان .

استقر الشايقية في ضفاف النيل بين جبل ديقا جنوبي دنقلة وبين الشلال الرابع ، وظهروا في الوجود بمكانة عظيمة في القرن السابع عشر . وكانوا في أول أمرهم عند ضعفهم قد دخلوا في الحلف السناري لسلطنة الفونج . ولكن في حوالي سنة ١٦٠٠ م ثار زعيمهم الشيح عثمان ود حَمَد على الفونج وهزمهم ، واستقل بزعامته ، وأخذ عهدا من الفونج بأن يحترموا سيادته على إقليمه ، ووافق الفونج رغما منهم على ذلك لبعد الشقة بينهم وبين الشايقية ، وعدم قدرتهم على إخماد ثورتهم ، وبسط نفوذ السلطنة عليهم . و وفد عليهم في أوائل القرن التاسع عشر جماعات من المماليك الذين هربوا من وجه محمد على باشا في مصر ، وأوقعوا في أول الأمر بالشايقية وذلك بقتل زعيمهم المضياف غدرا وخيانة . ولكن الشايقية وقفوا وقفة صامدة ضدهم وضد سلاحهم الناري . ولما جاء جيش إسماعيل باشا إلى السودان لاحتلاله في عام ١٨٢٠م وقف الشايقية ضد جيشه الغازي وقاوموه ، ولكن ما لبثت البنادق والمدافع والكثرة العددية المدربة أن أوقعت بهم هزيمة لم يتوقعوها بعد كفاح مرير أصبح مثلا يضرب في السودان .

والشايقية يتحدثون بلهجة عربية لها نغمتها العربية الأصيلة ، ولبعض أواخر كلماتها ومقاطعها إمالة ، وتحتاج إلى دراسة ومقارنة مع لهجات القبائل العربية المعروفة خاصة في بلاد الشام ، كما أن شعرهم العامي له مميزاته ، وحبذا لو جمع قديمه مع أغانيهم حتى يجد الباحثون مزيدا من المعلومات عن هذه القبيلة .

العركيــون

من القبائل العربية التى هــاجرت إلى السـودان قبيلـة العركيـين وقـد كان لهذه القبيلة تاريخ حافل فى مصر كما مر بنا حـين الحديـث عـن علاقـة المماليك بالعرب هناك ، وكيف أن العـرب شـعروا بأن كـل مكاسـبهم فـى الفتوح قد استولى عليها المماليك وأصبحوا هم المضطهدون والذيـن تتعقبهـم قوات المـمـاليك النظامية لإبقـائهم فـى مصـر رعيـة زراعيـة وهـذا مـا كـانوا يرفضونه . وكان زعيمهم محمد بن واصل العركـى الأحـدب قـد حمـل لـواء الثورة على المماليك بين سنة (٧٤٩-٧٥٤هـ / ١٣٤٨-١٣٥٣م) حتـى قضي على قوته وأجبر على الانصياع إلى دولة المماليك .

وانتهت تلك المعارك بفرار كثير من العركيين وأحلافهم إلى الأراضي السودانية دون أن يفقدوا الصلة بأهلهم فى مصر . وبالرغم من القضاء على زعامة العركيين السياسية إلا أنهم وجدوا من بينهم مـن يحمـل لـواء الزعامـة الروحية ، وقد وهبت هذه القبيلة الكثير من العطاء فى مجـال العلـم والثقافـة الدينية والفقه . وقد كان لثلاثة منهم قصب السبق فى هذا الميـدان ، فـأولهم الشيخ دفع الله بن مقبل بن نافع العركى الذى عاش فى حوالي سـنة (١٥٥٠م) ، وهو جد جماعة أبي حراز بالجزيرة [١]. وكان لأولاده الخمسـة حمـد النيـل وعبـد الله ومحمـد وأبـي بكـر والمجـذوب شـأن فـى نشـر الثقافـة الإسلامية فى السودان وفى منطقة الجزيرة بصفة خاصة [٢].

---

[١] / عبد المجيد عابدين : التعليق على البيان والإعراب - ص ١٥٠

[٢] / ود ضيف الله - الطبقات . عن عبد المجيد عابدين - محمود القبانى ١٣٥

ويضيف الدكتور عابدين بأن الرجل الثاني من أبناء العركيين الذين نشروا الثقافة الإسلامية في السودان هو " الشيخ محمود بن محمد العركي الذي عاش سنة ١٥٢٠ م . وولد محمود بالنيل الأبيض ، وسافر إلي مصر ، وتلقي العلم بالأزهر الشريف علي يد الشيخين الناصر اللقاني ، وشمس الدين اللقاني . والظاهر أنه أقام بمصر فترة طويلة ، حتي عده بعض المؤرخين عالما مصريا ، ثم أرسل سلطان الفونج في طلبه ، ولما قدم بني له قصرا يعرف الآن بقصير محمود بالقرب من النيل الأبيض ، و وفد عليه أربعون ألف طالب ، وانتشرت العلوم الدينية علي يديه ، وعلم الناس مسائل الفقة على مذهب مالك " . [٣]

وكان ثالث علماء هذه القبيلة الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن نافع النويري العركي (وعاش حوالي سنة ١٥٧٠م) ، وكان أحد أجداده من الأشراف الذين صاهروا العركيين ، وقد أنشأ الشيخ محمود بلدة الفقراء في الجزيرة بالسودان ، وتوارث أحفاده هذه المكانة الدينية والتعليمية حتى يومنا هذا .

وما زالت هذه القبيلة تحتفظ باسمها العربي الأصلي الذي هاجرت به من الجزيرة العربية ، وبقيت به في مصر ، وحاربت به قوات المماليك ثم هاجرت بعد ذلك إلي الأراضي السودانية لتقيم فيه .

---

[٣] عبد المجيد عابدين – ص ١٥٠

ذكر القلقشندي أن بني بهراء بطن من بطون قضاعة ، فهم لذلك من القبائل القحطانية . وأورد ابن خلدون أن بهراء كانوا يسكنون في الجزيرة العربية مجاورين لقبيلة بلي ، وأن مساكنهم تمتد من ينبع إلي إيلياء . وجاوز خلق كثير منهم بحر القلزم ، وانتشروا ما بين مصر وبلاد الحبشة ، وكثروا هناك ، وغلبوا علي بلاد النوبة ، وهم يحاربون الحبشة إلي الآن ، أي إلي عهد ابن خلدون المتوفي سنة ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م .

ولم يذكر بقية المؤرخين شيئا أكثر مما ذكر مما جعل تاريخ هذه القبيلة تنقصة الكثير من التفاصيل إذ ليس هناك ما يظهر الفترة التي مكثت فيها بهراء في مصر ، وعما إذا اشتركت في الثورات العربية المختلفة ضد السلطات في مصر . ومن حديث ابن خلدون يفهم أن هذه القبيلة ربما عبرت البحر الأحمر من ينبع ، وبالتالي فإنها ربما نزلت في عيذاب أو إحدى الموانيء السودانية ألأخري مثل سواكن أو جزيرة الريح أو العقيق ، ثم إنها توغلت بعد ذلك في مملكة البجة علي الحدود السودانية الشرقية الآن ، لأن بهراء نزلت في بلاد النوبة وتغلبوا علي بعض أراضيها ربما بالقرب من كسلا .

وفي نفس الوقت الذي يتحدث فيه ابن خلدون عن بهراء وما كانت تقوم به من نزاع ضد الأحباش ، يتحدث ابن خلدون عن عمل مشابه لهذا كانت تقوم به جهينة في تلك الفترة ، كما كانت هناك حروب مستمرة بين الأمير سمرة بن مالك العامري نشبت قبل ذلك وبالتحديد في سنة ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م كما ذكر القلقشندى أيضا .

وهذا يظهر اشتراك القبائل العربية في السودان في الدفاع عن أراضيه طوال القرن الرابع عشر والخامس عشر إذ أن تلك الفترة كانت من أهم فترات تاريخ الحبشة ووحدتها ، وظهورها كمملكة و دولة لها كيانها الخاص .

فمنذ سنة (١٣١٤ – ١٣٤٤ م) أخذت مملكة أمهرة الحبشية في جمع قواها ، وظهرت لأول مرة كدولة جديدة تريد أن تتوسع علي حساب جيرانها سواء في الحبشة أو ما جاورها . وكان الملك أمداسيوان الأول الذى حكم في تلك الفترة هو العنصر القوي الذى يسعى إلي تكوين دولة أمهرية قوية ، وهو في رأي المؤرخين الغربيين أول من أسس مملكة الحبشة التي لم يكن لها وجود قبل ذلك [٤].

وقد شعر السلطان محمد قلاوون بالسياسة العدوانية التي كان ينتهجها الملك أمداسيون ضد الإمارات الإسلامية الصغيرة التي كانت تلتف حول أمهرة وخاصة تلك التى كانت في الطراز الإسلامي الإفريقي مثل إمارة عفات وغيرها . لذلك فقد حاول الضغط على هذا الملك الحبشي بأن شجع العرب المسلمين في السودان لإقلاق راحة الدولة الأمهرية ، وكذلك فعل سائر السلاطين المماليك . وهذا ما حدا بأمراء القبائل مثل بهراء وبني عامر وجهينة وغيرها بمواصلة الإغارة على المواقع الأمهرية ، وشجعهم في ذلك سلاطين مصر بالاعتراف بما يحررونه من أراض هناك .

ويفهم من كلام ابن خلدون أن بهراء استطاعت أن تقتطع لنفسها جزءا من أراضي مملكة علوة النوبية ، ويبدو أن ذلك كان بالقرب من كسلا وحولها . ومن المتوقع أن تكون القبائل العربية والإسلامية وهي بهراء وجهينة

---

[٤] انظر السير بدج ، والس ، تاريخ إثيوبيا ص ٢٨٤ – ٢٨٥ (بالإنجليزية) .

وبلي وبني عامر وبعض قبائل البجة الأخري الذين كانوا تحت حكم زعماء البلو وهم الحدارب قد أقاموا حلفا لتقويض قوة مملكة أمهرة الحبشية التى كانت كما رأينا تسعى إلي التوسع علي حساب جيرانها سواء في الغرب أو الشمال أوالشمال الشرقي .

وقد أيقظ أمداسيون جيرانه منذ سنة ١٣٢٨ م حين هجم علي حدود عفات وأرسل الجيوش لمحاربة المسلمين في كل مكان متغلبا عليهم ، وأخذ السلطان حق الدين أسيرا ، وضم إلى الحبشة كلا من عفات وفاطاجار ، وعين صبر الدين أخا حق الدين واليا عليهما من قبله بدلا من السلطان المقتول . وكان أمداسيون قد انتهز فرصة اختلاف إخوان حق الدين علي الملك ، وتفرق كلمتهم ، فأوقع بهم ، وجعلهم من مواليه المطيعين .

وطوال تلك الفترة التى كان فيها ملوك أمهرة الحبشية يعتدون علي سلطنة عفات ، كان المسلمون في مصر بل وفي السودان أيضا يتابعون ما يجرى . ونجد المقريزي يذكر كيف أن النجاشي داويت (١٣٨٢ – ١٤١١ م) أرسل حملة عسكرية عندما حاول السلطان سعد الدين الثاني التحرر من قبضة الحبشة ، وكيف أنه نال بعض النجاح الأولي في حربه التحررية . وقد كان مع سعد الدين كثير من الأولياء والعلماء والفقهاء والدراويش والمزارعين ، وكل أهل البلاد ، واتفقوا فيما بينهم علي الجهاد حتى الموت ، وتعاهدوا على ذلك ؛ ونشبت معركة عنيفة دموية بين الجانبين ، وقتل فيها أربعمائة من شيوخ الفقهاء ، وكل منهم كان يحمل ركوة وضوئه استعدادا للموت ، وفي معية كل منهم أعداد كبيرة من تلاميذه ، وسقطوا جميعا شهداء جهادا في سبيل الله . واستمر قتال هؤلاء

المسلمين لأعدائهم حتى قتل منهم خلق كثير ، وسقط الأخرون صَرْعي من الجراح التى أصابتهم . ولجأ سعد الدين الثاني بعد المعركة إلي زيلع حيث لحق به النجاشي إسحاق الذى خلف سلفه ، وقتل السلطان المسلم في سنة ٨١٧ هـ / ١٤١٥ م .

وواضح من هذه الحروب أن قيام بهراء بمقاومة التوسع الحبشي كان له ما يبرره . ويبدو أن هذا الجهاد الذى قامت به بهراء ، والتحالف الذى عقدته مع القبائل الأخرى والبجة والنوبة كان من أهم الأسباب التى اندثر بسببها اسم بهراء ، ولعل من بقي منها قد اختلط ببنى عامر البجاوية ، أو هوازن الحلنقية ، ولربما دخلت البقية الباقية منها في قبائل جهينة التى كانت وما زالت تعيش في شرق السودان مثل الشكرية والبطاحين .

أما الآن فلم تبق قبيلة في السودان تعرف بهذا الاسم ، ولكن بقي اسمها في كثير من المصادر العربية ليدل علي مكانتها وتاريخها .

جهينة والبقارة

عند ما تتحدث المصادر العربية عن قبيلة جهينة فإنها تظهر دائما وبجلاء كثرة هذه القبيلة العددية ، وانتشارها الواسع ، وصمودها ضد من يعاديها ، وقدرتها علي التوسع إقليميا في كافة أنحاء الديار الإسلامية العربية . وقد بلغ عددها في قبائل قضاعة الثلث في الشام علي أيام سيدنا عمر بن الخطاب حين أمر بترحيلهم إلي مصر . وفي نفس الوقت الذى كانت فيه تحارب في الشام وترابط ، كانت منتشرة متحكمة في منطقة ينبع والطريق

الساحلي علي البحر الاحمر ، ثم نجد أنها سكنت الأشمونين في مصر . وتحت ضغوط الفاطميين الذين كانوا يتحيزون لقريش فإن هذه القبيلة أخذت تهاجر من تلك الجهة وتواصل سيرها جنوبا حتى تصل إلي صعيد مصر ، ثم تختلط بالحدارب زعماء البجة في صحراء عيذاب . وقد كانوا أصلا من بلي أبناء عمومتها ، ثم نراهم في جيش الأشراف من أبناء أبي نميّ الذين كانوا حكاما على الحرمين الشريفين وينبع وسواكن ، وذلك في سنة ٦٦٩ هـ / ١٢٧٠ م . فجهينة في كل مكان من الأرض وهي التى انتزعت في آخر الأمر مع حليفاتها سيادة مملكة النوبة من أبنائها في السودان رغم المصاهرة والمصانعة وسياسة التفاهم والوفاق التى كانت تمارسها مملكة النوبة معهم . وقد دوخت جهينة الحبشة في حدود السودان الشرقية في أيام ابن خلدون ، ورسخت مكانتها في آخر الأمر في الأراضي السودانية بوجه خاص حتى أصبحت أغلبية قبائل السودان العربية ترجع أنسابها إليها بطريق مباشر أو غير مباشر .

ومن بين هذه القبائل السودانية التى تنتمي إلي جهينة قبائل البقارة التى تقيم فى غرب السودان والتى ورثت الكثير من خصائص جهينة وشمائلها سواء الجهادية أم اللغوية ، أم الخلقية . ومما لا شك فيه أن البقارة قد سلكوا طريقا طويلا صعبا للهجرة إلي السودان حيث أقاموا ، كما أنهم وقعوا تحت مؤثرات جغرافية وبيئية وسياسية واجتماعية كثيرة ، ولكنهم لم يفقدوا شيئا من أخلاقياتهم التى يتحلون بها حتى الآن .

ويعتز البقارة بعروبتهم وجهينيتهم إلي حد بعيد ، ولذلك فقد كانوا وما زالوا يحتفظون بسلسلة نسبهم أبا عن جد طوال هذه القرون والهجرات التى مروا بها . ولا عجب في ذلك فهم يسيرون بما أوصي به سيدنا عمر بن

الخطاب . يقول المؤرخ السوداني محمد صالح ضرار إن الخلفاء كانوا يحضون المسلمين على حفظ أنسابهم والتدقيق فيها . ولا يطلب من المجاهد ممن لا يعرف القراءة والكتابة إلا أن يغزو وفي يده سلسلة نسبه . وقد كانوا يرحلون وفي يد الواحد منهم المصحف الشريف ، و الفروة للصلاة ، وسلسلة النسب بين أوراق المصحف الشريف ، وفي الثانية يحمل السيف للجهاد . ويضيف هذا المؤرخ بأن سيدنا عمر كان يحرص على حفظ الأنساب ، وهو الذى يقول " تعلموا النسب ، ولا تكونوا كنبط السواد ، إذا سئل أحدهم عن أصله قال من قرية كذا .... "وكان عمر (ض) يقسم العطاء على حسب الأنساب القبلية . وما زال العرب في السودان حتى الآن لا ينتسبون إلي قراهم ومدنهم ، ولكن إلي قبائلهم وبطونها .

وعلى هذا فإن انتساب البقارة إلي جهينة لا شك فيه لأن كل مقومات الخلال الجهنية والعربية فيهم . ولكن ما يرمي إليه الحديث هذا هو التمتع بالرحلة معهم من الجزيرة العربية حتى مناطق غرب السودان ، والأماكن التى حطوا فيها ، وارتحلوا منها ، وأسباب هذه التسمية التى سموا بها بدلا من اسم جهينة العريق ، وبطونها الأولى التى خرجت منها .

يحدثنا أحمد عبد الله آدم[٥] عن نسب البقارة ، وفي هذا يوضح السلوك العربي في الاحتفاظ بالنسب فهو يقول إن هناك عدة مصادر تعرضت لنسب قبائل البقارة ، ومنها المصدر الذي وجد مكتوبا عند الناظر بابو نمر ناظر عموم المسيرية ، وقد تلاه في إحدى الحلقات التلفزيونية ، وقال بأنه نسب تسلمه من جده ، هذا النسب في كتاب عند جاد الله دُخْرو (أي ذُخْرُة) فضل الله بمنطقة خور برئقة على الحدود التشادية . وقد تتبع أحمد

---

[٥] أحمد عبد الله آدم : أصول البقارة والدينكا .

في كتابه هذا السمات القبلية والإنسانية المشتركة بين أبناء وذرية جهينة في كل من مصر وليبيا حيث توجد في الأخيرة نفس القبائل التى تحمل نفس الأسماء التى في السودان مثل الرزيقات والمسيرية ، كما أنهم يتكلمون نفس اللهجات ، كما وجد تشابها بين البقارة في السودان والقبائل اليمنية في الجزائر أيضا التى وجدها أيضا تحمل نفس الأسماء مثل بني عمران .

وليس فيما وجده الأستاذ أحمد عبد الله آدم غرابة لأن القبائل اليمنية كانت في جميع مراحل الجهاد والفتوح تمثل كثرة غالبة في كافة أنحاء الدولة الإسلامية ، ولكن ما سطره كان فتحا لمواصلة بحوث كثيرة في هذا الميدان. كذلك فإن ما أورده من كلمات متشابهة[٦] في هذه البلاد يعتبر حلقة هامة في دراسات المجتمعات العربية في المناطق التى لم تتأثر بالمؤثرات الحديثة والاختلاط . ولما كانت قبيلة البقارة وبطونها في السودان ما زالت بكرا من حيث مثل هذه الدراسات فإن أحمد يثير الحماس العلمي للكشف عن تفاصيل أكثر عن الوجوه التى يشترك فيها البقارة مع بقية القبائل الجهنية أو اليمنية في أنحاء العالم العربي مثل اللغة واللهجة والشعر والأغاني خاصة أغاني الأعراس والأفراح ، والأحاجي والديكور المنزلي والعادات النسائية بوجه خاص لمحافظتهن القوية علي التقاليد والقديم ، وكذلك العادات والأمثال والألعاب الموروثة التى يمارسونها إلي غير ذلك من مظاهر الحياة اليومية ومناسبات الأعياد والمعتقدات .

يقول رواة البقارة إنهم من قبيلة جهينة ، وإنهم قدموا إلي مناطق سكناهم الحالية في غرب السودان من شمال إفريقيا ، وبأنه سارت معهم قبائل عربية أخرى من أحلافهم وجماعات من مواليهم ، واخترقوا الممالك

---

[٦] باهي ومليح ..

الإفريقية الصغيرة التى كانت تقع في الطريق بين مقر خروجهم ، ومقر استقرارهم ، وقد تغيرت سحنتهم وبشرتهم خلال هذه السنين الطويلة التى قضوها في أماكنهم الحالية حيث كانت تقيم الجماعات الإفريقية إلا أنهم احتفظوا بلغتهم العربية وطباعهم ودينهم الذى نشروه بين من وجدوا من أفارقة .

وعند ما بلغت بهم الرحلة مقرهم الحالي اضطرتهم ظروف العيش إلى أن يتركوا رعي الجمال التى كانت تشكل عصب اقتصادهم ، وأخذوا بدلا منها تربية الماشية مما جعلهم غرباء على الطبيعة الاحترافية العربية التى لا تعرف سوى الإبل والأغنام والضأن كأساس للاقتصاد . وبسبب هذا التغير والتبديل في المعيشة فقط أطلق عليهم لفظ بقارة . وهذا يدل على أنه بالرغم من أن الأغلبية الساحقة من أولئك المهاجرين كانوا من جهينة إلا أنه كان معهم كثير من القبائل أو البطون الأخرى الصغرى العربية التى كانت في حاجة إلي المؤازرة . ولم يكن استقرارهم فقط في كردفان ، بل إنهم انتشروا غربها ، فتوسعوا في دار فور ، بل إنهم موجودون أيضا في تشاد . ويذكر ماكمايكل أن بعض الرحالة قد التقوا بالبقارة في دارفور كما وجدوهم في غربي دارفور أيضا خاصة قبيلة المسيرية التى كانت اكبر قبيلة عربية في وَدَّاي ، كما أنها تنقسم إلي المسيرية الزرق والحمر .

ومن الواضح أن رحلة البقارة فى أراضي إفريقيا من شمالها إلى وسطها حيث تشاد وشمال نيجيريا وغيرهما إنما توضح أن هناك فرصا كثيرة ، ولأوقات طويلة تجعل من السهل الاختلاط بقبائل المنطقة الإفريقية مما أثر على بشرة البقارة وتقاطيعهم .

وقد اهتم ماكمايكل بوصف البقارة ، وكان من أوائل من فعلوا ذلك ، كما اهتم بمظهرهم الخارجي فقال بأنهم سمر البشرة ، يمتازون بخفة الجسم والنحول ، ولهم تقاطيع واضحة جميلة ، وعيون براقة وشعر قليل على الوجه ، ولذلك فإن لحاهم عادة ما تكون خفيفة .

وهم من الغرب يحدون بالفلاتة ، ومن الجنوب بالدينكا ، ولذلك فقد تسربت إليهم دماء هاتين القبيلتين بحكم الاختلاط والتزاوج .

والمعروف أن كافة القبائل السودانية تستميت في القتال ومن بينها قبائل البقارة التي تتمسك بما قاله شاعرها الجهني وتتحلى به حين قال

فلما لم ندع قوسا وسهما مشينا نحوهم ومشوا إلينا

فآبوا بالرماح مكسرات وأبنا بالسيوف قد انحنينا

فباتوا بالصعيد لهم إحاح ولو خفت لنا الكلمى سرينا

وكانت روحهم النضالية هذه هي التي أوصلتهم إلى مساكنهم الحالية في السودان دون أن يخسروا عددا كبيرا منهم بحيث تضعف قوتهم . ويتتبع أحمد عبد الله آدم بطنا من بطون جهينة وهي الجماعة التي ينتمي إليها ، وهم بنو عمران إذ أنه وجد مواقع تعرف ببني عمران في الجزائر وأخذ يذكر ما قاله له صديقه الجزائري حنصالي محمد :

" إنني لا أعرف طبعا بني عمران أو أولاد عمران السودان أما بنو عمران الجزائر فينتهي نسبهم إلى أعراب جهينة حسبما وقفنا عليه من مصادرنا بالجزائر . ومن قبائل بني عمران سكان هذه المنطقة ، وهم عندنا بالجزائر عرب رحل . " ويضيف هذا الكاتب بأنه وجد قبيلة باسم بني

عمران فى قرية " سلوك " على بعد خمسين كيلومترا جنوب بنى غازى فى ليبيا حيث يكثر النخيل فى قريتهم " . [٧]

ويستشف مما كتبه الأستاذ أحمد أن بعض القبائل اليمنية ومن بينها جهينة ربما طردت من الأندلس بعد سقوط ذلك الفردوس فى يد الأسبان سنة ١٤٩٢م . وكانت من تلك الجماعات التي فرت من هناك قبيلة جهينة وحلفاؤها الذين لجأوا إلى الدول الإسلامية فى المغرب العربى ، ومنها سارت إلى ودَّاي وتشاد وإلى السودان الغربي . ومما يؤكد حدوث هذه الرحلة تلك الصلة العاطفية ، والنشوة الخيالية التى تغمر حتى الآن أبناء قبيلة البقارة فى السودان وهم يذكرون أيامهم الخوالي حين كانوا فى تونس ، وكيف كانوا يعيشون فى فردوس آخر بالرغم من أن بينهم وبين تلك العهود عدة قرون ، ورغم أنهم لم يروها مطلقا ، لكنهم من الناحية الوجدانية ما زالوا مرتبطين بها ذلك الارتباط العاطفي . ويبدو أن المواقع التى تعود إلى بني عمران ، وتحمل اسمهم سواء فى الجزائر أم ليبيا إنما هي المواطن التي " انجمّ " فيها هؤلاء الجهنيون حتى إذا وصلوا إلى موقع مدينة " انجمينا " الحالية فى تشاد احتفظ الموقع بهذا اللفظ وحرف قليلا . ويذكر أحمد بأن قوافل جهينة نزلت فى ذلك الموقع للاستجمام ، واستعملوا كلمة انجمينا فى ذلك المكان . وكما يعلم القارئ فإن الجمام هو طول الراحة كما قال المتنبى :

---

[٧] ذكر القلقشندي أن السلطان المملوكي كان يكتب لجماعة بالطرقات الموصلة من الديار المصرية إلى بلاد الحبشة وغيرها . ولعل هؤلاء أيضا من عربان الممالك المحروسة . وكان من بين هؤلاء الأمراء (أبو مهنا العمرانى) ، وهذا ربما كان من أولاد عمران الجهنيين الذين تركوا إخوانهم واستقروا فى وسط السودان أو شرقه ، بينما اتجهت قبيلة أولاد عمران الكبرى إلى شمال إفريقيا ثم اتجهت بطون منها إلى تشاد وغرب السودان . وللأسف فإن القلقشندي لم يذكر شيئا كثيرا عن هؤلاء الأمراء العرب الذين كانوا فى السودان ولا عن المكاتبات التي دارت بينهم وبين السلطان المملوكي .

وما فى طبه أنى جواد أضر بجسمه طول الجمام

وربما من اللائق أن نذكر هنا بأن رحلة جهينة هذه إلى السودان كانت فى فترة أصبحت اللغة العامية فيها هى اللغة المسيطرة فى الكلام ، كما يظهر جليا أن عدد الذين كانوا ذوى معرفة بالكتابة والقراءة والتأليف كانوا قليلا جدا ، ولذلك فإننا لا نجد ما كتبوا من مؤلفات عن أحوالهم وأحوال غيرهم ممن صادفهم . ولعل السبب فى ذلك عدم وجود مؤلفين بين هؤلاء الناس أو أنهم كانوا جميعا من العرب الرحل الرعاة الذين يتبعون مواقع الغيث والمرعى ولا يشتغلون بالكتابة والتدوين .

وهناك أمر يحتاج إلى مزيد من البحث وهو الطريق أو الطرق التى سلكتها قبائل وبطون جهينة من المغرب العربى إلى غرب السودان إذ أن هناك سلسلة من الآبار بين ليبيا وكردفان ، وقد قام بتعميق إحداها السيد السنوسى فى القرن الماضى لتيسير الرحلة بين ليبيا والسودان .

ولما وصلت قبائل البقارة أو على الأصح جهينة إلى السودان كانت قد خلفت بعض عشائرها وراءها فى تشاد ، وسارت البقية لتسكن فى بعض جهات دارفور وكردفان حتى النيل الأبيض .

ويرجح الدكتور يوسف فضل بأن بداية هجرة البقارة من المغرب العربى كانت فى القرن الثامن الهجرى [٨] الموافق الرابع عشر الميلادى . وكانت فى غضون هذا القرن قد وصلت قبائل جهينة إلى تشاد ، وربما استقرت هناك فيما عرف باسم انجمينا قبل النزوح إلى السودان . وبهذه المناسبة فقد سمعت رواية أخرى عن هذا الاسم تقول بأن الاسم أطلق على

---

[٨] ولعل ذلك يعود إلى الفترة التى انهزم فيها حلف محمد بن واصل العركى الأحدب سنة (٧٥٤هـ / ١٣٥٣م) ، وفر العرب من وجه المماليك إلى السودان . راجع الحديث عن ثعلبة وعرك .

المدينة فى فتوحات رابح فضل ا لله نابليون إفريقيا كما لقبه المؤرخ السودانى محمد عبد الرحيم . ويقال بأن (رابح) عسكر فى تلك البقعة فى حروبه مع ملوك تلك المناطق ، وأنه (انجم) وعساكره فى تلك البقعة ، ومن ثم عرفت باسم انجمينا ثم غير اسمها الفرنسيون إلى فورت لامى ، ثم أعاد التشاديون بعد استقلالهم الاسم القديم . وقد أفادنى بهذه المعلومات الأستاذ طه مكاوى الذى كان سفيرا للسودان فى تشاد فى السبعينيات .

هذه الهجرات تجعلنا نفكر فى أن وصول هذه القبائل إلى السودان وهجرتها إليه قد بدأت منذ أن بدأ الإسبان فى طرد العرب من إسبانيا وفيهم أعداد كبيرة من أصل يمني وعلى رأسهم جهينة . وقد بلغ ذلك الطرد نهايته فى عام ١٤٩٢م عندما طرد آخر ملوك بني الأحمر من غرناطة وسقوط آخر معقل عربي إسلامي منها في أيدي الإسبان الذين أقاموا محاكم التفتيش الإرهابية لإرغام المسلمين على تغيير دينهم ، وقبول النصرانية كدين لهم .

وقد تكون هناك حلقة مفقودة فى مثل هذه الرحلة إذ من الصعب أن يتخيل المرء كيف يتغير السكان العرب الحضريون إلى بدو رعاة . أما تغير رعاة الإبل البقارة إلى رعاة ماشية فهو أيضا أمر لا يخلو من صعوبة تحتمها الضرورة ، وتفرضها الظروف التى واجهتها جهينة فى ترحالها . ولم تكن هذه الهجرة قد تمت فى رحلة واحدة طويلة ، بل كانت على أجيال وعقود متفاوتة كما كانت آثار أقدام المهاجرين الأول معروفة لمن جاء بعدهم ، وساروا مقتفين آثارهم حتى اجتمعوا في غربي السودان . وقد كانت القبائل العربية تعرف مواطن من سبقوها من بطون القبيلة نفسها وإن نأت الشقة ، وبعد الزمان .

ولما كانت هجرة البقارة من جهينة وغيرها في تاريخ متأخر عمن سبقها من القبائل العربية الأخرى ، فإنهم بلغوا أماكن استيطانهم الحالية بعد أن احتل من سبقها الجهات الشمالية حيث المراعي الأقل ولكن حيث تستطيع أن تعيش الإبل بسلام . ويتفق الباحثون على أن اسم البقارة هذا جاء بعد استقرار القبائل ، وبعد أن اكتشفوا أن الإبل لا تستطيع العيش في منازلهم التى استقروا فيها. ولما كان نزولهم بالقرب من جيرانهم قبيلة الدينكا جنوبا وهى القبيلة السودانية العريقة في تربية الماشية ، فإن البقارة حذوا حذوهم . وللبقر عند الدينكا مكانة خاصة لأن كثرتها عند مالكها تعنى مقاما رفيعا ، وجاها ومكانة ، ومن ثم فقد رأى البقارة أن يغيروا من رعي الإبل إلي البقر .

وكثيرا ما يتساءل الناس عن هذه التسمية التى تعود إلي الثروة بدلا من الآباء ، ولكن يبدو أن هذه تسمية للتمييز بين عربي وعربي في مواطن لا يعرف فيها الناس بعضهم بعضا بالرغم من عروبتهم . وهكذا سُمي أبناء جهينة ومن تحالف معهم بهذا الاسم في غرب السودان والنيل الأبيض ، وقبلوا التسمية ، وسارت عليهم ، وعرفوا بها .

ومع كل فإن هناك بعض القبائل العربية المنتشرة في أنحاء مختلفة من العالم العربي المسماة بالبقارة (البكارة) منهم إحدى عشائر منطقة حلب ، وهم حضريون ، [٩] ومنها بقارة الجبل ، وبقارة الزور في الشام .

كذلك نجد أن بعض القبائل العربية في مواطنها بالجزيرة العربية سميت قديما بأسماء تنتمى إلي الإبل وغيرها من الحيوان مثلة قبيلة بكرة ، وقبيلة أنف الناقة الذين قال فيهم الشاعر:

---

[٩] كحالة – ج ا ص ٨٧

سيرى أمام فإن الأكثرين حصى والأكرمين إذا ما ينسبون أبا
قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

وهناك ثعلبة وأسد وكلب وكلاب وغير ذلك من الأسماء التى كانت تستهوى نفسية العربي مثل أسد وفهد ونمر وصقر التى قد تثير الرعب في قلوب الأعداء على حد تفكير من يطلقونها .

وللبقارة لهجة عربية متميزة عن غيرها ، فهي أعمق في بداوتها ، كما أن عاداتهم تختلف بعض الشيء عن غيرهم من الأعراب وذلك بسبب توغلهم في الأراضي السودانية ، ويوصفون بأنهم ذوو نعرة حربية ، ويمارسون حرب العصابات تماما كما فعل البجة ضد القوات البريطانية في شرق السودان تحت قيادة البطل السوداني الأمير عثمان دقنة ، ولكنهم يملكون خيولا أكثر من غيرهم ، ولذلك فإنهم يستغلونها في غاراتهم السريعة . ويعرف عنهم أنهم يصلون في عقيدتهم إلي درجة بعيدة ، ولا يحيدون عنها مطلقا ، وفي هذا فإنهم على حد قول الباحثين الغربيين ومنهم ترمنجهام يختلفون عن رعاة الإبل الذين لا يصلون إلي نفس المستوى من التعصب . ولذلك فإن للبقارة اعتقادا راسخا في الإمامية والفقهاء والأولياء ويقدرونهم حق التقدير . ومع قلة انتشار التعليم الديني في الماضي بينهم إذ كان متروكا " للفكى "[١٠] أى الفقية إلا أنهم كانوا يعرفون كل شيء يتعلق بالماشية وأمراضها تماما كما هي الحال مع رعاة الإبل ومعرفة تطبيب إبلهم . وبحكم اتصالهم القوي بالقبائل السوداء ، ومجاورتهم لها ، فإنهم تأثروا بعض

---

[١٠] " الفكي " هو الفقية ، وقلبت القاف كافا صريحة على لهجة حِمّير ، وخففت الهاء الأخيرة ومدت فأصبحت الكلمة فكى ، واختفت الهاء .

الشيء في حياتهم الاجتماعية وعاداتهم من حيث التسلية والترفيه والموسيقى والرقص بجيرانهم من السكان الأقدمين الذين اختلطوا بهم ، وتزاوجوا فيهم منذ أن ارتحلوا من تونس حتى ألقوا عصا التسيار في غرب السودان .

وتعيش قبائل البقارة الآن في كردفان ودارفور بل إن بعضها يعيش في وَدَّاي وَبْرنُو . أما قبائل البقارة التى تعيش في دارفور فهى الرزيقات ، وهؤلاء كانوا دائما قويِّي الشكيمة ، يشكلون قوة لا يستهان بها في وجه سلطان دارفور . ولقوتها وكثرتها فقد كان يجد إخوانهم البقارة من القبائل الأخرى خير معين لهم ضد سلطان دارفور . ومع هؤلاء يعيش في دارفورالهبانية والتعايشة و بنو هلبة و بنو خزام وبعض بطون المسيرية وبعض النعالبة . والواقع فإن معظم بني خزام يعيشون في برنو وباقرمى ويعيش معهم بعض من بنى هلبة .

ويقول كل من الحمر والحوازمة بأن أجدادهم إنما قدموا من تونس مباشرة ، وفي هذا فهم يختلفون مع الآخرين في الرأى القائل بقدوم كل جهينة وفروعها من البقارة عن طريق شرق السودان . ويقول الرحالة الفرنسى بارت بان لهجة قبائل البقارة الذين يعيشون فى برنو وباقرص وحول بحيرة تشاد بعيدة كل البعد عن لهجة المغاربة وأنها أشبة ما تكون بلغة الحجاز وسلامتها .

ومن قبائل البقارة أبناء حميد وهؤلاء يعيشون الآن في تقلي وجنوب أم روابة ، وينتسبون إلي جد يدعي(جنيد) ، وهذا الجد هو الذى ينتسب إليه أكثر البقارة .

ومن قبائل البقارة أ أيضا الهبانية وفي مصر جماعة منهم تعرف بالحبانية [11] ، وهناك قرابة ونسب بين الهبانية وبين التعايشة . ويسكن الهبانية جنوب بلدة الرهد فى كردفان ولكن مع ذلك فمنهم بطون غير قليلة في دارفور . وينقسم الهبانية إلي فرعين أحدهما الطارة والآخر السوط ، ويقول الدكتور محمد عوض بأن هذه الأسماء إنما هي ضروب من الوسم الذى توسم به إبل هؤلاء القوم .

والحوازمة قبيلة من البقارة ويعيشون في كردفان إلي الشرق من الدلنج ، وهم متوغلون في أراضي جبال النوبة ، وقد تكاثر عددهم حتى إنهم في حوالي ١٧٠٠ م انفصلوا عن غيرهم .

وهناك أيضا قبيلة المسيرية الحمر والزرق الذين كانوا قبيلة واحدة حتى عهد قريب ثم انقسموا على أنفسهم . والمسيرية الزرق أضحوا كثيرى العدد ، ويعيش معظمهم في كردفان ولكن توجد منهم بطون قليلة في دارفور أيضا .

وهناك قبائل أخرى من البقارة تعيش في دارفور ومن هؤلاء قبيلة الرزيقات ومعها أيضا الهبانية و (بني هلبة) والتعايشة .

والحديث عن هؤلاء البقارة يذكرنا بما ورد في تعليق الدكتور عبد المجيد عابدين عن الصلات والأصول التى بين قبائل البقارة وبعض القبائل العربية التى مازالت في مصر ، فهو يقول بأن البقارة ينتسبون إلي جنيد بن أحمد الأجذم – وفي رواية أخرى ابن حمد الأجزم (الزين) ، ويضيف بأن هناك بطونا من البقارة لها صلة بكل من لخم وجذام ، ثم يذكر هذه الأسماء المتشابها الموجودة للعشائر في مصر والسودان .

---

[11] عبد المجيد عابدين . التعليق على البيان ص ١٤٨

قريش

أهل بطحاء مكة المكرمة

البطاحين

يُرجع (البطاحين) نسبهم إلي الجعليين ، كما يذكرون بأن منازلهم الأصلية هي في بطحاء مكة المكرمة ، ويقولون بأنهم نزحوا إلي الأراضي السودانية من هناك ، وعلى هذا فهم يؤكدون أنهم قرشيون هاجروا من هناك واستقروا في أرض البطانة . وبما أنهم جعليون فهم عباسيون كما يقولون . ولكن مما لا شك فيه هو أنهم ينتمون إلي قريش .

والعرب عادة لا يرجعون أنسابهم إلي أماكن إقامتهم من قرى أو مدن كما يفعل نبط السواد الذين عاب عليهم سيدنا عمر بن الخطاب فعلهم ذلك ، ولكنهم ينتسبون إلي جدودهم . بَيْدَ أن قريشا كانت تفعل ذلك حين سمّت الأحابيش ، وهم فرع من فروعها ، بذلك الاسم لأنهم كانوا بيسكنون جبلا بذلك الاسم في مكة المكرمة ثم اطلق على مقاتليهم الذين كانوا يدافعون عن مكة بجيش الأحابيش . فهم قرشيون عكس مايتوهم بعض الناس الذين يظنون أنهم من الموالي الذين جلبوا من الحبشة . وكيف يعقل أن

يترك الدفاع عن مكة والبيت الحرام لمن كانوا من جنس أبرهة الذى جاء بأفياله لتهديم الكعبة المشرفة [١٢].

بَيْدَ أن قبيلة البطاحين العربية السودانية تذكر بأن اسمها هذا الذى عرفت به إنما يرجع أصلا إلي بطحاء مكة . وبالرغم من أنه ليس هناك من قبائل قريش من يدعون بالبطاحين إلا أن المسعودي يقول بأنه في أيام قصي الجد الخامس للنبي صلى الله عليه وسلم أى في حوالي سنة (٤٠٠ إلي ٤٥٠ م) كانت قبائل قريش منقسمة قسمين سكان البطاح أي السهول ، وسكان المرتفعات التى سميت بالظواهر . وكان هذا التقسيم هو المعمول به عند ما أنزل قصي القبائل القرشية في مكة المكرمة . وكان سكان البطحاء هم بنو عبد مناف ، وبنو عبد الدار ، وبنو عبد العزى ، وبنو زهرا ، وبنو مخزوم ، وبنو تيم ، وبنو جمعة ، وبنو سهم ، وبنو عدي ، وكلهم أقارب وصلات قرباهم قوية . وكان معهم بنو حنبل بن عامر .

ويقول المسعودي إن قصيا رتب قريشا على منازلها في النسب بمكة المكرمة ، وبيّن الأبطحي من قريش فسموا الأباطح ، كما أنه جعل الظاهري ظاهريا .

وقد عرف الأبطحيون بأن فيهم أول من افتدى الموؤودات من بنات القرشيين ، وكان أول من فعل ذلك منهم صعصعة جد الفرزدق ، والعباس

---

[١٢] وجدت أن مؤرخي الإنجليز ممن كتب عن السودان والعرب يذكر بأن الأحابيش هم مرتزقة أحباش جندوا للدفاع عن مكة في الجاهلية . وهذا ابتعاد عن الحقيقية والصواب . انظر القلقشندي في هذا وغيره

أبن عبد المطلب . وبسبب هذه المكرمة التى قام بها صعصعة ، قال الفـرزدق يفخر بذلك[١٣] :

إن القبائل من قريش كلهـــا ليرون أنا هامُ أهلِ الأبطُـــــحِ

وترى لنا فضلا على ساداتها فضل المنار على الطريق الأوضح

فلما هاجر سكان البطحاء من الجزيرة العربية إلي مصر فالسـودان ، ونزلوا في منازلهم الحالية ، رجعوا إلي اسمهم القديم ، أو ربما أرجعتهم إليه بقية القبائل العربية الأخـرى ، فـأطلق عليهـم اسـم البطـاحين ، كمـا أصبـح المفرد لهذا الجمع بطحاني بدلا من أبطحي . وسار هـذا الاسـم علـى القبيلـة حتى يومنا هذا .

ويدل اسم البطاحين هذا على أن هـذه القبيلـة مكونـة مـن ائتـلاف قرشي من سائر القبائل القرشـية التـى كـانت تسـكن بطحـاء مكـة . ويؤيـد المسعودي هذا الائتلاف بما ذكره من التقسيم الذي وضعه قصي .

ومما مربنا عن خروج جيوش المماليك لغـزو النوبـة ، والهجـوم علـى ملوكها في دنقلة رأينا كيف أن بعض البيوت القرشية خرجت معها ، وكيف أن السـلطان المنصـور سـيف الديـن قـلاون جهـز الأمـير علـم الديـن سـنجر المسروري وغيره للذهاب على رأس حملة عسكرية قوامهـا الجيـش المملوكـي مع عربـان الإقليـم وهـم أولاد أبـي بكـر ، وأولاد عمـر ، وأولاد شـريف ، وأولاد شيبان وغيرهم سنة ٦٨٦ هـ في السادس من ذى الحجة.[١٤] وكما هو معروف فإن بني أبي بكر هم من قبيلة تيم ، وبنى عمر مـن عـدي ، وهـؤلاء من ساكنى البطحاء في مكة كما ذكـر المسـعودي . وقـد سـبق لنـا أن قابلنـا

---

[١٣] المستطرف في كل فن مستطرف : ص ١٢١

[١٤] ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك . انظر مسعد ص ٢٦٩ .

المترجم المخزومي وزميله القرشي[١٥] في مناطق البجة بشرق السودان مما يدل علي أن بعضا من بني مخزوم كانوا يقيمون من قبل هذا في مملكة البجة ومعهم بعض القرشيين الآخرين وذلك في القرن الثالث الهجرى .

وبسبب هذه الرحلة الطويلة لأبناء البطحاء القرشيين فإنهم عند ما وصلوا إلي مواطنهم بالسودان اشتغلوا بالرعي ، وأصبحوا من العرب الرحل الذين يبحثون عن الكلأ والرعي لأنعامهم بين الخرطوم ونهر عطبرة .واتخذوا من (أبو دليق) عاصمة لهم ومركزا . والقبيلة لا تنتشر شرقا إلي ما وراء النيل الأزرق إلا في فصل الخريف حيث ينتشرون في أرض البطانة .

ولدى البطاحين الآن أعداد كبيرة من الإبل والبقر والضأن والماعز ، كما أنهم يزرعون عدة وديان في فصل الخريف . ويعتقد بأنه نظراً لعيشهم بالقرب من البجة فإنهم ربما كانوا قد امتزجوا ببعض البطون البجاوية من قبيلة البشاريين (البشارين) .

قبيلة حرب وبطونها

مزينة – الشنابلة – الشواربية

من بين القبائل العربية الكبيرة الكثيرة العدد قبيلة حرب ، وهي قبيلة عدنانية أى أنها من قبائل عرب الشمال ، ولكن كما يروى المؤرخون فإنها لا تنحدر من جدٍّ واحد ، ولكنها تنحدر من عدة جدود كلهم من العدنانية ، وقد ائتلف أبناؤهم وتحالفوا ليؤلفوا قبيلة واحدة هى حرب . وكان موطن

---

[١٥] هما زكريا ابن صالح المخزومى وعبد الله بن إسماعيل القرشي .

حرب الأصلي في الحجاز ، وامتدت أراضيهم من جنوبي ينبع حتى ميناء القنفذة في الجزيرة العربية على محاذاة الساحل في الأراضي الجبلية على طول سلسلة الجبال الممتدة بين المدينة المنورة ومكة المكرمة . ولم يتوقف استقرار حرب على هذه البقاع ، بل إنهم توغلوا في شبة الجزيرة حتى جعلوا من بعض أجزاء نجد منازل لهم ، وسيطروا على درب الحج بين بريدة ومكة المكرمة . وتكاثر عدد هذه القبيلة على مدى الأيام ، فانتشرت بطون منها شرقي نجد حتى دخلت أراضي العراق واستقرت هناك . ولما كانت لها مرافيء على البحر الأحمر مثل الرويس الواقعة شمالي جدة ، وذهبان ، والدعيجة ، والقضيمة ، ورابغ الشهيرة بالحجفة ، ومستورة ، والريس فإنها كانت تتطلع طوال تاريخها إلي ساحل البحر الأحمر الغربي . ولذلك فإن نزوحها شرقا إلي العراق لم يوقفها عن الهجرة إلي وادى النيل ، بل إنها مدت أراضيها شمالي الحجاز حتى دخلت أراضي الشام الكبير ، وسيطرت على جزء من طريق الحاج بين الأراضي الشامية أى سوريا ولبنا ن والأردن وفلسطين حتى مكة المكرمة . وكان لأمرائها نفوذ قوي على سير القوافل التجارية ، وركب الحجاج بين تلك الأراضي وبين مدن الحجاز الرئيسية وخاصة الحرمين الشرفين . وكان على كل الذين يتخذون هذه الدروب أن يؤمنوا سلامة رحيلهم باللجوء إلي شيوخ هذه القبيلة لضمان أمن ترحليهم وسفرهم الطويل عبر أراضيها .

ولحرب بطون كثيرة يعنينا منها بعضها الذى رحل إلي وادى النيل . ومن بين هذه البطون التى رحلت إلي هناك ، قبيلة مزينة . وكان رحيلها إلي مصر في عهد سابق . ومزينة هى القبيلة التى ينتمى إليها الشاعر الجاهلي الحكيم زهير بن أبي سلمي حكيم الجاهلية الذى أشاد بكرم كل من الحارث

أبن عوف وهرم بن سنان اللذين دفعا ديات القتلى من قبيلة عبس وذبيان في حرب داحس والغبراء وذلك في معلقته الغنية بالآراء الإنسانية ، وتمجيد السلم ، وتقبيح الحرب . وعلاوة على هذا الشاعر المزني فإن هذه القبيلة شرفت بشاعر آخر هو ابن لهذا الشاعر العظيم ، وما ذلك إلا ابنه كعب بن زهير . وكان كعب قد آذى النبي (ص) والمسلمين حين كان يعتدى بشعره على المسلمات ، فأمر به الرسول (ص) ، فضاقت به الأرض وقدم إلي المدينة ، وأنشد قصيدته الرائعة التى عرفت بالبردة . فألبسه النبي (ص) بردته في المسجد بعد إنشادها ، وقال له " لا فضّ ا لله فاك " . فلم تكسر له سن حتى مات وقد تقدمت به السن .

أما متى أخذت عشائر حرب في الرحيل إلي مصر ، فإن لهذا عدة احتمالات ربما كان أولها أن بعض أبنائها ربما كان في جيش سيدنا عمرو بن العاص عند ما عبر لفتح مصر . وكان ذلك الجيش لا يزيد عدده عن أربعة آلاف مجاهد . ثم ما لبث سيدنا عمر بن الخطاب أن أمده بالزبير بن العوام رضي ا لله عنه وابنه عبد ا لله وغيرهم حتى بلغت القوة الإسلامية آخر الأمر ما يقارب الاثني عشر ألف رجل . وكان بهذا الجيش جماعات من سائر المسلمين من العرب سواء أولئك اليمنيين أو العدنانيين وفيهم حرب .

ولما كانت قبيلة حرب عدنانية ، فإنها كانت تتبع الإسماعيليين من أبناء قيس عيلان في البقاع التى كانوا يذهبون إليها مجاهدين أو مهاجرين . وإضافة إلي ذلك فإن " حربا " هي بطن من هوازن الذين هم أنفسهم كما هو معروف فرع من قيس عيلان ، ولذلك فقد كان مصيرهم مشتركا ، وقد

أوضح بعض المؤرخين[١٦] في قائمة القبائل العربية التى كانت تعيش في شرقي النيل أن قبيلة حرب كانت مع بلي وجهينة فى تلك المنطقة .

ويؤكد المقريزي في خططه أن قبيلة حرب كانت تسكن صعيد مصر إذ يقول بأنه " كانت الكثرة والغلبة ببلاد الصعيد لست قبائل ، وهم بنو هلال ، وبلي وجهينة ، وقريش ، ولواتة وبنو كلاب . ينزل مع هؤلاء عدة قبائل سواهم من الأنصار ومن مزينة وبني دراج وبني كلاب وثعلبة ، وجذام " .

وكما مرّ بنا فإن مزينة من بطون حرب ، وهذا ما يجعل وجود حرب في صعيد مصر أمراً مؤكدا . ويتحدث المقريزى عن هذا الوجود العربي لهذه القبائل العربية على أيامه ، ثم يضيف بأن هذا الوجود قد زال تماما في أيام الأشرف شعبان بن حسين بن محمد قلاون سنة ٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ م ثم تزايد في أيام الظاهر برقوق بسبب جور الولاة إلي أن كانت سنة ٨٠٦ هـ / ١٤٠٣ م ، حيث حاق الفناء بأهل الصعيد .

ومن هنا نعرف أن رحيل حرب مع بقية القبائل العربية إلي جنوب وادي النيل أي الأراضي السودانية حدث في تلك السنة التى عم فيها الجدب ، ولم يفض النيل ، وأصيب الناس في مصر بالجوع والموت فهاجرت قبيلة مزينة ومن معها من أبناء عمومتها من حرب إلي الأراضي السودانية .

ومما يؤكد وجود القبائل الحجازية في صعيد مصر ما أورده المسعودي حين قال " ومدينة أسوان يسكنها خلق من العرب من قحطان ونزار وربيعة ومضر وخلق كثير من قريش ، وأكثرهم من الحجاز .[١٧] "

---

[١٦] ولكنسون عن ماكمايكل ص ٢٨١ .

ومن أشهر بطون حرب التى استقرت في الشام وفي مصر والسودان قبيلة الشنابلة . وتوجد هذه القبيلة بهذا الاسم في الجبال المحيطة بدمشق . وقد رآهم هناك بيركهارت اللوزاني في سنة ١٨١٠ م وذكر وجودهم . وقد كان هؤلاء الشنابلة يدفعون إتاوة لأمراء الدروز . كذلك ذكر بيرتون أن هؤلاء الشنابلة كانوا ينهبون ويخطفون ممتلكات الآخرين بشيء من الشراسة كلما سنحت لهم الفرصة .

وليس الشنابلة فرع يعيش في سوريا وحدها ، بل هناك أيضا آخر يعيش في مصر [١٨] ، وهم يعيشون عيشة البدو في شرقي النيل .

وفي نفس الوقت فإن هناك قبيلة كثيرة العدد بهذا الاسم تعيش في الأراضي السودانية ، وهي قبيلة ما زالت تعنى بتربية الإبل ، وتسكن جنبا إلي جنب مع أبناء كاهل أى الكواهلة ودار حامد في ولاية كردفان بغرب السودان . وعلاوة على هذه البطون التى تسكن في كردفان ، فإن هناك بطونا أخرى منها تسكن على ضفاف النيل الأبيض . ومن المؤكد أن تعداد الشنابلة في السودان قد ازداد مؤخرا عما كان عليه الحال في القرنين الماضيين إذ لم تستقر القبيلة على حالة واحدة من الاستقلال عن الممالك المحلية أو القبائل الكبرى . وكانت قد انضمت في وقت من الأوقات إلي حلف الكبابيش الجذامي وبقيت في ذلك الحلف حتى انشقت منهم في نهاية الأمر مع الكواهلة ، وأصبحت مستقلة عن الحلف الكباشي .

---

[١٧] انظر مسعد ص ٢٩٦ . يتحدث المسعودى عن الموقف حوالي سنة ٣٣٥ هجرية الموافق ٩٤٦ ميلادية

[١٨] ماكمايكل

وتنتسب قبيلة الشنابلة سواء تلك التى في سوريا أو مصر أو تلك التى ما زالت تسكن في طلّوزة في جبال نابلس بفلسطين إلي قبيلة حرب العدنانية .

وحرب بما فيها مزينة والشنابلة كانت مجاورة لجهينة في الحجاز ، كما كانوا معا في الشام في أول الفتوح وذلك قبل أن يرحل ثلث قضاعة إلي مصر بأمر أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب . ومن المرجح أن تكون بطون حرب المختلفة من مزينة وشنابلة وشواربية وغيرهم قد رحلوا إلي مصر عن طريق سيناء من سوريا وعن طريق مرافئهم إلي عيذاب ، ومنها سلكوا الطريق المطروق إلي أسوان ، ثم انتشروا في الصعيد قبل أن ترحل جموع منهم إلي أراضي السودان في غربه وفي النيل الأبيض مخلفة وراءها جزءاً كبيراً من حرب في شبة الجزيرة العربية وأراضي فلسطين وسوريا والعراق .

البربر وحمير

هوّارة

تحدث القلقشندي عن الهوارة فذكر بأنهم بطن من قبيلة أوريغ البربرية الساكنة في البرانس ، و أوصل الحمراني نسبهم إلي سيدنا إسماعيل أبن ابراهيم عليه السلام . أما ابن خلدون فقد أشار إلي أنهم يرجعون أصلهم إلي عرب اليمن ، فمرة يقولون إنهم من عاملة إحدى بطون قضاعة ، وتارة يقولون إنهم من ولد المسور بن السكاسك بن وائل بن حمير . كما ذكر بأن هناك أعداداً كبيرة منهم في المغرب العربي .

وعلى هذا فهناك تضارب كبير في أصل هوارة والبربر ، كما أن البربر أنفسهم كانوا مصدر نقاش حول أصلهم ، وقد رأى بعض الباحثين أنهم حاميون من الشام أو سوريا وأن لهم صلة بالفلسطينين . غير أن أغلبية المصادر تميل إلي الاعتقاد بأنهم من أصول يمنية رحلت منذ عهد بعيد إلي شمال إفريقيا . ولكن مما يثير الانتباه هو أن الهوارة منذ فجر عهد التدوين العربي كانوا يرجعون أصولهم إلي العرب ، وما زالوا يفعلون ذلك .

هناك رأي آخر عن البربر وهو ما لم يقل به البربر أنفسهم ولكن بعض الباحثين الأوربيين يرجعون أصلهم إلي أنهم هم سكان إسبانيا وفرنسا والجزر البريطانية قبل ظهور شعب الكلتك CELTIC وغزوه لهذه البلاد ، وأنهم اضطروا إلي النزوح من بلادهم التى كانوا فيها تحت ضغط هذا الشعب . وهكذا وصلوا إلي المغرب العربي . ولكن الأمر الهام هو أنه عند ما وصل العرب إلي شمال إفريقيا وجدوا البربر هناك . وفي القرن الرابع عشر الميلادى كان الهوارة يسكنون في طرابلس وفزان ، كما كانت هناك جماعة في تونس ، وأخرى في الجزائر وقد اختلطت بالعرب هناك . وبالرغم من النزاعات العربية البربرية إلا أن المجموعتين كانتا تختلطان بالتزاوج والمصاهرة. وكانت قوة الهوارة آخذة في الزيادة وبلغت شأوا بعيدا في العهد الفاطمي بين السنوات (٢٩٦ – ٥٦٧ هـ /٩٠٨ – ١١٧١ م). ولكن بعد ذلك أخذت قوتهم في التضعضع بسبب ضغوط هجرات ومنافسات بربرية عليها . ونجد أنهم بعد ذلك قد أخذوا في الاتجاه شرقا نحو مصر ، وما لبثوا أن استقروا في " الديار المصرية وبالبحيرة ، ومن الإسكندرية غربا إلي العقبة الكبيرة من برقة " [١٩]. وظلوا في أماكنهم تلك حتى نهاية المائة السابعة

[١٩] مسالك الأنصار عن القلقشندى . نهاية الارب .

الهجرية وذلك في عصر الدولة الظاهرية . ثم جاءت أفواج من زنارة وحلفائها وبقية عرب البحيرة فغلبوهم على مواطنهم تلك ، فنزحوا منها إلي صعيد مصر ، ونزلوا بالأعمال الإخميمية .

وهناك تكاثروا وقوي جانبهم ، وأصبحوا قوة لا يستهان بها ، فأخذوا ينتشرون في سائر أنحاء الصعيد فيما بين قوص إلي غربي الأعمال البهنساوية . وفي تلك الجهات أعطوا كثيرا من الإقطاعيات ، وصارت لهم إمارة ، وأعطيت لهم إمارات إحداها في بلاد إخميم وجعلت لأولاد عمر ، وأما في البهنسا وما حولها فقد أعطيت لأولاد غريب .[٢٠]

ذكر الحمداني بعض بطونهم ومنها بنو مجريش ، وبنو أسرات ، وبنو قطران ، وبنو كريب . ولكن على أيام القلقشندي (٧٥٦ – ٨٢١ هـ) زادت هذه البطون ، وكثرت أعداد القبيلة حتى قال عنهم بأنهم " لا يكادون يحصون " . ثم أصبحت لهم بطون بالصعيد منها بنو محمد ، وأولاد مأمن ، وبندار ، والعرايا ، والشلكة ، وأشحوم ، وأولاد مؤمنين ، والروابع ، والروكة ، والبردكية ، والبهاليل ، والأصابغة ، والدناجلة ، والمراسية ، والبلازد ، والصوامع وفزارة ، والعبابدة والإمرة فيهم لأولاد عمرو . ومن الأعمال البهنساوية وما معها لأولاد غريب ، والأمر على ذلك حتى ذلك التاريخ " .

وفي عام ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م كانت قوة قبيلة الهوارة قد بلغت مبلغا عظيما جعلها تهاجم إدارة أبناء كنز الدولة في أسوان ، تلك الإمارة التي رسخت أقدامها هناك بعد أن حاق بالصعيد ما حاق من جراء الجفاف وعدم فيضان النيل والمجاعات في سنة ٨٠٦ هـ / ١٤٠٣ م) حتى أصبحت

---

[٢٠] نفس المصدر

البلاد بلا وال يحكمها من قبل القاهرة . فما كان من هـوارة " في محـرم سـنة خمـس عشـرة وثمانمائـة / ١٤١٢ م إلا أن زحفـت علـى أسـوان ، وحـاربت أولاد الكنز وهزمتهم ، وقتلت كثيرا من الناس ، وسبوا ما هناك مـن النسـاء والأولاد واسـترقوا الجميـع ، وهدمـوا سـور أسـوان ، ومضـوا بالسـبي وقـد تركوها خرابا يبابا لا ساكن فيها فاستمرت على ذلك .. " [٢١]

وكان سبب انتقال هوارة إلي الصعيد هـو السـلطان الظـاهر برقـوق الـذى حكـم مصـر سـنة ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م - ٧٩٠ هـ / ١٣٨٨ م فأمرهم بالخروج من منازلهم التى كانوا فيها منـذ أيام الفـاطميين في البحـيرة والإسكندرية ليقطنوا الصعيد الأعلـى . و كـانت في هـذه السـنة قـد أنتهـت الثورات العربـية في الصعيد ضد المماليك ، ولم يبق كثير من القبائل العربية إذ هاجر الكثير منها إلي بلاد السودان ، وقل عـدد العربـان في هـذه المنطقـة [٢٢] وصارت إمرة عربان الصعيد كلهم في يد أحد زعماء هوارة هو عمر بن عبد العزيز الهواري المتوفي سنة ٧٩٩ هـ/ ١٣٩٦ .

ومن أهم ما اشتغلت به هوارة في الصعيـد الزراعـة ، فقـد اسـتقرت جماعات منهم حيث بدأت في زراعة الأراضي بالصعيد وخاصة زراعة قصـب السكر .

لم تزحف هوارة فقط على أسوان وتنتزعها من أبنـاء الكـنز في تلـك السنة ، بل إنها أخذت في الزحف أيضا على الأراضى السودانية خاصة تلك الفئات البـدوية والرعويـة منهـا التـى لم تجـد مـا كـانت تنشـده مـن مـراع في الصعيد . وكما عرفنا فـإن هـذه القبيلـة كـانت قـد ازدادت في أعدادهـا إلي

---

[٢١] المقريزى .

[٢٢] عبد المجيد عابدين : التعليق على البيان . ص (١٣٤) .

الحد الذى جعلها تسيطر على المنطقة فكان لا بد لها من البحث عن رقعة من الأرض أوسع من تلك التى كانت قد وجدتها في أسوان . وبنزوح بطون من هوارة إلي السودان أصبحت هناك جماعتان منهم إحداهما في صعيد مصر والأخرى في السودان . غير أنه حتى القرن الثامن عشر الميلادي (الثاني عشر الهجرى) كانت هناك أسرة واحدة تحكم الفرعين وهي أسرة (أولاد همام) . [٢٣]

ليست هناك جذور عربية لقبيلة الهواوير أو الهوارة في شبة الجزيرة العربية الآن ، رغم ما قيل من أن أصولهم ترجع إلي اليمن . ولكن مما لا شك فيه أنهم امتزجوا ببعض الدماء العربية التى استقرت بينهم في منازلهم بإفريقيا. أما تلك الجماعات التى اضطرت إلي الهجرة إلي غربي السودان في القرن التاسع الهجري فقد وجدت وطنا لها في دارفور وعرفت باسم الهوارة الجلابة ، وكما يدرك من لفظ الجلابة الكثير الاستعمال في السودان والذى يعنى أولئك الذين يجلبون التجارة فإن هذه الشعبة من الهوارة أخذت في النزوح إلي أن وصلت دارفور ، واستقرت هناك ، وامتزجت بأهل البلاد ؛ وأما الهوارة الرحل الذين يرعون الإبل فان موطنها الأصلي في السودان يمتد من غربي وادي الملك إلي صحراء بيوضة . وبوجودهم في هذه المنطقة فإنهم جاوروا الكبابيش أيضا ، ويتنقلون من جهة لأخرى طلبا للمرعى ، وهذا يجعلهم يصلون إلي دنقلة وما حولها ، كما أنهم يصلون إلي ضواحى الخرطوم طلبا للمرعي والرزق .

---

[٢٣] ماكمايكل ٢١٨

الأنصار

بنو عِكْرمة وبنو جعد وبنو ربيعة والنوبة والدناقلة

٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م

بنو عكرمة ، أو طائفة العكارمة كما أسماهم المقريزى في كتابه السلوك هم جماعة من الأوس يرجع نسبها إلي الصحابى الجليل سيد الأوس سعد بن معاذ . وكانوا من بين البطون العربية التى رحلت إلي مصر ، واستقرت بالقرب من منفلوط . ولا يعرف عنهم أنهم اشتركوا في صراع مع الحكومات التى تعاقبت على مصر . ولكن حدث أن شقت جماعات منها طريقها إلي صعيد مصر كما فعل غيرها من العرب ، ومن هناك اشتركت مع قوات المماليك النظامية في محاربة النوبة ، والتوغل في أراضيها . وكانوا وهم يسللكون تلك السبيل قد أخذوا يخالطون أبناء كنز الدولة في أسوان . ولم يتوقف نشاطهم في منطقة أسوان فحسب ، بل تعدوها حتى وصل نفوذهم وبطشهم إلي منطقة سواكن أيضا ، وأصبحوا قوة صغيرة على طريق التجارة بين أسوان وسواكن أثناء اختراق الصحراء الشرقية ، وازدادت حدة نشاطهم حين قطعوا الطريق على التجار والمسافرين ، واعتدوا على أموال الناس ، واستولوا عليها عنوة . وكانوا قد وجدوا في أبناء الكنز خير معين لهم على ذلك خاصة وأن الكنزيين كانوا قد سيطروا على أسوان

وصحراء عيذاب والواحات الداخلية [٢٤] . وكان هناك حلف قوي قد تكوّن من أبناء الكنز لكل من ملوك النوبة وطائفة العكارمة ، وبذلك أصبح لهذا الحلف الثلاثي قوته في ذلك المثلث الممتد بين أسوان ودنقلة وعيذاب والذي يشتمل على الصحراء الشرقية في شمال شرقي السودان بل ويمتد إلي سواكن .

بهذا التحالف قويت سواعد العكارمة ، وتخوف منهم العربان من مختلف القبائل الذين كانوا قد نزحوا إلي تلك الجهات ، كما أن دولة المماليك لم تكن راضية عن هذا الحلف الذى ثبتت حذوره في عام ٧٦٧/ ١٣٦٥ / ٦٦م) . ويذكر المقريزى هذه المصاهرة على أن أبناء الكنز قد " صاهروا أمراء العكارمة ، واشتدت شوكتهم[٢٥] " . وأصبحوا خطرا على نفوذ المماليك في الصعيد ، وبلاد النوبة ، وتجارة البحر الأحمر عن طريق سواكن وعيذاب ، مرورا بصحرائها ، و وصولا إلي قوص وأسوان . وانتشارهم هذا يدل على أنهم كانوا قد سيطروا على كل الطرق التجارية الهامة بين إفريقيا وآسيا .

وكانت سياسة المماليك تهدف دائما إلي عدم إعطاء فرصة للعرب لكسب أى نفوذ أو أراض جنوبي مصر خوفا على سلطانهم في مصر . ولذلك فقد كانوا يتبعون الضربة بالضربة لتقويض قواهم ، وتشتيت شملهم . وكان أهم ما يرمون إليه هو ألا يكون هناك تحالف نوبي عربي كنزي مشترك في جنوبي الأراضي المصرية وسائر الأراضي السودانية .

---

[٢٤] المقريزى : السلوك عن مسعد ص ٣٧٤ .

[٢٥] مسعد : المكتبة السودانية العربية – ص ٣٤٧ – عن كتاب السلوك – الجزء الثاني للمقريزى .

ويصف المقريزى ما حدث في سنة ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م بالصعيد فيقول بأنه في تلك السنة " قدم الخبر بكثرة فساد أولاد الكنز وطائفة العكارمة بأسوان وسواكن ، وأنهم منعوا التجار وغيرهم من السفر لقطعهم الطريق ، وأخذهم أموال الناس ، وأن أولاد الكنز قد غلبوا على ثغر أسوان وصحراء عيذاب ، وبرية الواحات الداخلية ، وكانوا قد صاهروا ملوك النوبة ، وكذلك صاهروا أمراء العكارمة ، واشتدت شوكتهم " .

هكذا ازداد نفوذ بني الكنز كما توسعت رقعة الأرض التى كان لهم نفوذ فيها ، ومن بينها سواكن والطريق التجارى بينها وبين المماليك مما هدد اقتصاد دولة المماليك بمصر .

رأى المماليك آنذاك أن مملكة النوبة قد بدأت في الضياع من أيديهم إلي أيدى بني كنز الدولة وأصهارهم العكارمة من جهة ، وبين بني جعد من جهة أخرى ، فخشوا من هاتين القوتين المتنافستين على حد سواء .

بنو جعد

وبنو جعد هم بطن من لخم ، وكانت منازلهم في ساحل إطفيح من البر الشرقي بصعيد مصر . ولكن لم تلبث هذه القبيلة أن انتقلت عشائر منها إلي بلاد النوبة حتى أحاطت بعاصمتها دنقلة حيث تكاثرت بطونها هناك ، وقويت شوكتها ، وأخذت في التقرب إلي بعض أمراء البيت المالك في دنقلة ، كما كانت تتحين الفرص لتكون لها مكانة في مملكة النوبة ، وموضع قدم لسلطان في المستقبل . وقد ساعدهم علي ذلك نظام الوراثة في مملكة النوبة الذي يجعل لأبناء الأخوات حقوقا في الملك .

وبينما كانت الأمور تسير على ذلك في صعيد مصر ومملكة النوبة وصلت بعثة من ملك النوبة فيها الأمير ركن الدين كِرِنْبس النوبي ، ومعه الحاج ياقوت ترجمان النوبة وأرجون مملوك فارس الدين إلي مصر ، وكانت معهم رسالة من ملك النوبة إلي السلطان يخبره فيها بأن ابن أخته خرج عن طاعته ، وأنه بعد التحالف مع بني جعد هاجم الملك النوبي ، واستطاع أن يهزمه ويقتله ، ثم أقام في مكانه أخاه وأنهم ذهبوا إلي قلعة الدوّ بين أسوان ودنقلة وتحصنوا فيها . ثم إن ابن أخت الملك المقتول استولي على دنقلة ، وتربع على عرشها .

ولكن بالرغم من تحالفه مع بنى جعد إلا أنه لم يكن مطمئنا على ملكه منهم ، وكان يشعر بأنه رهينة في أيديهم ، وأنهم ربما وثبوا عليه في أى وقت يرونه مناسبا وبذلك يحتلون البلاد ويأخذون الملك لأنفسهم . لذلك فقد خشي منهم ، ورأى أن يتغدى بهم قبل أن يتعشوا به .

رأى الملك النوبي الجديد أن يلجأ إلى الحيلة للتخلص من بني جعد ولذلك فقد قرر الاحتفال بانتصاره وإياهم على خاله ، فأولم وليمة كبيرة في دار أعدها لذلك ، وقدم أمراء بني جعد تلبية للدعوة الكريمة التى وجهها إليهم . واجتمعوا في تلك الدار التى كان يحيط بها عدد كبير من أبناء النوبة للاحتفاء بهم . وعند ما صُفَّتْ الموائد ، واشتغل أمراء بني جعد بتناول الطعام ، أمر الملك الجديد بإحراق الدار التى امتلأت بالضيوف الجعديين ، كما كانت الدور المحيطة بها قد ملئت حطبا وقصبا . فلما أكل بنو جعد وشربوا ، وقفت جماعات النوبة على باب الدار ، كما أضرم آخرون النار فيها وفي ما حولها ، وتأججت النيران ، واندلعت في كل مكان ، وأحاطت بأمراء بني جعد ، وقتل أبناء النوبة في تلك الحادثة " تسعة عشر أميرا من

أمراء بنى جعد فى عدة من أكابرهم " [٢٦]. ثم أسرع الملك النوبي إلي معسكر بني جعد حيث كانوا يقيمون وهناك فاجأهم بالقتل والتنكيل بهم ، وقتل منهم مقتله كبيرة ، وانهزم الباقون ،واستولى على أموالهم وما استولوا عليه من أموال سكان دنقلة ، ثم هجر المدينة العتيقة خوفا من بني جعد ، ورحل بمؤازريه إلي قلعة الدوّ حيث كان هناك الملك النوبي الذى كان قد اعترف به المماليك ، ونصبوه ملكا على النوبة هناك . ورأى هذا الملك الجديد أن يتفق مع ملك الدوّ بأن يكون نائبه على الملك . كذلك فقد طلب الملكان من السلطان الملك الأشراف شعبان أن يعينهما على القبائل العربية ، ويساعدهما على استعادة الملك ، وأعلنا التزامهما بأن يرسلا إلي مصر ما يقرره الملك من أموال وهدايا وغير ذلك .

رأى السلطان المملوكي الأشراف شعبان أن الأمور في أسوان وجنوبها حتى دنقلة قد أخذت تفلت من بديه وتقع فى أيدى العرب من أبناء كنز الدولة الربعيين وأصهارهم العكارمة وأبناء الكنز النوبيين الذين تولوا ملك النوبة منذ سنة ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م ؛ لهذا فقد قرر السلطان الأشرف أن يتخذ من الإجراءات ما يكفل له الحفاظ على ممتلكاته ونفوذه في الصعيد الأعلى والنوبة .

أمر السلطان الأشرف شعبان أحد أمرائه وهو الأمير أقتمر عبد الغنى حاجب الحجاب ، والأمير الجاي أحد أمراء الألوف وعشرة أمراء عشرات وغيرهم من المماليك السلطانية للاستعداد للسفر وخوض المعارك ضد أولئك العرب . وصدر الأمر في ١٦ ربيع الأول سنة ٧٦٧ هـ ، وتمت الاستعدادات الحربية فى ٢٤ من نفس الشهر ، وبلغ عدد جنود المماليك

---

[٢٦] المقريزى : السلوك عن مسعد .

ثلاثة الاف فارس ، ثم ساروا إلي قوص حيث بقوا فيها ستة أيام ، وهناك استدعوا أمراء بني كنز الدولة من ثغر أسوان ، وعمدوا إلي استمالتهم إليهم بالحسنى ، وتخويفهم من مغبة الخروج على السلطان ، وعصيان ملكه . ولما لم يكن لأمراء بني كنز الدولة قبل بهذه القوة ، فقد أظهروا الطاعة منذ أن وصلوا عقبة أدفوا ، وأتوا إليه طائعين . ثم سار بهم جنوبا نحو النوبة حتى وصل إلي قلعة أبريم ، فأتي إليه أمراء العكارمة طائعين ، ولكنه كان قد أضمر في نفسه شئيا ، فاتفق الأمير المملوكي مع ملك النوبة على إلقاء القبض عليهم وأبناء الكنز ، وهذا ما حققوه بالفعل فأصبح الجميع أسارى لديه .ثم تقدم الجيش المملوكي المكوّن من حوالي ثلاثة آلاف فارس حتى وصلوا إلي جزيرة ميكائيل وهى المقر الرئيسى لبني عكرمة . فأحاط بهم الجيش من كل مكان ، ثم قتل منهم جماعة بالنشاب والنفط ، وفر بعضهم ، وغرق كثير منهم ، وأُسر آخرون ، ونجا من نجا ، وسيق " النساء والأطفال والأسرى والغنائم إلي عند الأمير المملوكي أقتمر ، فقرق من السبي عدة من الأمراء " العكارمة على قواده ، وأطلق عددا منهم ، ثم خصص جماعة منهم للسلطان لخدمته الخاصة على ما يبدو ، وسمح لملك النوبة بالبقاء بقلعة الدوّ لتكون مقرا لمتملك النوبة الجديد خوفا من المخاطر التى تكتنف منطقة دنقلة التى كان يحيط بها بنو جعد ، كما أنها لحقها الكثير من الخراب والدمار . وعقدت معاهدة بين ملك النوبة ومندوب السلطان المملوكي تؤيد استقرار الملك النوبي في قلعة أبريم ، كما وافق هذا الملك على أنه ليس هناك ما يدعو إلي بقاء الحملة العسكرية في بلاده بعد ذلك ، وأنه بإمكانها أن تعود أدراجها إلي الديار المصرية . وبالفعل فقد عاد الأمير أقتمر بالأسرى وبالغنائم والأسلاب والهدايا التى قدمها ملك النوبة ، وهى عبارة عن أعداد

من الخيل والإبل والرقيق والتحف . وأخذ أمراء الكنز والعكارمة وهم يرسفون في الأغلال إلي أسوان حيث أقاموا بها سبعة أيام ، ونودى فيها بالأمان والإنصاف من أولاد الكنز ، فرفعت عليهم عدة مرافعات ، فقبض على عدة من عبيدهم ووسطوا " .[٢٧]

ولم تنته الأحداث إلي هذا الحد ، لأن السلطان الأشرف شعبان عين واليا بأسوان على إقطاع أولاد الكنز ، ولم يعهد مثل ذلك من قبل إلا حين نزع السلطان صلاح الدين أملاكهم وأقطعها إلي أمراء أخيه شمس الدولة توران شاه . ولهذا فقد حنق أبناء الكنز على المماليك الذين سلبوهم أملاكهم والتى وهبوها للأمير المعروف بالدم الأسود . ولم يكتف السلطان بانتزاع أملاك وأراضى أبناء الكنز فحسب ، بل إنه سلم كل من كان نزيلا في سجون القاهرة من أمرائهم إلي الدم الأسود الذى حملهم معه إلي قوص ، فسمرهم جميعا ، ثم ذهب بهم مسمرين من قوص إلي أسوان حيث وسطهم هناك . وبلغ التذمر في أهلهم وذويهم مبلغا عظيما ، وشق ذلك على أهليهم وعبيدهم ، فاجتمعوا بالعكارمة ، وزحفوا فى جموع عظيمة إلي أسوان حيث لقيهم الدم الأسود بجنوده ، ولكنهم هزموه ، فركن إلي الفرار ، وقتل عدد من مماليكه في ساحة المعركة ، ودخلوا أسوان فأحرقوا الدور ، وقتلوا الناس وأبادوا من أبادوا .

ولم يتوقف هذا الصراع بين أبناء الكنز ومن معهم من عرب وبين المماليك لأنه في عام (٧٨٠ هـ / ١٣٧٨ م) على ما ذكر المقريزى أحضر والى أسوان أحد عشر " رأسا من أولاد الكنز ومائتي رجل منهم مصفدين

---

[٢٧] المقريزى ، عن مسعد ص ٣٥١

فى الحديد ثم علقت الرؤوس على باب زويلة ، ولم يعهد هذا من قبل " [٢٨] . ومع أبناء الكنز هؤلاء يتوقع أن يكون غيرهم من العرب سواء من بنى عكرمة أو غيرهم مما يجعل حياتهم في أسوان في جحيم ، ومما يشجعهم على الهجرة إلي أراضي النوبة في السودان .

ومما لا ريب فيه أن هذه الأحداث الدامية ، والحروب الدائمة بالإضافة إلي أراضى السودان الشاسعة قد ساعدت في إضعاف الوجود العكرمي أو الجعدي في بلاد النوبة ، كما أن وجود هاتين القبيلتين وسط الخضم النوبي أدى إلي النزوح والانصهار ، وبهذه الكيفية اختفى كل من بني عكرمة وبني جعد كقبائل عربية لها اسمها القديم وكيانها وعروبتها ولغتها التى جاءت بها من الجزيرة العربية . ولما كانت كل منهما قد فقدت أكثر رجالها ونسائها وذراريها فقد اندمجتا في العائلات النوبية أسوة بما حدث لبنى كنز الدولة . ومن هذا الاختلاط والمصاهرة ظهرت قبيلة الدناقلة ونشأت من ذلك الاندماج بين النوبة وبنى عكرمة والجعديين وغيرهم من الأقليات العربية الأخرى التى كانت قد استقرت حول تلك العاصمة العتيقة .

فزارة

عند ما زار الرحالة البريطاني جيمس بروس الأراضي السودانية سنة ١٧٧٣ م في أيام السلطنة الزرقاء رسم خريطة للمدن والقرى والأماكن التي زارها آنذاك سواء أكان ذلك في السودان أم الحبشة . وقد أظهر في

[٢٨] مسعد ص ٣٥٢

الخريطة التي رسمها لتوضيح طريق سفره فى المناطق التي مر بها قبيلة فـزارة ، وكتب اسمها فى الأراضي الواقعة وراء الضفة الغربية للنيل فى محاذاة مدينـة شندى . وتقع هـذه الأرض الآن فـى منطقـة ينتشـر فيهـا الجعليـون والهـوارة والكبابيش ، ولم يبق فيها من فزارة أحد . وأظهر بروس أيضا قبيلة بنى جرار جنوب بنى فزارة مما يشير إلي أن بني جـرار قـد انقسـموا وتفرعـوا مـن بنـى فزارة قبيل رحلة بروس التى نتحدث عنها .

وتاريخ فزارة بن ذبيان له شهرته الأدبية فى تـاريخ الحـروب القبليـة العربية في الجاهلية ، تلك الحروب التى خلدت اسم عنترة بن شداد العبسي. وقد نشبت حـرب داحـس والغـبراء بـين هـاتين القبيلتـين ، والتـى قبـل إنهـا استمرت أربعين عامـا ، فهلـك مـن القبيلتـين كثـير مـن الرجـال ، وأصيبـت حياتهم بالشلل حتى توسط في نزاعهما رجلان مصلحان هما هرم بـن سـنان والحارث بن عوف اللـذان تحمـلا ديات القتلى مـن الجـانبين ، وتوصـلا إلي المصالحة الناجحة بعد ذلك . وقد أثنى عليهما الشاعر الحكيم زهـير بـن أبـى سلمى وخلد أعمالهما الإنسانية فى معلقته .

ولما انتهت هذه الحرب ، وظهر الإسلام بتعاليمه الإنسـانية السـمحة زالت العداوة والشحناء التى كانت بـين أبنـاء العمومـة وحلـت محلهـا روح الوحدة الإسلامية ، والجهاد في سبيل ا لله .

ويقول القلقشندى فى نهاية الأرب إن بني فزارة بـن ذبيـان هـم مـن غطفان القحطانية ، ولكن الذى عليه أكثر المصادر أنهم من العدنانيـة . وقـد جاء فى كحالة " منهم بطن عظيم من غطفـان العدنانيـة ، وأنهـم مـن بطـون مضر بن نزار بن معد بن عدنان . وقال بـأن منـازل فـزارة كـانت فـى وادي

القرى ونَجْدٍ عند ما كانوا في الجزيرة العربية قبل نزوحهم إلى مصر وغيرها من الأمصار الإسلامية .

وعند ما أراد النبي صلى الله عليه وسلم إخضاع خيبر إلي الدولة الإسلامية أراد بنو فزارة أن يقفوا مع أهل خيبر ، فوعدهم النبي صلي الله عليه وسلم ببعض أشياء إن هم ابتعدوا عن مؤازرة أهل خيبر ، ولكنهم رفضوا قبول وعد الرسول صلى الله عليه وسلم . فلما بدأ الحصار لخيبر ، وقفوا بمنأى عن الجانبين إذ لم يقبلوا في أول الأمر بما طلبه منهم النبي (ص). فلما رأوا موقف أهل خيبر الضعيف بعد الحصار ابتدروا المسلمين مطالبين بأن يكون لهم نصيب في أموال أهل خيبر ، كما هددوا بالقتال إن لم يستجب لطلبهم . ولكنهم رأوا أنه لا قبل لهم بالمسلمين وقوتهم المتزايدة ، فأرسلوا في آخر الأمر وفدا منهم للرسول (ص) ليعلن عن عزمهم فى اعتناق الدين الإسلامي ، فقبل الرسول (ص) وفدهم وعزمهم على الدخول فى الإسلام ، وهكذا أصبحوا من جماعة المسلمين .

في العصر الأموىدخل الفزاريون في قتال مع بنى كلب وذلك فى خلافة عبد الملك بن مروان . وفي سنة ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م وقفوا بمنأى عن القبائل العربية التى اشتركت في الشغب والفساد في المناطق القريبة من المدينة المنورة ، ذلك الشغب الذى أدى إلي أن يسير الأمير بغا إلي حربهم ، فدوخهم ، وكانوا من العدنانية وفيها سُلَيْم وهلال ، وأسر منهم أعدادا كبيرة ، كما قتل منهم كثير ين ، وألقى القبض على آخرين ، وقيدهم بالسلاسل والأغلال ، وكانوا حوالي ألف نفس .

وكان سبب هذه الأحداث أن بطونا من قيس قد عاثت فسادا فى طريق الحاج بالحجاز ، وقطعوا الطريق حتى تخلف الناس عن الحج ، ونصبوا

رجلا من سليم يقال له عُزيْرة الخفافى وسلموا عليه بالخلافة [٢٩] . ويبدو أن هذا الحلف القيسي الذى كان يضم بنى سُليم دون فزارة قد كان له أثره بعد أن حاقت بهم الهزيمة على يد الأمير بغا الكبير في خلافة الواثق . كما أن مصير هذه القبائل القيسية كان مؤلما مما اضطرهم دون شك إلي الفرار من الأمير بغا وكافة أمراء الأتراك في الدولة العباسية من الجزيرة العربية إلي مصر وما وراءها سواء غربا أم جنوبا . ومما يلاحظ فإن بني فزارة وبني سليم اجتمعوا في مصير واحد منذ ذلك التاريخ ، وكانا في حلف خارج الجزيرة العربية .

ويبدو أن هجرة بني فزارة من أوطانها كادت تكون تامة[٣٠] لأنه على ما ذكر ابن خلدون كانت منازلهم في الجزيرة تكاد تكون خالية منهم على أيامه . أما الهمدانى فقد ذكر أنه كان هناك جزء كبير منهم يسكن مصر العليا ، كما كانت هناك جماعات في الدلتا وقليوب .

بسبب هذه الهجرة فقد كانت هناك أعداد كبيرة من قبيلة فزارة في مصر ، وسكن كثير منها في منفلوط والصعيد . غير أن فزارة بعد أن استقر بها المقام في مصر ما لبثت أن أخذت بعض بطونها في النزوح من الديار المصرية إلي برقة ، وذلك على عهد وزارة أمير الجيوش بدر الجمالي وزير الخليفة الفاطمي المستنصر با لله سنة ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م ، فقد قام بدر الجمالي بتهجير أعداد من بطون هذه القبيلة إلي برقة ومعهم أيضا جماعات من سليم . ولما كانت قبيلة فزارة من القبائل العربية التى نزلت في صعيد مصر ، فإنها كانت بلا ريب عرضة لتلك الحملة التأديبية التى جردها أمير

---

[٢٩] اليعقوبي – ج – ٢ – ص ٤٨٠ اقرأ ما كتب عن قبيلة سُليم فى هذا الكتاب .

[٣٠] يوسف فضل : العرب والسودان ص ١٦٦

الجيوش بدر الجمالي والتي تعرضت بسببها القبائل العربية هناك لشيء كثير من الاضطهاد والفرار من وجهه .

استقرت بطون من فزراة فى الأماكن الواقعة بين برقة وطرابلس والمغرب الأقصي . وقد كتب عنهم ابن خلدون بأن " بإفريقية لهذا العهد (توفي ٨٠٨ / ١٤٠٦ م) احياء كثيرة اختلطوا مع أهله ، فمنهم من المعقل بالغرب الأقصي أحياء كثيرة لهم عدد وذكر بالمعقل إلي الاستظهار بهم حاجة. ومنهم مع بنى سليم بن منصور بإفريقية طائفة اخرى احلاف لأولاد أبي الليل من شعوب بنى سليم يستظهرون بهم فى مواقف حروبهم ، ويولونهم على ما يتولونه للسلطان " . إذن فإن التحالف الذى قام بين فزارة وبني سليم كان تحالفا قويا استمر لعدة قرون ، وكان قد ابتدأ في الحجاز حين هاجمهم الأمير بغا الكبير ، ثم استقر في مصر ، ومنها إلي برقة والمغرب . وفي نفس الوقت كان قويا في صعيد مصر ، حتى إذا جاءت السلطنة المملوكية ، وأوقعت بالعربان انتقلوا معا إلي الأراضي السودانية ، فسكنت فزارة أول أمرها في البراري القريبة منَ شَنِدي وهى مناطق يعيش فيها الجعليون بالقرب من النيل ، ويجاورهم فى المراعي الهواوير (الهوارة) والكبابيش .

ومع هذا الاستقرار الذى كانت تعيش فيه فزارة ومن رحل معها من أقليات قبلية أخرى إلا أننا نجدها قد وصلت إلي دارفور . وقد اهتم بذكرها محمد بن عمر التونسي فأومأ إلي نشاطها في تربية الإبل ، وأسماها بالفزارة التى " ترعي الإبل " مما يوحى بأن هناك فزارة أخرى ترعى الماشية أو غيرها ، ويقول بأنها انقسمت إلي عدة بطون ، فيقول " أما أهل الإبل فمنهم الفزارة وهم المحاميد ، والمجانين ، وبنو عمران ، وبنو جرار ، والمسيرية الزرق

وغيرهم . وعلى كل من هؤلاء ضريبة يأخذها السلطان من أموالهم في كل سنة [٣١]. وهكذا أوضح التونسي القرابة التى تمتّ بها هذه البطون (التى أصبحت قبائل) إلي فزارة ، والتى دلت على هجرة فزارة إلي غرب السودان حتى وصلت دارفور .

وقد اختلطت أنساب بطون فزارة بجهينة فى دارفور ، وأصبحت بعض هذه البطون مثل دار حامد ترجع نسبها إلي جهينة . ولا شك أن مثل هذا الخلط ناتج عن مصاهرات زعماء القبائل بعضهم ببعض ، ثم الانتماء إلي القبيلة التى حدثت فيها المصاهرة . وكثيرا ما يأخذ أبناء الرعية نسب زعمائهم الذين أصبحوا منهم رغم أنهم من ديار أو قبائل أخرى .

وكثيرا ما تنتج هذه الاسماء الفرعية للقبائل من اختلافات بين أبناء الأسرة الواحدة ، فينتقل الفرد الغضبان من أهله ، ويسكن فى حيٍّ بعيد بعض الشيء ، ويتسمى من خرج معه باسمه ، فينطلق الاسم عليهم ، وينسى الاسم القديم الأصلي رغم عراقته . وربما كان من قبيل النصح أن يهمس رجل مثلي في آذان أبناء فزارة الذين انحدروا من هذه القبيلة التاريخية الفذة ويستردوا اسمهم العريق بدلا من اسمائهم التى ظهرت فى القرن التاسع عشر إذ أن في رجوعها إلي الأصل اتحاد ، وقوة ، وتاريخ مجيد ، وإشباع لرغبة أمثالي في العيش في التراث العتيق مع الأصالة العربية الحقة .

ومما تجدر الإشارة إليه أن اسم فزارة لم يندثر في مصر إذ ما زال منتشراً مع بقية أبناء القبيلة الذين تخلفوا عن ركب إخوانهم . ويقول عابدين

---

[٣١] محمد عمر التونسي : تشحيذ الأذهان ص ١٣٩ /١٤٠ – طبعة تراثنا .

" ولا تزال قرى تحمل اسم فزارة في مصر ، ففي[٣٢] الصعيد فزارة التابعة لمديرية جرجا ، والفزارية التابعة لمنفلوط . "

هوازن

الحلنقة (الحلنقا)

من بين القبائل العربية التى نزحت إلى السودان قبيلة هوازن العربية. وكانت هذه القبيلة تسكن الحجاز . وترجع المصادر العربية أصلها إلى ثقيف. وكان استيطانها فى الحجاز قبل هجرتها إلى الأراضي السودانية . كما أن تاريخ غزوة الرسول (ص) لها معروف ، إذ أنه خرج لغزوها بعد أن تم له فتح مكة المكرمة ، وصحب معه حوالي اثني عشر ألفا من المجاهدين المسلمين فى ٦ شوال سنة (٨هـ / ٦٢٩م) . وأبدت هوازن مقاومة شديدة للمسلمين الذين انتصروا عليها فى آخر الأمر ، ولكن النبي (ص) أكرمهم ورد لهم السبي عندما أتوا إليه مسلمين كما هو فى كتب التاريخ .

وفى عهود الاضطرابات والثورات فى الدولة الإسلامية اشتركت هذه القبيلة فى بعضها ، وقد كان لها دور فى معركة الجمل بين علي كرم الله وجهه وبين خصومه فى تلك المعركة وذلك فى سنة (٣٦هـ / ٦٥٦م) . ويذكر كحالة بأنهم اشتركوا فى أحداث سنة (٥٢هـ / ٦٧٢م) . وكانت أهم تلك الأحداث مقتل سيدنا الحسين بن علي فى معركة كربلاء ومعه عدد كبير من آل البيت . ولم يخف بنو هوازن تشيعهم

---

[٣٢] عبد المجيد عابدين : التعليق على البيان والإعراب ص ١٥٣ .

لآل علي ، وكان من جراء ذلك أن وجدوا اضطهادا وعنتا من الحجاج عندما قتل عبد الله بن الزبير ، واستولى على مكة المكرمة . وكانت هوازن تسكن وترعى في وادى حنين بالقرب من الطائف حيث تسكن ثقيف قبيلة الحجاج . ومع أن المصادر العربية لا تذكر بالضبط نوع ذلك الاضطهاد الذى تعرضت له هوازن إلا أن الحجاج لم يكن بالوالي الذى خفيت أنواع تعسفه على الدارسين وقد عانى منه سكان مكة الكثير . [٣٣]

لهذا فقد آثرت هوازن أن ترحل من ذلك العسف الذى كان من الحجاج ، وربما من قبيلة ثقيف أيضا ، وقررت الفرار من وجهه إلى أقرب الأراضى لها . وكما يروى لنا محمد صالح ضرار فإن هوازن رحلت من الجزيرة العربية ، وعبرت البحر الأحمر إلى عيذاب فى وقت مبكر من العصر الإسلامي . ولم تتجه بعد ذلك إلى أسوان أو مصر كما فعلت كثير من القبائل العربية الأخرى في نهاية القرن الأول الهجري ، بل إنها اخترقت صحراء البجة من عيذاب إلى جهات سواكن التى لم يكن لها شأن يذكر آنذاك ، ثم سارت جنوبا بحذاء ساحل البحر الأحمر حتى وصلت مصوع أو باضع كما كانت تسمى ، ومن هناك توغلت عبر أراضي التيجري إلى الحبشة حيث استقر بها المقام . ولكن الحبشة كانت منقسمة على نفسها ، وكثر حكامها الذين يعرف كل منهم بالرأس ، وكثر تعديهم على أبناء هوازن الذين كانوا بين ظهرانيهم ، وكثرت الأتاوات التى يتقاضاها أولئك الرؤوس مما جعل هوازن تفكر فى الارتحال من الحبشة واللجوء إلى أرض مملكة البجة . وبالفعل فإنهم وقد كانوا يركبون الخيل ، ويحملون السياط ليجعلوا جيادهم تزيد من عدوها ، ولأن حمل السوط مع ركوب الصافنات

---

[٣٣] ضرار صالح ضرار – الحجاج بن يوسف . دار مكتبة الحياة بيروت .

يزيد من هيبة الفارس ويشعره بالخيلاء ، فقد قامت هذه القبيلة العربية بممارسة ركوب الخيل وحمل السياط حتى أصبح من أهم صفاتهم وسماتهم . وكان الأحباش يسمون السوط " حلنقا " ومن ثم فقد أطلقوا هذا الاسم على فرسان هوازن ، وشيئا فشيئا تلاشى اسم هوازن وحل محله " الحلنقة " أو الحلنقا .

وكانت هناك نزاعات قد قامت بين هوازن والأحباش الذين كانوا يتعقبون فرسان هوازن وهم يخترقون الأراضي الحبشية فى هجرتهم إلى مملكة البجة . وتمكن هؤلاء بفضل جهادهم واستماتتهم من الوصول فى آخر الأمر إلى مضيق يسد مجرى نهر القاش ، فما كان منهم إلا أن فتحوا فى ذلك المضيق ممرا جعل خور القاش يجرى من خلاله ليشق أراضى دلتا القاش كما جاء فى مصادر تاريخ الحلنقة ، وبذلك أصبحوا يرجعون فضل جريان نهر القاش فى فصل الخريف إلى أجدادهم من فرسان هوازن .

دخلت هوازن مملكة البجة وقد أصبح اسمها الحلنقة وأما اسمها العربي الأصلي فقد أضحى نسيا منسيا . وسكنت فى إقليم التاكا مع كل من بني عامر والهدندوة ، وأخذت فى الاختلاط بهؤلاء البجة الذين كانوا يتكلمون باللغة التبداوية (الهدندوية) . وعن طريق المصاهرة والتجارة والتعامل اليومي تلاشت اللغة العربية أيضا وأصبحت قبيلة الحلنقا التى تحتل موقع إحدى ممالك البجة الخمس تتحدث بالهدندوية ، وتعيش بأسلوبهم البجاوي . [٣٤]

وأول مرة نلتقي فيها بقبيلة الحلنقة فى السودان كان فى سنة ٧١٦هـ حين خرجت تجريدة مملوكية من مصر تتعقب العربان فى برية

---

[٣٤] محمد صالح ضرار – تاريخ شرق السودان – الحلنقا (الحلنقة)

عيذاب وما وراءها . فخرج الأمير علاء الدين مغلطاى والأمير عز الدين أيدمر ، وما زالوا يتعقبون القبائل العربية وهى تفر منهم حتى وصلوا إلى إقليم التاكة (كسلا) فى شرق السودان وهناك التقوا " بطائفة من السودان تسمى هلنكة قد اجتمعوا لقتال العسكر وهم خلق كثير . وكان بأيدي هلنكة الحراب والمزاريق والسيوف ومع بعضهم النبل " . [٣٥] ومع أن العسكر أرسل إلى الحلنقة يؤكد لهم أنهم لم يحضروا إلى هناك لقتالهم ، ولكن لتأديب العربان الذين أفسدوا وعصوا إلا أن الحلنقة أصروا على قتال المغيرين . ولا يعرف الداعى إلى هذا الإصرار ولعلهم أرادوا أن يقفوا مع إخوانهم العرب . وعندما نشب القتال بينهم وبين المماليك فقد الحلنقة أبناء هوازن أربعمائة وستين من مقاتليهم كما أصيب كثير منهم بجراح بالإضافة إلى أنه قتل ملكان من ملوكهم .

وكما جرت عادة عساكر المماليك فإنهم نهبوا ما وجدوه من ذرة وجمال وبقر وأغنام وضأن ، وعادوا أدراجهم إلى مصر عن طريق دنقلة ووصلوا إلى القاهرة المحروسة فى يوم الثلاثاء التاسع من جمادى الآخرة سنة ست عشرة وسبعمائة للهجرة الموافق ١٣١٦ميلادية .

ومن هذا نرى أنه فى القرن الثامن الهجرى كان الحلنقة قد استوطنوا بالفعل فى جهات كسلا وخور القاش ، واستقروا هناك وأصبحت البلاد بلادهم حتى إنهم قاموا بمنع المماليك من دخولها ولكنهم أصيبوا بهزيمة فى تلك المعركة . ويبدو أن الحلنقة فى تلك السنة كانوا يتحدثون لغة غير العربية أو أخرى بالإضافة إلى العربية لأنهم فى تلك الحملة قبض الحلنقة

---

[٣٥] النويرى:راجع مسعد . ص ٢٣٤

على بعض غلمان العسكر المملوكي وأجروا معهم تحقيقا ثم أطلقوا سراحهم وكان بالجانبين من يعرف لغة الآخر [٣٦]

وما زال الحلنقة أبناء هوازن يحتلون هذا الجزء من السودان الشرقي ، وقد وصفهم النويرى بأن العسكر لم يتمكن من أسرهم لأنهم " كانوا يرون القتل أحب إليهم من الأسر " . وهذا ديدنهم حتى الآن . [٣٧]

الحضارم = الأَرْتَيقة Artaiga

(من حضرموت إلى السودان)

من بين القبائل العربية التى هاجرت إلى السودان ، وأقامت فى أراضيه منذ أن انتشر الإسلام فى تلك الديار قبيلة باصفار الحضرمية . وكانت هذه الأسرة الحضرمية فرعا من آل أبي قشير ، يسكنون فى أسفل حضرموت ، وهم من ذرية شمس الظهيرة ، الضاحية المنيرة سيدنا الإمام العلوي محمد بن الحنفية بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم ا لله وجهه.

وقد هاجرت هذه الجماعة من ذرية محمد بن الحنفية من حضرموت على ظهر سفينة (سنبوك) مشحونة بالبضائع . وكانوا يتاجرون بها بين

---

[٣٦] النويرى : مسعد ص ٢٣٤

[٣٧] راجع تاريخ الحلنقة فى كتاب محمد صالح ضرار – تاريخ شرق السودان – قبائل البجة .

obeikandl.com

ميناء مصوع وسواكن ، وكانوا يتنقلون أيضا بين موانئ شاطئي البحر الأحمر ببضائعهم ، وأعجبهم الحال فى سواكن فرأوا أن يهاجروا إليها حيث أنزلتهم سفنهم بتجارتهم فى حوالى سنة ٢٧٠هـ / ٨٨٣م .

فى ذلك التاريخ كان البجة يسيطرون على شاطئ البحر الأحمر الغربي من عيذاب أو بئر شلاتين حتى مصوع ودهلك . وكان ولاة الأمور من البجة هم أصلا من قبيلة بلي ، وكانوا هم زعماء مملكة البجة وقادتها . وكانت سواكن من بين الموانئ التى تقع فى أرضهم وتحت سلطانهم حين جاءت قبيلة باصفار إلى هناك .

وكانت أراضى مملكة البجة فى ذلك الوقت تمر بفترة نشاط اقتصادي منقطع النظير ففى عام ٢٤٠هـ / ٨٥٤م أرسل الخليفة المتوكل قائده محمد عبد الله القمي لمحاربة البجة الذين كان يتزعمهم الملك البلوي الحدربي علي بابا وذلك لأنه كثرت أذية البجة للمسلمين فى وادي العلاقي حيث كان جمع كبير من العرب يجمعون التبر ويُصفّونه . واستطاع القُمّي الانتصار على البجة ، ووقع معهم معاهدة بعد ذلك جعلت الباب مفتوحا للعرب والمسلمين للدخول فى أرض تلك المملكة والبحث عن الذهب . وكانت هناك جموع من العرب يعملون فى أرض البجة فى جمع الذهب ، وفى التجارة فى كل شئ لأن وادي العلاقي أصبح كالمدينة العظيمة . وكان كل من الناس يذهب إلى هناك إما للعمل فى المعدن أو فى تجارة رائجة بحكم عدد العاملين فى مواقع الذهب . كذلك فقد كانت المنطقة تنعم بكثير من الهدوء والأمن والسلام . وكانت وسائل النقل متوفرة سواء من وادي العلاقي لأسوان أو بالعكس . وكانت الطرق تزدحم بتلك القوافل أيضا : القادمة من سواكن وعيذاب إلى أسوان أو إلى العلاقي . وكانت قوافل

الأطعمة والبهارات والمعدات والأدوات والمياه والملبوسات والرقيق وكل شيء تملأ الدروب والطرقات غادية رائحة فى مملكة البجة .

شعر الحضارم بأن تلك المنطقة من أهم المناطق التجارية ، كما أنها تنعم بالأمن والسلام الذي هيأته الدولة العباسية لسائر أهالي المنطقة من عرب وبجة ونوبة وغيرهم . لهذا كله ركبت بطون الحضارم من آل باصفار سفنهم ويمموا نحو هذه المنطقة . ولم يذهبوا بعيدا إلى شمال البحر الأحمر حيث عيذاب ، بل رأوا أن فى سواكن خير محط لهم . وسواكن جزيرة صغيرة تكاد تكون مستديرة الشكل ، ويبلغ محيطها بالتقريب ميلا واحدا ، كما أنها مرفأ قل أن تجود الطبيعة بمثله كمرسى للسنابيك . فالماء يصل عمقه إلى الحد الذى لا يجعل السنابيك تصل إلى القاع أو الشعب المرجانية، والمياه هادئة تكاد تكون راكدة ، وأرض الجزيرة تكاد تكون رصيفا يرتفع عن الماء بما يعادل أقل من نصف متر ، كما أن هذه الجزيرة تبعد عن الشاطئ بحوالي مائة متر . لهذا كله فقد وجد الحضارم القادمون من أوطانهم فى ذلك الفرع منهم أن سواكن خير ما ينزل فيه المرء أو القبيلة خاصة وأن هناك آباراً للمياه فى الشاطئ تكفى للشرب وسائر المطالب اليومية لمن يسكن فى تلك المنطقة . وفوق كل هذا وذاك كان سكان سواكن من الحدارب البلويين زعماء البجة من المسلمين ومن الذين قبلوا بالتآلف مع سائر العرب .

هبط الحضارم فى سواكن ، وبدأوا فى مصاهرة زعماء البجة حتى يأمنوا على أنفسهم وأموالهم غائلة الإغارة والمشكلات . وأخذوا يمارسون تجارتهم بهمة ونشاط . فلما استقر بهم المقام فى سواكن وما حولها أظهروا شمائلهم التى عرفوا بها والتي كانت تتمثل فى الصدق والأمانة وحسن المعاملة بالإضافة إلى الابتعاد عن كل ما يمكن أن يسئ إليهم من قريب أو

بعيد . وكانوا لا يتعدون على أحد من أبناء البجة ، ولا يثيرون أي فرد من الأهالي الذين كانوا يسكنون معهم ، وكانت الجزيرة بعيدة عن أيدي البجة الذين إذا أرادوا الهجوم عليها لن يتأتى لهم ذلك إلا في غفلة من الحضارم الذين كانت السفن قد ربطت نواصيها في رصيف الجزيرة . وعلى العموم فقد كان التعارف بين هؤلاء المهاجرين ، وبين السكان الأصليين في وئام وائتلاف .

وكان الحضارم بما عرف عنهم من خلق حسن ، وخلال حميدة قد جعلوا من أنفسهم سادة ونبلاء وأشرافاً مما أجبر البجة أهل البداوة أن يحترموهم ويقبلوا على توقيرهم . وأطلق الأهالي على هؤلاء الحضارم لفظة " أرتيقة " وهي كلمة تحمل معنى الزعامة و النبل والشرف والسيادة . كما أنها كلمة لا تطلق إلا على أبناء هذه القبيلة ، ومن ثم فقد أصبح كل الحضارم من آل صفار " أرتيقة " ، وانتشر هذا اللفظ بعد ذلك لا في منطقة البجة وحدها ، ولكن في سائر أنحاء البلاد . واستمر هذا الاسم لهذه القبيلة الممتازة حتى يومنا هذا . ويقول مؤرخ البجة محمد صالح ضرار بأن أرتيقة في لغة الإقليم تعني الزعيم والزعامة .

وكان من أول الرحالة المسلمين الذين التقوا بهؤلاء الأرتيقة الحضارم هو ابن حوقل (المتوفى سنة ٣٥٠هـ /٩٦١ م) ، فقد زار السودان ، وجاس خلال الديار في منطقة البجة ، وهناك قابل من أسماهم بـ " عرتيكة " ، ويبدو أن اللفظ كان هكذا بين الحضارم ، ولكن لصعوبة نطق حرف العين على البجة فإن العين قلبت همزة ، فأصبح الاسم " أرتيقة " . ولم يتحدث ابن حوقل كثيرا عن الأرتيقة واكتفى بأن أورد اسمهم كبطن من بطون تلك البلاد مما يوحي بأنهم حتى بعد مرور ثمانين سنة منذ هبوطهم في

سواكن إلا أنهم لم يتعجلوا الأمر ليقفوا فى الصدارة ، ولربما كان السبب فى ذلك هو قلة عددهم وسط ذلك الخضم من أبناء البجة . ولكن مع مرور الوقت كانت أقدام هذه القبيلة الحضرمية أخذت ترسخ فى الجزيرة ، وتزداد رسوخا فيها وفيما حولها من الضواحي حتى وصلت إلى مدينة توكر ودلتا توكر الزراعية . وكانت تسيطر اقتصاديا على تجارة المنطقة ، وتوسع تجارتها .

أخذ نفوذ الأرتيقة الاقتصادي يتزايد وينمو ليصبح نفوذا سياسيا أيضا . وقد وصل ذلك إلى القمة فى سنة (٦٦٣هـ /١٢٦٤ م) . فحتى ذلك الوقت كان أمير سواكن الحدربي البلوي وأمير دهلك أيضا قد درجا على الاستيلاء على أموال التجار الأجانب الذين يموتون فى بلادهم أي في سواكن ودهلك . ووصلت الشكوى إلى السلطان المملوكي فى مصر ، فلم يرض بذلك العمل ، وأرسل إلى واليه فى قوص لكي يمنع هذه الأفعال . فخرجت الحملة العسكرية من قوص ، واتجهت نحو سواكن ، فلما علم أمير سواكن البلوي بما استقر عليه رأي السلطان المملوكي لاذ بالفرار من سواكن ، واتجه نحو البوادي بعيدا عن أيدي السلطان . وهكذا خلت سواكن من أميرها وكل من كان بجانبه من البلويين . وخلت المدينة من أمرائها والبيت المالك ، ولم يبق فيها إلا أبناء الحضارم من الأرتيقة الذين نزحوا إليها قبل أربعمائة عام تقريبا . فرأى ممثل السلطان أن يعين فيها أميرا عليها من الأرتيقة . وكانت سمعة هؤلاء القوم ، وتحضرهم ، ونفوذهم الاقتصادى قد جعل منهم خير من يتولى أمور سواكن وما حولها من قبائل البادية .

عين الشريف الحضرمي العلوي الأرتيقي علم الدين أميرا على سواكن فى سنة (٦٦٤هـ / ١٢٦٥م) . وفى عهد هذا الأمير حدثت عدة أحداث هامة فى المنطقة كانت حكمة هذا الأمير سببا فى تلافى الكثير من الكوارث . ففى سنة ٦٦٧هـ / ١٢٦٨م حدثت نزاعات بين قبيلة جهينة ورفاعة فى تلك الساحة بصحراء البجة . وكانت تلك الجهة منطقة لمرور القوافل التجارية التى تحمل كل التجارة والسلع الهندية والصينية واليمنية والحبشية والزنجبارية وغيرها إلى مصر عن طريق سواكن وعيذاب . وخشي السلطان بيبرس المملوكى فى القاهرة من أن يؤدى ذلك النزاع بين القبيلتين العربيتين إلى فساد الطريق ، وقطع سلسلة القوافل ، وبذلك تصاب مصر بنكبة اقتصادية . لذلك فقد كتب للشريف علم الدين لكي يقوم بالوساطة بين تلك القبيلتين لتجنب ما لا يحمد عقباه . ولكأنما كان السلطان يعرف مدى نفوذ هذا الشريف العلوي الحضرمي على القبائل العربية بالإضافة إلى نفوذه على القبائل البجاوية ، فتدخل بالفعل دون أن يقف بجانب قبيلة دون أخرى . وتوقف النزاع بين القبيلتين ، وساد الأمن والسلام فى المنطقة لفترة من الوقت .

وكان تدخل الأمير الأرتيقى ناجحا فى مسعاه لأن هذه القبيلة عرفت بمزايا أخلاقية ممتازة يعترف بها كثير ممن عرفوها . وقد جاء فى كتابات مؤرخ شرق السودان محمد صالح ضرار عن هذه القبيلة ورجالها ما يلي :ـ

" الأرتيقة هى القبيلة الوحيدة الموفقة فى الصلح بين المتخاصمين فى شرق السودان ... وهم مستعدون لبذل أموالهم فى سبيل إرضاء المتخاصمين ، ولو كانوا من قبيلتين مختلفتين ، ويعترف لهم كل من له معرفة

أو إلمام بعادات أهل هذا الإقليم . وأصعب المشكلات والقضايا هى تقدير الجروح ... وأن الأرتيقة نعم الأصدقاء فى الشدائد والملمات لا يتوانون عن بذل نوالهم ودمائهم فى سبيل إنقاذ صديقهم مهما كلفهم الأمر ... وكل مدينة صغيرة وكبيرة يتخذونها محلا لإقامتهم يصاهرون رئيسها ، ولذلك تجدهم يأمنون غائلة الخصوم والأعداء . "

ثم يمضى هذا الكاتب فيتحدث عن هؤلاء النفر فيقول فى موضع آخر :

" إن ما دونته من أخلاق هؤلاء الغطاريف ما هو إلا عن معرفة حقيقية ، وخبرة تامة ، ودراسة مستوفاة عن كثب يندر أن يعلمها غيرى لأننى خبرت بيئاتهم ودخائلهم وخصوصياتهم وعمومياتهم فى سواكن وتوكر وكسلا والعقيق ، فهم القوم الذين يضرون أنفسهم فى سبيل منع الأذى عن صديقهم " .

فبهذه الخلال والشمائل والحنكة استطاع الأرتيقة التدخل بين المتخاصمين ممن حولهم لفض تلك النزاعات بالحكمة ، وكان أن أصلحوا ما بين جهينة ورفاعة .

وعندما استولى الأرتيقة على سواكن أخذوا فى تنظيم أعمال إدارتها وماليتها ، فوضعوا الرسوم على كل سنبوك يرسو فى المرفأ ، وبلغ ذلك الرسم ريالا فى الدخول ومثله فى الخروج . وفى القرن التاسع عشر عندما ظهرت البواخر جعلوا الرسم الذى تتقاضاه حكومة سواكن عن الباخرة خمسة ريالات فى الدخول إلى الميناء ومثلها فى الخروج . وكان بسبب هذه الرسوم المعقولة أن نشطت الملاحة الداخلة والخارجة فى سواكن ، كما كثرت السلع التجارية التى كانت ترد إلى الميناء .

وكانوا يسهلون دخول البضائع فى إمارتهم ، كما كانوا يفعلون نفس الشئ حين تحمل الصادرات خارج الميناء . وربما كان من أهم الصادرات التى تخرج عن طريق سواكن الحيوانات المتوحشة مثل الأسود والفهود والزراف والقردة وكل ما يعثر عليه ، هذا بالإضافة إلى الصمغ والقطن والصوف والجلود وحمام البازين والذرة والسروج والنعال والجرابات والقرب وريش النعام والسنامكى وغيرها من الأشياء .

ولم يتوقف نفوذ الأرتيقة على سواكن وما جاورها ، بل كانوا يحكم تجارتهم رجال أسفار ، فكانوا منذ أن نشطت تجارتهم يقومون بقيادة القوافل التجارية إلى أواسط السودان وإلى مناطق كردفان ودارفور بالإضافة إلى النيل الأزرق . واستمرت هذه النشاطات طوال القرون الماضية .

ومع أن السلطان المملوكي وافق على تعيين الشريف علم الدين أميرا على سواكن إلا أنه سرعان ما وجد من الأسباب ما جعله يعترض على بقائه فى الحكم . فقد شعر الشريف علم الدين بأنه كان تابعا للسلطان فى مصر ، وشعر بأن والي قوص وما لديه من جنود وقوة إنما كان دائما يهدد استقلاله وإمارته . كذلك وجد أن إيرادات سواكن كان يذهب الكثير منها إلى السلطان المملوكي ، ولا يبقى له منها الكثير . وحدث أن وصلت إلى سواكن هدايا من والي اليمن كانت قد أرسلت إلى سلطان مصر ، وكانت عبارة عن ثلاث سفن محملة بالبضائع ، فاستولى عليها الأمير الشريف علم الدين حوالى سنة (٧١٦-٧١٧هـ / ١٣١٦-١٣١٧م) ثم أمر السفن أن تستأنف إبحارها إلى عيذاب . وهناك أبلغ ربان السفينة نائب السلطان بما حدث ؛ فما كان من هذا إلا أن أسرع بإرسال الخبر إلى السلطان فى القاهرة ، ثم انتهى الأمر إلى إرسال حملة لتأديب الشريف ، ونزعه من الملك

فى سواكن . وكان من الواضح أن الشريف بعد أن حكم تلك الفترة الطويلة تحت ظل السلطان المملوكي لم يشعر بأنه كان أميرا حقيقيا ، كما شعر بأنه كان قد فقد كثيرا من إيرادات السفن لأنه كان عليه أن يدفع للسلطان جُعلا معلوما من تلك الإيرادات .[٣٨] فلما رأى أن السلطان قد أرسل إليه جيشا لا قبل له به ، ركن إلى الفرار من سواكن . فلما دخل العسكر سواكن أُلغي حكم الشريف علم الدين وردت الإمارة إلى البيت البلوي . وكان عدد الجيش المملوكى الذى أرسل لمحاربة الشريف علم الدين لا يتجاوز الخمسمائة جندي نظامي بكامل معدات فرسانهم ورماة النشاب . ولم يكن لعلم الدين القدرة على الوقوف أمام هذا الجيش ، ولذلك رأى السلامة فى إخلاء المدينة والبحث عن مأوى آخر بعيدا عن أيدي السلطان .

هكذا انتهى عهد أول أمير حضرمي على سواكن بعد حكم دام طويلا ، وبعد أن أشاع الأمن والاستقرار بين سائر القبائل العربية التى نزلت فى صحراء البجة . ورجعت بعد ذلك السلطة فى سواكن إلى البلويين من الحدارب زعماء البجة السابقين .

وفى هذا الوقت ظهرت أيضا بعض المصاهرات بين بلي الحدربيين فى سواكن والأشراف العلويين من آل أبي نُمَيّ فى الحجاز ، وأصبح زيد أبن أبي نمي أميرا على سواكن حيث وجده كذلك ابن بطوطة فى سنة ٧٣٦هـ / ١٣٣٥ م ، واستمرت هذه الأسرة فى حكم كلا شاطئي البحر

---

[٣٨] كان قد تعهد بأن يرسل للسلطان ثلاثمائة رأس من الإبل ، وثمانين رأسا من الرقيق ، وثلاثين قنطارا من العاج (النويرى فى مسعد)

الأحمر أي سواكن وجدة وينبع والحرمين الشريفين . وبقى الأرتيقة بعيدين عن الحكم فى سواكن .

ولكن فى سنة ٩١٠هـ / ١٥٠٤م استولى سلاطين الفونج على الحكم فى السودان ، وأقاموا فيه السلطنة الزرقاء ، ودانت لهم سائر القبائل العربية وأهل البلاد الأصليون من النوبة ، وبقيت سواكن تحت سلطان أمير الحدارب البلوي . وبايع الأرتيقة سلطان الفونج الذى تحالف معهم على القضاء على حكم البلويين فى سواكن . وبالفعل استطاع المقاتلون من الأرتيقة والفونج أن يهزموا الحدارب أمراء البجة ويستولوا على الحكم فى سواكن مرة أخرى حيث أقاموا إمارتهم لعدة قرون [٣٩].

وفى سنة ١٥٢٤م ظهر البرتغاليون فى البحر الأحمر ، وهددوا طريق الملاحة من شرقي آسيا وإفريقيا إلى مكة المكرمة ، وأشاعوا الرعب فى قلوب الحجاج من الهند والصين وحضرموت وعمان وغيرها ، وضربوا بمدافعهم المدن الإسلامية الهندية والإفريقية والعربية ، ثم دخل أسطولهم المسلح بالمدافع إلى البحر الأحمر فرشق بمدافعه عدن وسواكن وعيذاب وجدة والسويس . ولم يجد من يقف أمامه سوى القوة العثمانية المتصاعدة ، تلك التى استطاعت أن تهزم المماليك وتستولي على مصر سنة ١٥١٧م . وبايعها الخليفة العباسي الصوري المتوكل ، وأشهر مبايعته للخليفة العثماني السلطان سليم الفاتح وسلمه مخلفات النبي صلى الله عليه وسلم من بردة وغيرها ، وسجد السلطان سليم على ما آتاه الله ، وهذا خليفة المسلمين ،

---

[٣٩] يلاحظ أن ملوك البجة البلويين كانوا يشكون سلطة مستقلة عن الجنود البلويين الذين كانوا يؤازرون الفونج في بسط نفوذهم على أنحاء السودان الأخرى كما شاهدنا في الباب الذي أوضح الصلة بين الفونج وحلفائهم من البلويين .

وابن عم سيد المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يبايعه بالخلافة ؛ كما أرسل شريف مكة المكرمة ابنه لمبايعته ، فدان له الخافقان ، وأطلق عليه لقب خادم الحرمين الشريفين . فهزت هذه الانتصارات الحربية والمعنوية السلطان سليم ، فأمر أمير البحرية القائد سنان باشا بأن يعد أسطولا ضخما ويسلحه بالمدفعية الجبارة لملاحقة الأسطول البرتغالي الذى جعل من مدفعيته صاحب الكلمة العليا فى تلك البقاع من البحر الأحمر والمحيط الهندي .

ولم يكن للأرتيقة القدرة الحربية لمواجهة الأسطول البرتغالي ورجاله المسلحين بالبنادق بينما هم لا يملكون سوى السيوف والرماح . وإزاء قوة البرتغاليين الضاربة فقد اتفق الأرتيقة والأتراك على أن ينزل الأتراك حامية عسكرية مكونة من حوالي مائة جندي تركي لحراسة الميناء وحماية الملاحة منها وإليها . واتفقا على أن يقتسما دخل الميناء ليصبح جزء منه لمصروفات الحامية ، والباقى يتولى أمره أمير الأرتيقة . وقد أصدر السلطان العثمانى فرمانا (مرسوما سلطانيا) بهذه الإتفاقية التى حفظت للأرتيقة حقوقهم كأمراء على سواكن . [٤٠]

وبهذا الفرمان التركى ، وتلك البيعة لسلطان الفونج أصبح للأرتيقة حرية الحركة سواء أكان ذلك فى داخل الأراضي السودانية أم عبر البحار . ونشطت فى أيامهم التجارة مع العالم الخارجي كما نشط الحج من سائر أنحاء العالم الإفريقي بل وأحيانا الآسيوي . وكانت رسوم السفن الشراعية القليلة التى وضعها الأرتيقة قد شجعت الكثير من السفن العربية والهندية

---

[٤٠] محمد صالح ضرار : تاريخ سواكن والبحر الأحمر .

والصومالية الحبشية على تجنب الرسو فى عدن لكثرة مكوسها واستبدال ذلك بالنزول فى سواكن .

ظل الأرتيقة يهيمنون على تجارة سواكن وحكومتها الوطنية حتى نهاية الحكم التركي على سواكن فى سنة ١٨٦٥م ، واستئجار الخديوي إسماعيل لتلك المدينة من السلطان العثماني . ومنذ ذلك التاريخ أخذت الحكومة المصرية تتولى المسئولية التامة عن إدارة الميناء مع بقية أنحاء السودان ، وبذلك أخذ أمير الأرتيقة يفقد الكثير من سلطاته التى كانت فرمانات سلاطين آل عثمان يحفظونها لهم ، تلك الفرمانات التى استولى عليها منهم أحد الموظفين البريطانيين فى [٤١] سنة ١٩٠٣م . وانتهت كل السلطات المالية والإدارية التى كان يتمتع بها أمير الأرتيقة فى العهود السابقة ، وفى آخر الأمر بدأت بورتسودان تحتل مكان سواكن كميناء البلاد ، وبذلك فقدت سواكن وأمراؤها الأهمية شيئا فشيئا حتى لم تعد لهما أهمية منذ الحكم الثنائى (١٨٩٨ - ١٩٥٥م) .

---

[٤١] محمد صالح ضرار : تاريخ السودان : البحر الأحمر وإقليم البجة : مكتبة الحياة ، بيروت ص ١٠٨ - هامش .

وكان من بطون الأرتيقة بطن اختلف مع الأسرة الحاكمة بعد قليل من ظهورها على ساحة أنحاء سواكن ، فانفصلت عن القبيلة ورحلت منها ، وكانت تلك الأسرة بقيادة زعيمها محمد أدروب . وأدروب كلمة بجاوية معناها (أحمر) ، ويبدو أن ذلك الجد كان أبيض اللون مما جعل البجة والأرتيقة (الذين أصبحوا منهم ويتحدثون بالبجاوية) يلقبونه بذلك . ويعتقد بأنه بسبب هذه البشرة البيضاء سميت القبيلة التى أنشأها بالحُمران . وكان هناك خلاف قد نشأ بين محمد أدروب وزعيم القبيلة رحل أدروب على إثره إلى مناطق نائية حيث استقر فى نهر سيتيت ، واختار له موطنا يقال له " عَناتِرْ " . وهناك أخذت القبيلة فى الاستقرار رغم الحروب الكثيرة التى كانت تنشأ بينها وبين الأحباش ، وأحيانا بينها وبين سائر القبائل العربية النازحة المجاورة لها . وكان الحمران يعتنون بتربية الخيل ، ويحاربون على صهواتها ، ولذلك فقد كانت لهم أيام انتصارات كثيرة على أعدائهم .

وبالرغم من قلة عدد الحمران إلا أنهم استطاعوا أن يعيشوا فى موطنهم ذاك المليء بالحيوانات المتوحشة . وقد زارهم بعض الرحالة من الأوربيين ومكثوا معهم بعض الوقت . وربما كان أول من زارهم هو الرحالة البريطاني السير جيمس بروس حوالى سنة ١٧٧٢م ، وتحدث عن فروسيتهم وولعهم بصيد الحيوانات المفترسة . وقال بأنهم يعرفون باسم العقاقير بين أهل المنطقة لأنهم كانوا يعملون دائما فى عقر تلك الحيوانات لصيدها

وخاصة الأفيال . وكتب عنهم بروس في رحلته التي دونها . كذلك نجد أن الرحالة البريطاني الآخر مانسفيلد باركنز قد زارهم في عناتر ونهر سيتيت بين سنة ١٨٤٧-١٨٥٠م ، وتحدث عن طرق الصيد التي يمارسونها . وكانت هذه الرحلات قد جعلت السير صمويل بيكر يفتتن بهذه القبيلة الحضرمية الأصل ، فنزل في بلادهم ، وبقي معهم فترة كان يشترك معهم فيها في كل رحلات صيدهم اليومية وأعجب بها ، وكتب عنها الكثير كما صورها بالرسومات التي ظهرت في كتابه عن " روافد النيل في الحبشة " . وقد أوضح أنهم كانوا يعرفون باسم الحمران كما أنهم كانوا معروفين بالعقاقير . أما جوسايا وِلْيَمْزْ فقد كان همه الأكبر أن يعرف عن هؤلاء الحمران كل شئ ، ولذلك فقد ألف كتابه باللغة الانجليزية بعنوان " مع الحمران وكان ذلك في عام ١٨٨٠م .

بيد أن أكثر ما عرف به الحمران هو قصة تاجوج والمحلق التي تشبه في مسارها قصة مجنون ليلى ، وقد أوردنا ملخصا لهذه القصة في فصل آخر من هذا الكتاب أخذناه من القصة الحقيقية التي جمعها والدنا عليه الرحمة . وكان من بين المؤرخين الذين نوهوا بالقصة هذه ، التي كانت معروفة في سائر أنحاء السودان عند الفتح الانجليزي المصرى عام ١٨٩٨م ، المؤرخ الكبير نعوم شقير . وقد كتب في كتابه تاريخ السودان مشيرا إلى هذه القصة قائلا عن قبيلة الحمران :

" ونساؤهم من أجمل نساء السودان ، وأشدهن تحصنا وعفافا ، ومنهن تاجوج بنت الشيخ أُوكُدْ شيخ الحمران التي ظهرت في أواسط القرن الماضي (١٨٥٠) ، وكانت أروع نساء السودان قاطبة في الحسن والجمال . وكان الناس يفدون من كل صوب للتفرج على جمالها " .

ولا نشك فى أن نعوم شقير كان يعكس ما يقوله الرواة السودانيون له عن تاجوج لأنه يصعب علينا أن نصدق بأن الناس كانوا يرحلون لرؤية جمالها . لكن المعروف والثابت أنها بعد أن قتلت ، وتوارى جسدها تحت الثرى ، كان كثير من الناس يزورون رمسها ، بعضهم للترحم عليها ، وبعضهم للتبرك بها خاصة بنات حواء لأنها بجمالها وسيرتها العفيفة قد جذبت أفكار الكثيرات فجعلنها نبراسا يحتذى ، ومثلا طيبا يقتدى به .

هكذا نأتى إلى ختام حديثنا عن الحضارم الذين جاءوا إلى شرق السودان كقبيلة وأسرة لها جذورها فى حضرموت ، ولها فروعها فى شرق السودان ، بل إن الأرتيقة انتشروا فى المهدية فى سائر المدن الكبيرة منذ أيام الفونج ، فكانت لهم بيوت وأسر فى شندى وبربر ورفاعة والأبَيِّض والفاشر وسنار ، وكانوا يعرفون فى تلك المدن باسم السواكنية هذا الاسم الذى ظل باقيا فى أفواه السودانيين قاطبة طوال تلك القرون .

والأرتيقة كانوا مثالا طيبا فى عدة ميادين ، ففى الحرب هم ذادة عن الوطن ، وفى التجارة هم خير همزة وصل للحضارة والمدنية ، ومن حيث المشاعر الإنسانية فقد قدموا أروع قصة حب عرفت فى مناطق استقرارهم بالسودان .

العباسيون فى دارفور بغرب السودان

سلطنة الفور

والعروبة

تقع سلطنة دارفور القديمة أو (دارفور) فى أقصى الجزء الغربي من السودان . وهى أرض واسعة مرت عليها ظروف تاريخية مختلفة . فقد كان يسكنها فى بداية الأمر جماعات من الوطنيين الأفارقة ، ثم نزح إلى ديارهم عدد من عشائر البربر الذين هاجروا إليها من تونس والجزائر وشمال إفريقيا . واختلط هؤلاء النازحون بأبناء البلاد ، وعاشوا معهم ، وتأثروا بالحضارات السودانية القديمة ، فقد كان لمملكة النوبة المسيحية تأثير على أهالى البلاد . وكانت لتلك الممالك القديمة فى دارفور مثل مملكة الداجو والتنجور علاقات بشمال إفريقيا عن طريق درب الأربعين ، كما كانت واحة الكفْرة فى ليبيا مركزا للالتقاء بالتجار من سائر أنحاء شمال إفريقيا . وكانت قوافل دارفور وتجارتها رائجة حيث كانت تلتقى بالتجارات العالمية والمصرية والعربية فى أسيوط وأسوان .

وكان يحكم الخليط الإفريقي والبربرى أسرة ملوك الفور حتى دخل بلادهم أحد أبناء العباسيين من تونس . وتروى الروايات السودانية أن هذا العباسي واسمه أحمد سفيان المعقور هو مؤسس دولة الفور المسلمة . وكان أحمد سفيان من أولئك العباسيين الذين أخذوا يبحثون لهم عن مأوى يأويهم بعد انهيار خلافتهم وسوء معاملة سلاطين المماليك لهم بعد أن نزحوا من بغداد إلى القاهرة . وكما مر بنا فى الحديث عن العباسيين فإنهم ذاقوا مرارة

الذل على يد المماليك . ولذلك فقد خرج أحمد سفيان هذا ومعه أخوه وبعض أهلهم ورجالهم وعبيدهم من مصر ، واتجهوا نحو ليبيا وتونس فرارا من العيش الذليل الذى كانوا يذوقونه يوما بعد يوم . وكان أخوه يدعى عليا ، وكان أكبر من أحمد ، كما كان متزوجا بامرأة جميلة ربما كانت من البيت العباسي . ورحل العباسيان فى حوالي سنة ٨٢٣هـ/ ١٤٢١م نحو تونس ، ولعلهما كانا يحلمان بإقامة خلافة جديدة تشبه خلافة الأمويين بالأندلس . إلا أن الرحلة كانت محفوفة بالمشكلات إذ وقعت زوجة علي الجميلة فى حب شقيق زوجها وهو الشاب أحمد سفيان . ولم تستطع نسيان حبه ، أو كتمانه عنه . فباحت به للشاب أحمد الذى تألم من ذلك ، وزجرها ، وأمرها بأن تكف عن ذلك . غير أن الزوجة تمادت فى حبه والتقرب إليه . ولم يستطيع نقل هذا الأمر لأخيه خوفا على صلاتهما وصلة أخيه بزوجته ، كما أنه كان حائرا فيما يجب عليه أن يفعله . فلما رأت الزوجة انصراف أحمد عن حبها قررت أن تنتقم منه عن طريق إفساد العلاقة بينه وبين أخيه . فما كان منها إلا أن صرحت لزوجها بأن أخاه كثيرا ما يراودها عن نفسها ، وأنها تزجره ، ولكنه لم يمتنع عن ذلك . ولحساسية الموقف فإن الأخوين لم يكاشف أحدهما الآخر بالأمر . وكان أحمد فى هذه الفترة قد قرر أن يحسن من علاقته بزوجة أخيه التى هددته بأنها ستشكوه إلى أخيه على أنه كان يراودها عن نفسها ، ويعمل على التقرب منها . ولذلك فقد عمد إلى سياسة التودد إليها . وكان أخوه علي يراقب ذلك التودد ، ويحمله على أنه مراودة فيزداد غيظا وحنقا على أخيه الصغير . ولم يشعر علي بعد ذلك براحة البال ، ولم يذق طعما للطمأنينة فى حله وترحاله وهو متجه إلى أراضى تونس . وأخيرا لما ضاق الأمر به عزم على التخلص من

أخيه لخيانته له . ودبر مكيدة أراد أن ينفذها دون أن يشعر أحدا بسبب ما أتاه من عمل . وفى أراضي تونس قرر ذات مرة الرحيل من المنازل التى نزل بها ركبه ، فأمر القافلة من رجال وأهل وعبيد بالتقدم على أن يلحق بهم هو وأخوه فيما بعد . فلما ارتحل الركب ركب هو وأخوه بعيدا وراء القافلة التى اختفت عن الأبصار . وبينما كان أحمد سفيان غافلا لا يدري ما يخبئه له أخوه ، جرد هذا سيفه وضرب به أحمد فى عرقوبه ، فقطع عرقوبه ، وكاد يفصل القدم عن الساق ، فسقط أحمد من دابته جريحا ، وهرول علي مسرعا ليلحق بالركب تاركا أخاه الصغير ينزف دما خلف القافلة . ووصل علي إلى القافلة وأمرها بأن تغذ السير نحو الغرب إلى تونس . وهنا شعر موالي أحمد سفيان وعبيده بأن سيدهم قد تخلف عن الركب ؛ فما كان منهم إلا أن قفلوا راجعين إلى حيث كان نزولهم السابق . وهناك وجدوا أحمد ملقى على الأرض ، وقد عقرت رجله . فقاموا بتضميد جراحه ، وإيقاف نزيف الدم المسفوح ، وأخذوا فى تمريضه حتى استعاد قوته وحياته ، ولكن كان أثر الضربة قد غير مشيته ، وأصبح يدعى أحمد سفيان المعقور .

لم يفصح أحمد لأحد عما كان بينه وبين أخيه وامرأته ، وجعل ذلك طي الكتمان ، ولم يتبع القافلة ، بل غير اتجاهه نحو الجنوب ، ومن هناك كانت وجهته تيمم نحو مملكة الفور ، وما زال يسير بأتباعه يوما بعد يوم حتى وصل إلى مقر المملكة وكان ذلك فى جبل مرة حيث كانت تسكن أمة الفور . وكان يحكمهم ملك منهم يدعى شاو دورشيت .

فلما وصل أحمد وأتباعه إلى عاصمة الفور فى جبل مرة دعاه الملك شاو دورشيت إلى مقره ، وتحادث معه ، وأكرم وفادته وأعجب بهيئته وحديثه وآرائه ، وقربه إليه أكثر وأكثر مع الأيام . وكان أحمد من أمراء

العباسيين الذين عاشوا فى القاهرة ، وكانت علاقتهم مع أمراء المماليك والعلماء والحكماء فى مصر ، ولذلك فقد كان مثالا طيبا للبيئة المثقفة المتحضرة . فكان تأثير تعامله المصقول كبيرا على ملك الفور الذى امتلأ إعجابا بذلك الشاب .

ولحسن حظ أحمد سفيان المعقور ابن الخلفاء العباسيين أن كان للملك الفوري بنت واحدة ، ولم يكن له أولاد . ورأى أن أحمد بما له من ذكاء وشخصية لهو أفضل من يتزوج ابنته الوحيدة . وبالفعل فقد زوجها إياه ، فوهب الله لها ولزوجها ولدا سمى سليمان الذي نشأ وترعرع في كنف أبيه وجده . وكان قد ورث الذكاء والسماحة ورجاحة العقل من أبيه وأمه . ولم تطل حياة أبيه إذ عاجلته المنيه فرحل إلي الدار الآخرة ، وترك ابنه في كنف جده ليرعاه .

وكان أحمد قبل وفاته قد منح الفرصة لكي يدير أمور الدولة مع صهره الملك ، وكان إداريا صالحا ، فأحسن سياسة مع أهل المملكة وأعيانها وكبار رجالها ، كما نظم دفة الحكم ، فقربه ذلك من أهل البلاد ، فرضى عنه الناس من رعية وزعماء . ولذلك فإنه لما توفي شعر بفقده الجميع .

أما ابنه سليمان فقد كان في هذا الوقت قد شب عن الطرق ، وحسن تدريبه في شئون الحكم . فلما توفي جده الملك ، نادى أهل الحل والعقد بسليمان ملكا على البلاد فتولي زمام الأمور واصبح سلطان الفور وذلك في سنة ٨٤٨ هـ / ١٤٤٥ م .

وهكذا أصبح سليمان أول ملوك الفور العرب الذي يرجع نسبه إلى الخلفاء العباسيين . ودخل الإسلام هذه السلطنة ، وتعاقب أبناؤه وأحفاده على الحكم الذي استمر حوالي ٤٤٣ سنة ، ولم ينته حكم سلاطين الفور إلا

عند ما استولت عليها الحكومة المصرية على يد الزبير باشا ، ثم إنها أصبحت جزءا من أراضى الثورة المهدية حتى قضى الحكم الثنائي عليها سنة ١٨٩٨ م ، فدخل أحد أبناء سلاطين دارفور السابقين عاصمة بلاده الفاشر ، واستقل بحكمها مع الاعتراف بالحكم الثنائي ، وكان ذلك السلطان هو علي دينار آخر سلاطين الفور . ولكن خلال الحرب العالمية الأولى التي نشبت في سنة ١٩١٤ م أظهر السلطان علي دينار ميلاً إلي السلطنة العثمانية بدوافع شعور إسلامي ، ورغبة في نصرة الدين الحنيف ، وكل من كان مسلما . فرأى البريطانيون أن يقضوا على هذا السلطان ودولته الإسلامية ، فأرسلوا جنودهم بقيادة السير هدلستون الذى استطاع أن يقضي على جيش الفور ، وقتل السلطان على دينار ، وضم البلاد إلى إدارة السودان البريطانية ، وهكذا انقضى ملك العباسيين في سلطنة الفور في سنة ١٩١٦ ميلادية .

هذا ما كان من أمر الأسرة المالكة في دارفور . أمّا ما كان من شأن الرعية فإنه من المؤكد أنه كانت هناك قبائل عربية قد نزحت من الجزيرة العربية إلي مصر ، ومن هناك إلي دارفور . ولعل من أهم تلك الهجرات العربية التى وصلت من مصر إلي دارفور رحلة بني هلال الذين انتشروا في بوادي كردفان أولا ثم دارفور . وقد رأينا كيف أن هذه القبيلة قد انتشرت مع غيرها في كردفان تحت اسم آخر أو فرع من اسم آخر هو البقارة الذين كما عرفنا هم عبارة عن ائتلاف كبير ضم العديد من القبائل الأخرى التى سبق ذكرها . ومن بين القبائل العربية الضخمة التى نزلت واستقرت في دارفور قبيلة جذام العربية التى آذتْ ملك البرنو باختطاف رعيته المسلمين من صبيان وبنات حتى شكا ذلك إلي الظاهر برقوق سلطان مصر . وكل

هذا كان قبل حوالي قرن من وصول أحمد المعقور إلي دارفور مما يرجح أن أهل دارفور كانوا في ذلك الوقت قد أصبحوا خليطا من قبائل عربية منها بنو هلال وجذام وغيرهم اختلطوا بأهل البلاد الأصليين ونشروا الدين الإسلامي بينهم ، ونشأ من هذا الخليط العربي الإفريقي سكان دارفور الذين نراهم الآن .

obeikandl.com